الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي
في عصري الطوائف والمرابطين

إعداد

فاطمة مفلح مرشد العبداللات

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الأول، ٢٠٠٧

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة **(الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين)** وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٦.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
• **الدكتور صلاح محمد جرّار، مشرفاً** أستاذ – الأدب الأندلسي والمغربي	
• **الدكتور حمدي محمود منصور، عضواً** أستاذ مشارك – الأدب الأندلسي والجاهلي	
• **الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري، عضواً** أستاذ مشارك – البلاغة والنقد	
• **الدكتور فايز عبد النبي القيسي، عضواً** أستاذ – الأدب الأندلسي	



الإهداء

إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – وقد اشتدّ الكرب بي، وأحاطت بي المحن، وخبا نبراس الحق، ورحل ركني الشديد.

إليك يا رسول الله، وقد تداعت الأمم على أمتك تداعي الأكلة إلى قصعتها، فادلهمّ ليلها، وطال انتظار فجرها، فتقبّل مني يا شفيعي وتقبّلني، اللهمّ أنت لها ولكلِّ عظيمة تفرجها يا أرحم الراحمين.

شكر وتقدير

أتوجّه بالشّكر الجزيل إلى أستاذي الدّكتور صلاح جرّار الذي تعهّدني بالرّعاية والتّوجيه، ومنحني وقته وعلمه، فكان ولا زال نعم الأستاذ الفاضل المرشد لدروب الخير، فجزاه الله عنّي كلّ خير ونفع به الأمة ورواد العلم.

كما أتوجّه بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل: الدكتور حمدي منصور والدكتور عبد الكريم الحياري وأ.د. فايز القيسي الذين يتفضلون عليّ بقراءة هذه الدراسة ومناقشتها، آملة أن أفيد من ملاحظاتهم القيّمة، وتوجيهاتهم السّديدة.

ولا يفوتني أن أتقدّم بصادق حبي وانتمائي إلى أمي، وإخواني، وأخواتي، وأولادهم، وإلى صديقاتي اللواتي ما فتئن بجواري في السرّاء والضَّراء، وأخصّ بالذكر منال الهنيدي، وميساء الروابدة، وهدى البيطاوي، وفيروز بحلق ووفاء المومني.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ح
المقدمة	١-٥
التمهيد	٦-٣٢
أ. الصراع بين الأندلسيين والإسبان في عصري الطوائف والمرابطين	٧-١٨
ب. دور الأدب في مواجهة الأخطار المهدِدة للوجود الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين ...	١٩-٣٢
الفصل الأول: الحضّ على الجهاد في الشعر الأندلسي	٣٣-٥٨
- حضّ الأمراء على الجهاد	٣٤-٥٠
- حضّ العامة على الجهاد	٥١-٥٤
- حضّ المسلمين خارج الأندلس على الجهاد فيها	٥٥-٥٨
الفصل الثاني: النثر الأندلسي والحض على الجهاد	٥٩-٩٩
- الخطابة	٦٠-٦٥
- أدب الرسائل	٦٦-٩٩
الفصل الثالث : الدراسة الفنية	١٠٠-١٧٣
أولاً: الشعر	١٠١-١٣٤
- بناء القصيدة	١٠١-١٠٥
- الصورة الشعرية	١٠٥-١١٣
- التأثر بالتراث	١١٣-١٢٣
- الأسلوب	١٢٣-١٢٨
- الألفاظ	١٢٨-١٣٤

ثانياً: النثر ١٣٤-١٧٣
- البناء الفني ١٣٥-١٤١
- الجمل الدعائية والمعترضة ١٤١-١٤٣
- التنويع بين الشعر والنثر ١٤٣-١٤٥
- الاقتباس والتضمين ١٤٥-١٥٢
- الإيجاز والإطناب ١٥٢-١٥٥
- الألفاظ ١٥٥-١٥٦
- السجع ١٥٦-١٥٨
- الازدواج ١٥٨-١٥٩
- الجناس ١٥٩-١٦١
- التصوير الفني ١٦١-١٦٥
- التعليل والاستدلال العقلي ١٦٥-١٦٦
- الطباق والمقابلة ١٦٦-١٦٨
- التقديم والتأخير ١٦٩-١٧٣
الخاتمة ١٧٤
ثبت المصادر والمراجع ١٧٥-١٩٠
الملخص باللغة الإنجليزية ١٩١

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا **فاطمة مفلح مرشد العبداللات** ، أفــوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي / أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع :

التاريخ :

The University of Jordan
Authorization Form

I, **Fatimah Mefleh Mershed Al-Abdulat** , authorize the University of Jordan to supply copies of my Thesis / Dissertation to libraries or establishments or individuals on request.

Signature:
Date:

الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

إعداد

فاطمة مفلح مرشد العبداللات

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

الملخّص

تحاول هذه الدراسة اكتشاف جانب أساسي من جوانب الحياة الأدبية في عَصْرَيْ الطوائف والمرابطين؛ للكشف عن الدور الذي اضطلع به الأدب في مواجهة الأخطار المحدِقة بالأندلس في الفترة الممتدة من (٤٢٢هـ-٥٣٩هـ)، وذلك بدراسة غرض الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي، واستقراء النصوص المتصلة به وتحليلها، وبيان قيمتها، وخصائصها الفنية.

وقد وظّف الأدباء في ذينك العصرين سائر الفنون الأدبية لحضّ المسلمين داخل الأندلس وخارجها على الجهاد؛ للحفاظ على الوجود العربي المسلم فيها، ولدفع اعتداءات الأعداء المستمرة، ولمنع التهامهم للمزيد من الأراضي الأندلسية.

وقد قامت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي للنصوص موضوع الدراسة، ثمّ دراستها دراسة فنيّة؛ لمعرفة خصائص أدب الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين، وخلصت الدراسة إلى أن النثر كان أسبق وأغزر من الشعر إنتاجاً في الحضّ على الجهاد، وأنّ الفقهاء والأدباء شكّلوا درعاً ثقافياً للأندلس عمل على رفع معنويات المجتمع، ومحاولة إخماد الفتن بين أبنائه، وبيان مساوئ الفرقة، ودعوا للوحدة والجهاد لمواجهة الأعداء.

وقد ظهرت الشخصية الأندلسية المميزة في أدب الحضّ على الجهاد، وإن انتظمت في إطار الأدب العربي عموماً.

والحمد لله رب العالمين

المقدِّمة

أحمدك ربي حمد المتيقنة بوجودك، المقرّة بألوهيتك ووحدانيتك، الشاهدة على سننك في الأرض، وعلى مدافعة الدول والممالك ومغالبتها بعضها لبعض في مشارق الأرض ومغاربها، وأصلي وأسلم على خير المرسلين، وبعد،،

فهذه دراسة تحاول رصد جانب أساسي من جوانب الحياة الأدبية في عصري الطوائف والمرابطين، بغية الكشف عن الدور الذي اضطلع به الأدب في مواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس في الفترة الممتدة من (٤٢٢هـ-٥٣٩هـ)، وذلك بدراسة غرض الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي، واستقراء النصوص المتصلة به وتحليلها، وبيان قيمتها، وخصائصها الفنية.

وقد شهد عصر الطوائف نهضة أدبية، عبّر فيها الأدب عن أحداث العصر، وشارك في صناعتها أحياناً، وحاول لمّ شمل الأندلسيين، ومقاومة ضعفهم وانقسامهم، لدفع أعدائهم عنهم في أحيان أخرى.

أما في عصر المرابطين فقد وظّف الأدباء الفنون الأدبية؛ لحضّ المسلمين داخل الأندلس وخارجها على الجهاد؛ للحفاظ على الوجود العربي المسلم فيها، ولدفع اعتداءات الأعداء المستمرة، ومنع التهامهم المزيد من الأراضي الأندلسية.

ولعل ما دفع الباحثة لاختيار هذا الموضوع أهميته؛ فأدب الحضّ على الجهاد يشكل جانباً حيوياً من جوانب حياة الأمة وتجاربها، ودراسته قد تحيي صفحة من صفحات الأدب الأندلسي المطوية التي ما برحت تحتاج إلى إبانة ودراسة وافية.

كما أن تشابه الظروف التاريخية في بعض جوانبها بين حال المسلمين في أيامنا هذه، وحال الأندلسيين – لاسيما في عصر الطوائف – يدعو للتأمل والدراسة، ودراسة غرض الحضّ على الجهاد قد يُمكّن بعضنا من تلمس أصداء صراع الأمة الطويل مع أعدائها، وذلك لأخذ العبر والدروس من التاريخ.

ومن دواعي دراسة هذا الغرض – أيضاً – إيمان الباحثة بأن التراث الأندلسي ما زال يطوي أسراراً تحتاج للكشف عنها، كما أن بعض ما اكتشف بحاجة إلى المزيد من التمحيص والدراسة المتأنية.

وقد ظهرت دراسات في العصر الحديث، تناولت الأدب الأندلسي عامة، وبعضها عرض لأدب الحضّ على الجهاد بإشارات، وإيحاءات، ولكن ليس هناك كتاب جامع أو بحث مستقل – على حد علم الباحثة – انبرى للحديث عنه.

ومن تلك الدراسات الحديثة:

دراسة الدكتور حازم عبد الله خضر "النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين" وهي دراسة اهتم فيها الباحث بالنثر دون الشعر، وبحث فيها مضامين الرسائل وأنواعها.

أما دراسة الدكتور إحسان عباس المعنونة بـ "تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين" فقد حرص فيها على رصد مظاهر التطور الأدبي واتجاهاته في الأندلس، وتطرق إلى أدب النكبات.

ولا يمكن إغفال دراسة الدكتور فايز عبد النبي القيسي "أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري" التي ناقش فيها أدب الرسائل وفرسانه في القرن الخامس الهجري.

وانحصر اهتمام الباحث محمد حسين أبو رقيق في دراسته "أدب الحرب في عهد الطوائف في الأندلس" بأدب الحروب الداخلية والخارجية في عصر الطوائف، ومرّ بدور الأدب في الصراع مع الفرنجة.

أما دراسة الباحث حامد كساب عياط الموسومة بـ "أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين" فقد وقف فيها على أثر الجهاد في الأدب الأندلسي، كما درس الأحداث التاريخية من خلال أدب الجهاد في عصر المرابطين.

وتطرق الدكتور جمعة شيخة للحروب وأثرها في الشعر الأندلسي في كتابه "الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي" لا سيما في الجزء الأول منه.

واهتم الدكتور منجد مصطفى بهجت في كتابه "الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين" بالبحث عن المصادر الإسلامية في الشعر الأندلسي.

وأشار الدكتور صلاح جرّار إلى دور الأدب في مواجهة التردي السياسي في عصر الطوائف متخذاً الهَوْزني نموذجاً في فصل من كتابه "قراءات في الشعر الأندلسي".

أما مصادر الدراسة، فقد تنوعت، فكان منها دواوين شعراء فترة الدراسة مثل: ديوان الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥هـ)، وديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ)، وديوان ابن الزقاق البلنسي (ت٥٢٩هـ)، وديوان أبي إسحق الإلبيري (ت ٤٥٩هـ)، ورسائل ابن حزم الأندلسي (ت

٤٥٦هـ)، وديوان ابن اللبانة الأندلسي (ت ٥٠٧هـ)، وجيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، ورسائل ابن أبي الخِصَال أبي عبد الله (ت٥٤٠هـ).

ومن المصادر المهمة – أيضاً – كتب عاصر مؤلفوها أحداث عصري الدراسة من مثل: كتاب "الذخيرة في محاسن الجزيرة" لابن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، وقد اشتمل على الكثير من نماذج أدب الحضّ على الجهاد، وكتاب مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب "التبيان" للأمير عبد الله بن بلقين (ت٤٨٣هـ)، وكتابي الفتح بن خاقان (٥٢٩هـ)، وهما: "قلائد العقيان"، و "مطمح الأنفس".

وقد أفادت الدراسة من بعض الكتب التاريخية الأدبية من مثل: كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام" للسان الدين بن الخطيب، وكتاب "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، لمجهول، و "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقري (ت ١٠٤١هـ)، وكتاب "خريدة القصر وجريدة أهل العصر" للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ).

وأفادت الدراسة كذلك من كتب تاريخية رصدت فترة الدراسة من مثل: "نظم الجمان في أخبار الزمان" لأبي الحسن علي الكتامي المعروف بابن القطان، وكتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي، لا سيما الجزء الرابع الخاص بالمرابطين، وكتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، وكتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٤هـ).

ومن الكتب الجغرافية كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري.

ومن الكتب التي حوت وثائق تاريخية مهمة للدراسة وتم جمعها حديثاً: كتاب الدكتور حسين مؤنس "الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين"، وكتاب الدكتور محمود علي مكي "وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين".

وقد قامت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي للنصوص موضوع الدراسة، ثم دراستها دراسة فنية؛ لمعرفة خصائص أدب الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين، ومحاوره، من غير تحميل له فوق ما يحتمل أو توجيهه وجهة معينة.

وقد قسّمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. تناولت في التمهيد تاريخ الصراع بين الأندلسيين والإسبان في عصري الطوائف والمرابطين، ثم عرضتْ دور الأدب في مواجهة الأخطار المهدِّدة للوجود الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين.

وجاء الفصل الأول ليبحث محاور الشعر الأندلسي في الحضّ على الجهاد، ودور الأغراض الشعرية الأخرى المؤازرة له في ذلك.

أما الفصل الثاني فقد خُصص لدراسة اتجاهات النثر الأندلسي في الحضّ على الجهاد، وفي الفصل الثالث جاءت الدراسة الفنية لأدب الحضّ على الجهاد، للشعر والنثر كلّ على حدّه. وفي الخاتمة عرضت الباحثة لبعض النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة أدب الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين.

وأخيراً تحمد الباحثة الله تعالى، ثم تتوجه بخالص الشكر والعرفان والامتنان لجميع من ساعد في إنجاز هذه الدراسة وتخصُّ بالذكر الأستاذ الدكتور صلاح جرار، لما سدّد ووجه، وأرشد، ونصح، وتابع، فجزاه الله خيراً، وعند الله حسن الجزاء.

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في بحثي، وأسأله جلَّ وعلا أن يثيبني على ما فيه من إجادة وصواب، وأن يعفو عن زللي وخطئي وتقصيري، والحمد لله المستعان في كل آن.

التمهيد

- الصراع بين الأندلسيين والإسبان في عصري الطوائف والمرابطين
- دور الأدب في مواجهة الأخطار المهددة للوجود الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

الصراع بين الأندلسيين والإسبان في عصري الطوائف والمرابطين :

لعل الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامــر[1] لم يدرك خطورة ما أقدم عليه، عندما أقنع الخليفة هشامــاً المؤيد بأن يوليه عهده ؛ مما أدَّى إلى مقتله، وإلى فتح باب للفتنة كبير[2]، إذ تنازع البيت الأموي على كرسي الخلافة[3]، وحاول كلٌّ منهم الاستنصار بفريق من أهل الأندلس حيناً[4]، وبالعدو أحياناً[5]؛ فسالت الدماء واضطربت الأمور[6]. وحاول الحموديون[7]، أخذ زمام

1) هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر (شنجول) نسبة إلى جده لأمه "شانجيه" ملك نافارا تلقب بالناصر وقيل بالمأمون، تولى الحجابة للخليفة هشام المؤيد بن المستنصر واستبد بالحكم، وطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده، ففعل. لكن رجال الدولة رفضوا ذلك لا سيما البيت الأموي، فقتل عبد الرحمن عام (٣٩٩هــ) وخُلع هشام المؤيد وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي، لكن البربر آزروا سليمان بن الحكم بن سليمان فاندلعت الفتنـــة.

لمعرفة المزيد عن ذلك ينظر: ابن عذاري، المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تحقيق ج. س .كولان وليفي بروفنسال. دار الثقافة – بيروت، ١٩٨٣، ج ١٥٥/٣.

والمَقَّري، أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٩٧، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م٤٢٤/١-٤٣٨، والضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص ٢١-٢٤. وينظر ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر(شنجول) في: ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، المُغرِب في حُلَى المَغْرِب، تحقيق: شوقي ضيف، ١٩٥٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤، ج١، ٢٠٨

2) ينظر تفاصيل ذلك في: المراكشي، عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،ط ١، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، ١٩٤٩، ص ٤٠ و ٤١، والمّقري، نفح الطيب، م ٤٢٤/١-٤٣٨، وابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٤، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبّادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م ١٣، ١٩٦٥و ١٩٦٦، ص ٦٦-٦٨ .وابن سعيد، المغرب، ج٢٠٨/١

3) ينظر: المراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص ٥٤-٥٦، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٦٨.

4) من ذلك: اجتماع البربر حول سليمان بن الحكم، ينظر ترجمة سليمان بن الحكم بن سليمان: ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الحُلة السُّيراء، ط٢، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، بمصر، ١٩٨٥، م٥/٢-١٢، ولتفاصيل الخبر ينظر: المراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص ٤١ و٤٢ وابن خلدون، عبد الرحمن تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٩، م٣٢٧/٧ والمقّري، نفح الطيب، م٤٢٧/١ و ٤٢٨ .

5) ينظر–مثلاً- استنصار سليمان بن الحكم بالإسبان حين أتى بهم حتى أبواب قرطبة، و استنصار سليمان بن هشام الملقب بالمهدي بهم أيضاً، وتنازل هشام المؤيد وحاجبه واضح العامري لهم عن بعض الثغور. للتفاصيل ينظر: المراكشي، عبد الواحد، المعجب، ٤٢ و ٤٣ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٣٢٦/٧ و ٣٢٧، والمقري، نفح الطيب، م ٤٢٨/١.

6) المصادر السابقة وصفحاتها نفسها.

7) قامت دولة بني حمود بعد انهيار الخلافة الأموية، ودامت اثنتين وأربعين سنة من (٤٠٧هــ -٤٤٩هــ). وكان أول أمرائها (علي الناصر بن حمود) وكان والياً على طنجة وسبتة واستولى على مالقة ثم على قرطبة وقَتلَ الخليفة الأموي سليمان بن الحكم سنة (٤٠٧هــ) وكان آخر الحموديين محمد الثاني المستعلي. للمزيد من أخبارهم ينظر: ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط ١٩٩٧، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. ق١/م٤٨١/١، والمراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص ٦٥-٦٧، لسان الدين، ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد، أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، ط٢، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦، ص ١٤٠-١٤٣، والمقَّري، نفح الطيب، م٤٣٠/١-٤٣٨، وأشباخ، يوسف. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط٢، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة

الأمر بالأندلس، لكن التنازع والخلاف دبَّ بينهم[1]، مما ساعد البيت الأموي على استعادة الحكم في قرطبـــة، ولكن ما برح النزاع في البيت الأموي يشتد أيضاً[2]. فضجر الأندلسيون من هذه التقلبات، ولم يسعهم الاحتمال أكثر، عندها وضعت قرطبـــة عاصمة الخلافـــة، اللبنة الأولى لنشأة دويلات الطوائف. عندما أصدرأهل قرطبة مرسوماً بإلغاء الخلافة الأموية؛ لعدم وجود من هو أهل لها[3]، وتم خلع آخر الخلفاء الأمويين هشام بن عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بـــ (المعتد بالله)[4]، وذلك عام (٤٢٢هـــ)، وغدت الأندلس دون إمام جامع لعراها، وانتزى كل قادر على ناحية من نواحيها[5]، وبدأ ما عُرِف بعصر "دويلات الطوائف " وعُرِفت أيامه بـــ "أيام الفِرق"[6]، وسُمي حكامه من بين ما سُمُّوا به "أمراء الفتنة"[7].

وهم كما قال لسان الدِّين بن الخطيب: " ما بين مجبوب، وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب، وغُفْل ليس في السُّراة بمحسوب"[8].

التأليف والترجمة والنشر ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٧-٣٣ وعنان، محمد عبد الله، تاريخ العرب في إسبانيا، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٤، ص ١٨٨-١٩٦، ينظر ترجمة إدريس بن يحيى العلوي الملقب بالعالي: ابن الأبّار، الحُلة السُّيراء، ج٢/٢٦-٣٠.

1) المصادر السابقة نفسها، بصفحاتها ذاتها.

2) ينظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/١٢-١٧.، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/ ٣٢٨ و ٣٢٩، والمقري،نفح الطيب، م١/٣٠١.

3) ينظر: ابن بسام، الشنتريني، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ق٣/م١/٥٢٧. والمراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص ٥٨و ٥٩، والمقري، نفح الطيب، م١/٣٠٢ و ٣٠٣ و ٤٣٩، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٤٧،

4) ينظر ترجمته في: المراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص ٥٧و ٥٨. وابن سعيد، المغرب، ج١/٢٠٨، ولسان الدين ابن الخطيب، الإحاطـــة في أخبار غرناطة، ط١، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧، م٤/٣١٥.

5) لتفاصيل ذلك ينظر: ابن خاقان، الفتح بن محمد، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط١ تحقيق حسين خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٩، ج١/٨٠، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/٣٢٨، والمقَّري، نفح الطيب،م٤/٤٤٦، و م١/٤٣٨، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٦٧.والقلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د.ت، ج٥/٢٤٨-٢٤٩،، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٦٧.

6) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٨.

7) ابن الأبّار، الحُلة السُّيراء، ج٢/٣٠.

8) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٤٤.

واتخذوا العساكر، وادَّخروا الأموال، وتستروا بالألقاب الخلافية[1]؛ ليخفــــوا أطماعهم خلفها. وقد كَثُرُ عدد تلك الدويلات، حتى زادت على عشرين دويلـــة متفاوتة قوة وضعفاً[2].

ومن تلك الدويلات المشهورة آنذاك، دويلة بني جَهْوَر التي حكمت في قرطبة من عام (٤٢٢هــ-٤٦٢هــ)[3]. ودويلة بني عبَّاد[4]، قامت في إشبيلية من عام (٤١٤هــ-٤٨٤هــ).

---

1) ينظر: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ابن بُلكيِّن، المسماة التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥، ص ١٨ وخضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م ،ص ٢٨.

2) من الدويلات الصغيرة المقامة في المدن الآتية: مدينة (لَبْلَة) الواقعة غربي إشبيلية، حكمها آل يحيى اليحصبي منذ عام (٤١٤هــ) إلى أن امتلكها المعتضد عام (٤٤٥هــ)، وإمارة (وَلْبَة) وجزيرة (شلطيش) كانتا لأبي زيد عبد العزيز البكري (ت ٤٥٠هــ) حكمهما حتى عام (٤٤٣هــ)ضايقه المعتضد واحتلهما عام (٤٤٣هــ). وكذلك (شنتمرية الغرب) حكمها آل هارون من عام (٤٣٣هــ) حاربهم المعتضد واستولى عليها عام (٤٤٩هــ). ودولة بني مُزَين في كورة (شِلْب) حاصرها المعتضد واستولى عليها عام (٤٥٥هــ) وقيل (٤٤٩هــ). ومَلَكَ المعتضد (أركش) و (شذونة) بعد قتل محمد بن خزرون عام (٤٥٨هــ). وحاصر (مورور) حتى سلَّمها له عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح سنة (٤٥٨هــ). وخلصت(رُنْدَة) له سنة(٤٥٧هــ)، أما قَرْمُوَنة فحكمها (بنو برزال) حتى ملكها المعتضد سنة (٤٥٩هــ)، واستولى على (الجزيرة الخضراء) وقضى على حكم (القاسم بن محمد بن حمود) فيها سنة (٤٤٦هــ). أما (شنتمرية الشرق) أو ما عُرِف بــ (السَّهْلة) فقد حكمها بنورَزِين منذ عام (٤٠٣هــ) حتى عام (٤٩٧هــ) حين تغلب عليهم المرابطون، وأصحاب (البُوْنت) بنو الفهري حكموا من عام (٤٠٠هــ) إلى (٤٩٥هــ)، وتغلب عليهم المرابطون أيضاً. أما بنو طاهر فتولوا أمر (مُرْسِيَه) من عام (٤٢٩هــ) إلى عام (٤٧١هــ) حين تغلب عليها المعتمد ووزيره ابن عمار ثم خلصت إلى ابن رشيق ثم للمرابطين. أما (بَلَنْسية) فقد تعدد حكامها فمن عام (٤٠٠-٤٠٨هــ) حكمها الفتيان مظفر ومبارك ثم لبيب العامري من (٤٠٨—٤١١) ثم عبد العزيز المنصور من (٤١١-٤٥٢هــ) فعبد الملك بن عبدالعزيز من (٤٥٢-٤٥٧هــ) ثم استولى عليها المأمون بن ذي النون وحكمها نائبه أبو بكر بن عبدالعزيز من (٤٥٧-٤٧٨هــ) ثم القادر بن ذي النون (٤٧٨-٤٨٥هــ) ثم القاضي ابن جحَّاف(٤٨٥-٤٨٧ هــ) ثم السيِّد (الكنبيطور) من (٤٨٧-٤٩٥هــ) ثم استولى عليها المرابطون. للمزيد من التفاصيل عن هذه الدويلات ينظر: وابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٢٣٣، وابن خاقان، قلائد العقيان، ج١/١٥٧-١٦٩، وابن الخطيب، أعلام الإعلام ٢٠١-٢٠٦، وأشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٣٨، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢١٣ و ١٨١و ٢٤٠ و ٢٩٨-٣٠٠، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون م٧/٣٤٢،القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٣٠٧، عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط٣، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣١-٦٥ و ١٥٢-١٥٦ و ١٧٦ـــ١٨٠، وأبو مصطفى، كمال السيد، بنو رزين ودورهم السياسي والحضاري في شنتمرية الشرق، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ع٣٥، ١٩٨٧، ص ٢٠١-٢٢٩.

3) ينظر تفاصيل نشأة دولة بني جهور وأخبارها: ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٠٢ و٦١٠. وابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط١، محمد شوابكة، دار عمار، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٨١، وابن سعيد، المغرب، ج١/٥٦، المقري، نفح الطيب، م ١/٣٠٣، المراكشي، عبد الواحد، المعجب ص ٧٣، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/٣٤٣، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/١٨٥ و ١٨٦ و ٢٣٢ و ٢٣٣ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/٢٥٠ —٢٦٠، وابن الأبّار، الحلة السِّيراء، ج٢/٣٤، وأشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٣٤، والنويري، أحمد عبد الوهاب، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص ١٤٥-١٤٦ .

4) لمعرفة المزيد عن دولة بني عبّاد ينظر: ابن بسام. الذخيرة، ق ٢/م١/١٣-٤١، وابن خاقان، مطمح الانفس، ص ١٧١،وابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/٣٦ و ٣٩-٥٢و ٥٣-٦٧، وابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج٧/٣٣٧و ٣٣٨، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/٢٤٨، وابن عذاري، البيان المُغرب، ج٣/١٩٠، و ١٩٤ و١٩٧، والمراكشي، المعجب، ص ٧٣ و ٩٥ و٩٦. والمقّري، نفح الطيب، م٤/٢٤٥-٢٤٩ وابن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي ١٩٧٣، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ص٣٧، والضبي: أحمد بن يحيى، بغية المتلمس، في تارخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص ١١٨ ترجمة رقم (٢٤٨) وابن خاقان، قلائد العقيان، ج١/٥١.

ودويلة ابن زيري بن مناد[1] في ناحيــة غرناطــة من عام (٤٠٣هــ-٤٨٣هــ). والدويلة الدَّنونْية[2] بطُلَيْطلة من(٤٢٧هــ-٤٧٨هــ)، والهُودية[3] بسرَقُسْطة من (٤٣١هــ-٥٠٣هــ)، والأفْطَسِية[4] بَبطَلْيَوس من (٤١٣هــ-٤٨٨هــ). والصُمادحية[5]بالمريَّة من عام (٤٣٣-٤٨٤هــ). والمُجاهدية العامرية[6] من (٤٠٥هــ-٤٦٨هــ) بالجزائر الشرقية، (جزر البليار).

والسمة البارزة لهذه الحقبــة، كثرة التنازع والتناحر بين تلك الدويلات[7]، فكانت "نيران الفتنة بينهم مشتعلة، والرَّعية مهملة؛ لأن جُمْلَة غلاتهم، وجميع اعتمالاتهم كانت تتلف بأيدي تلك الطواغيت"[8].

---

1) للمزيد عن الدولة الزيرية: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٩-١٧٤. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٢٧-٢٣٥، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/١٩١، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون م ٣٤٦/٧ والقلقشندي، صبح الاعشى، ج٥/٢٥١ والنويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٧١

2) للمزيد عن الدويلة الذَّنونية ينظر: المقَّري، نفح الطيب، م١/٤٤٠، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ٧٩وابن سعيد، المغرب، ج٢/١٢ و ١٣. وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٦ وما بعدها، والمراكشي، المعجب، ص ٧٢، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م ٣٤٧/٧، والنويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٤٦-١٤٨، أشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٤٠.

3) للمزيد من التفاصيل عن الدولة الهودية ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، ص ١٧٠-١٧٥، وابن الأبّار الحلة السِّيراء ٢٤٥/٢، وابن سعيد، المغرب، ج٢/٢٥١ و ٤٣٦ – ٤٣٨. والمقري، نفح الطيب، م١/٤٤١، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/١٧٥-١٨٠، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/٣٥١-٣٥٢، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/٢٥٥، والنويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٦٩

4) وللمزيد من أخبار الدولة الافطسية ينظر: ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/٩٦-٩٧ ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلاميـــة)، ص ١٨٢، والمراكشي، المعجب، ص ٧٥، والمقَّري، نفح الطيب، م١/٦٦٣و ٤٤٢، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/ ٣٤٤-٣٤٥، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٣٥-٢٣٦.

5) للتفاصيل عن الدولة الصُمَادحية ينظر: ابن الأبّار، الحلة السِّيراء، ج٢/٨٨، والمراكشي، المعجب، ص ٧٤، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/١٧٤، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/٢٥٤، وابن الخطيب، أعمال الأعلام(تاريخ إسبانيا الإسلاميـــة)، ص ١٨٩-١٩٢، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٧/٣٥٥.

6) للمزيد عن الدولة المجاهدية ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٥٦-٢٥٧، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/١٥٥ و ١٥٧، والمراكشي، المعجب، ص ٧٤، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تاريخ إسبانيا الإسلاميـــة)، ص ٢١٧ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م ٣٥٤/٧-٣٥٥، والنويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٦٩ .

7) من الفتن ما كان بين الدويلة العبّادية والدويلة الأفطسية، وما كان بين الأخيرة والدويلة الذَّنونية وما بين الدويلة العبّادية والدويلة الذَّنونية وما كان من فتن بين مجاهد العامري وابن عبد العزيز صاحب بَلَنْسية ، وما كان بين مجاهد وابن هود، وغيرها كثير، عن هذه الفتن وغيرها ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٢٠ و ٢٢و٣٣ و٣٦ و ق٣/م ٢٠/١ و ٢١ و ق١/م٢/٦٥٦-٦٦٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٤ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/٢٥٣، وابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/٨٢.، وابن عذاري، البيان المُغرب، م٣/١٦٦و٢٠٢ و٢١٢ و ٢٣٧ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٤٤١/٧ و م٧/٣٥٤ و٣٤٤و ٤٤١ .

8) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٢٥٤ .

حتى إن بعض الأسر الحاكمة، لم تسلم من التنازع بين أفرادها، فهذا المعتضد - مثلاً – يقتل ابنه إسماعيل[1]، وأحمد بن سليمان بن هود يحاول الفتك بأخيه[2]. وقد لجأ بعضهم إلى المرتزقة[3] في تلك الفتن، وانغمسوا في الترف[4]، وأدُّوا الأتاوة للقشتاليين[5].

وقد استعدى بعضهم على بعض بأعدائهم (الإسبان)، وبذلوا لهم الأموال، والحصون، والقلاع[6]، حفاظاً على عروشهم أو تحقيقاً لأطماعهم التوسعية[٧]، مما شجع القوى الإسبانيـــة (الممالك الشمالية النصرانية) على توجيه الضربات للأندلسيين، والعمل لاستغلابهم على أراضيهم.

وبدأت الحصون، والقلاع المنيعة تتهاوى أمام ضربات الهجمات الإسبانية، وجيوش الأندلس المتفرقة تقف عاجزة عن نصرة بني جلدتها، أو حتى الدفاع عن نفسها، وقد رصد ابن بسَّام بدايات السقوط قائلاً: " سقطت مدينة قُوْرِيَة[8] وسُرِتَّه[9]، أولاً في يد العدو، إلى عدة

---

1) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٤٤، والمراكشي، المعجب، ص ٩٧، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥٦.

2) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٤٢٣، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٢٣ و ٢٢٢.

3) ينظر مثلاً: دور أحمد بن يوسف بن هود في إخراج السيد الكنبيطور (القمبيطور) (رودريجو دياز دبيبار) من الخمول حتى استطار شره، وقد كان قائداً لفرقة من الجند المرتزقة عمل في خدمـــة ألفونسو السادس أحياناً، وأحياناً في خدمة بني عبّاد وبني هود وغيرهما وحكم بَلَنْسية لعدة سنوات حتى مات فيها سنة (٤٩٢هـــ) للمزيد ينظر: ابن بسام الذخيرة، م ١/ق٣/٩٥، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٣٠٦، ومؤنس، حسين، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، م٣، ع الأول،، مايو، سنة ١٩٥٠، من ص ٣٧ —٨٧، أشباخ، تاريخ الأندلس، ص ١٠٦-١٠٩، وليفي، بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٧٤.

وينظر استعانة المأمون بن ذي النون بجنود مرتزقة، ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦١٣.

4) من ذلك ينظر في، المقَّري، نفح الطيب، م١/٦٤٤ و ٦٤٨ و٦٦٧ و٦٦٥ و ٦٦٦ و ٤٤٠ و م٤/٢٥٩ و ٢٧٢ و٢٨٠. وابن بسَّام، الذخيرة، ق ١/م ٢/٧٣٥، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٧. وابن الأبّار، الحلة السِّيراء، ج٢/١١٢، وابن بسَّام، الذخيرة، ق ١/م ٢/٧٣٥، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٧.

5) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، م١/ق٢/٢٥٢.

6) ينظر: مذكرات الأمير عبدالله، ص ٧٨، ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٢٤٨، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٨، وابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/١٤٥، و ١٤٦، وأشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس، ص ٤٥.

7) سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلاميـــة في الأندلس، جامعة الجزائر، ١٩٩١م، رسالة دكتوراه دولة، ص ٣٠، و العربي، إسماعيل، دولة بني زيري ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، الجزائر، ١٩٨٢، ص١٤٨.

8) قُوْرِية: من نواحي ماردة بالأندلس، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، م٤/٤١٢، والبغدادي، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥، ج٣/١١٣٢.

9) سُرِتَّه: مدينة بالأندلس متصلة الأعمال بأعمال شنت بريه وهي شرقي قرطبـــة منحرفة نحو الجوف بينها وبين طُلَيْطلة عشرون فرسخاً، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م ٣/٢٠٧، والبغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢/٧٠٤.

حصون، وقلاع كلّها في غاية من الحصانـــة والامتناع"[1]، وتهاوت أيضا قلعة " قَلَهُرَّة" عام (٤٣٧هـــ)[2].

واستدرج الإسبان أهلَ بَلَنْسية في موقعه" بَطَرْنة[3]" سنة (٤٥٦هـــ)، و " أهلها جاهلون بالحرب، مغترون بأمر الطعن والضرب، مقبلون على اللّذات"[4].

ولم يزل الإسبان يزدادون قوة بتحالفهم، وبأموال الأندلس التي تتدفق إلى خزائنهم، و ما فتىء الأندلسيون يضعفون بفُرقتهم، وبثقل المغارم والأتاوة المستحقة عليهم[5]، وازداد اختلال ميزان القوى لصالح الإسبان، واندفعوا في حركة الاستغلاب (الاسترداد)، فحاصروا مدينة (قُلمْرِيَّة)[6] واحتلوها سنة (٤٥٦هـــ) .

وسقطت "بَرْبَشْتر"[7] عام (٤٥٦هـــ)، وعُومِل أهلها بوحشية لا مثيل لها من قبل[8]، وارتجت الأندلس لذلك، وانطلق الفقهاء والأدباء يحضُّون العامة والخاصة على الجهاد لاسترجاعها[9]، واجتهد المقتدر بالله أحمد بن هود حاكم سَرَقُسْطة؛ لإصمات الألسن التي حمَّلته مسؤولية سقوطها[10]، فأعادها إلى حمى الإسلام عام (٤٥٧هـــ).

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٢٤٩..

2) ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٨، قَلَهُرَّة: مدينة من أعمال تُطيله شرقي الأندلس، الحموي ياقوت، معجم البلدان، م٤/٣٩٣، والبغدادي، مراصد الأطلاع، ج٣/١١١٩.

3) للمزيد من التفاصيل عن موقعة بَطْرنة ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٩٥، وابن بسَّام، الذخيرة، ق ٣/م٢/٨٥٤-٨٥٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٢٥٢، والمقَّري، نفح الطيب، م٤/٤٤٨.

4) المقَّري، نفح الطيب، م٤/٤٤٨.

5) ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٧٢، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص ٨٢وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٣٩.

6) ينظر تفاصيل سقوط (قُلُمْرِيِّة): ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨٤، وابن عذاري ،البيان المغرب ،٣/٢٥٣ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٢٥٣، قُلُمْرية: مدينة بالاندلس منيعة، ينظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧، ص ١٦٤. وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٤، والحموي، ياقوت، معجم البلدان، م٤/٣٩١، والبغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣/١١١٨.

7) بربَشتَر: مدينة عظيمة في شرق الأندلس، حصينة فائقة الامتناع، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٩، والحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م١/٣٧٠ و٣٧١ والبغدادي، والبغدادي، مراصد الاطلاع، ج١/١٧٦.

8) تفاصيل سقوط بربشتر واسترجاعها ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩-١٩٠، ومجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص ٧٦، المقَّري،نفح الطيب، م٤/٤٤٩ و٤٥٤.

9) ينظر: ابن عذاري، البيان الغرب، ج٣/٢٢٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/٢٦١.

10) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق ٣/م١/١٨٩-١٩٠، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٧٣.، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧١، والمقَّري، نفح الطيب، م٤/٤٥٤.

ومع ذلك فما برح الضعف، والتخاذل، والتدابر[1] في ازدياد. ثم " حلّت الفاقرة"[2].

وسقطت "طُلَيْطلة "[3] عام (٤٧٨هـ)، أمام أعين ملوك الطوائف الذين لم يحركوا ساكناً لنجدتها.

بل كانت رسلهم تتجرّع الذل على أبواب ألفونسو السادس[4]، وبسقوطها إنهار وسط الثغر الأدنى، وبلغ الإسبان بعض أمانيهم[5]، وأمسكوا بمخالب الأندلس[6]، عندها أبصر ملوك الطوائف واقعهم المر، وشعروا ككل الأندلسيين بصدمة قوية.

أمّا (الفونسو السادس)[7]، فلم تعد الأتاوات توقف تقدُّمه أو حتى تؤجلها، فنهمه لإبتلاع المزيد من المدن، والقلاع قد ازداد[8]."وصار يروم أخذ القواعد"[9]. وأحسَّ ملوك الطوائف بذلك، لذا فكر بعضهم بطلب المساعدة من المرابطين.

---

1) ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس،ص ٧٤، المقَّري، نفح الطيب، م٤/٣٥٦ و م ١/٢١٥.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٢٤٩.

3) للمزيد عن سقوط طُلَيْطلة ، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٩٢ و٩٣ و ق٤/م١/١٥٠-١٦٩ والقلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٥٢، و المقَّري، نفح الطيب، م٤/٣٥٢ و ٤٤٧. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط١، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٧، م ٨/٤٣٩

طُلَيْطلة : بلدة حصينة في غايـــة المنعة وهي دار المُلْك بالأندلس، حصينة عالية الذُّرى وكانت دار مملكة الروم، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠، والمقري، نفح الطيب، م٤/٣٥٣ و م١/١٦١، والحموي: ياقوت، معجم البلدان، م٤/٣٩، والبغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢/٨٩٢، والادريسي، أبو عبد الله، القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص /٢٥٦.

4) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/ ١٦٦، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٨١، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٨.

5) ينظر: أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس،ص ٦٨،وبروفنسال، ليفي. الإسلام في المغرب والأندلس، ص١٢٠.

6) ينظر في تشبيه علي بن يوسف بن تاشفين لما دخل الأندلس بعد ذلك وأمعن النظر فيها، حيث صَوَّر الأندلس بعقاب مخالبه إشبيلية، المقَّري، نفح الطيب، م١/١٩٠.

7) ألفونسو السادس فرذلند بن غرسيه شانجة ت(٥٠٢ه) بطُلَيْطلة بعد أن حكم لمدة خمسين عاماً، يُدعى في المصادر العربية، بـــ (اذفونش) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٥٠-٥١.

8) ابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٢٥.

9) الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠١.

ويعدُّ المتوكل أبا حفص عمر بن الأفطس (ت ٤٨٨هــ)[١] هو أول من استنجد بيوسف بن تاشفين[2] وحضّه على جهاد الإسبان وأرسل له الرسائل قبل سقوط (طُلَيْطلة)[3] وربما أرسلها عام (٤٧٤هــ) بعد سقوط " سُرُتَه"، و "قُورية"[4].

ومما لا شك فيه أن الوفود من أهل الأندلس من الخاصة والعامة[5]، وصلت بلاط يوسف بن تاشفين قبل وصول رسائل رؤسائهم[6]، ولا تسعفنا المصادر التاريخية القديمة في تحديد تاريخ محدد لبدء توافد الأندلسيين إلى بلاط المرابطين .

ولا يمكننا أيضاً تجاهل جهود شيوخ قرطبة – مثلاً – عند اجتماعهم[7]، بعد سقوط طُلَيْطلة بقاضي الجماعة فيها أبي بكر محمد بن أدهم[8]، بعد أن رأوا أن الأوضاع في الأندلس تزداد سوءاً، وأن الأندلسيين – وحدهم – لا يمكنهم الوقوف أمام زحف الإسبان.

---

1) هو: أبو حفص عمر الملقب بالمتوكل: اهتم بالأدب الأدباء، له نثر ونظم، تولى حكم مملكة "بَطَلْيوس" بعد موت أخيه يحيى بن محمد الملقب بالمنصور، عام(٤٦٤هــ)، قتل مع ولديه الفضل والعباس سنة (٤٨٧هــ) وقيل (٤٨٨هــ)،ينظر ترجمته في: ابن سعيد، المغرب ٣٦٤/١ ورايات المبرزين، ٢٩، وابن خاقان، قلائد العقيان، ج١/١٢٠-١٤٥. وابن دحية، المطرب، ٢٤. والمقّري، نفح الطيب، ٤٤٢/١ و ٢٩٣/٣ وابن الخطيب، الإحاطة م٤/٤٢-٤٧.

2) يوسف بن تاشفين أبو يعقوب، أمير المسلمين حكم من (٤٥٣-٥٠٠هــ)، تولّى أمر المرابطين وحكم المغرب بعد سفر ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر المتوني إلى جهاد السودان، ثم تنازل ليوسف عن الحكم، جاز إلى الأندلس عدة مرات، كان جواداً، زاهداً، ينظر ترجمته وابن عذاري، البيان المغرب، ٤٦/٤، ومجهول، الحلل الموشية، من ٨١-٨٣: ابن الخطيب، الإحاطة، م٤/٣٤٧، وابن الأثير، الكامل في التاريخ م٩/٩٩ و م٨/٣٣٠، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٣٦ و ١٣٧. وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، م٧/١١٢.

3) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م٢/٦٥٣ و٦٥٥، وابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢/٩٩، الحاشية الأولى ومؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٣و٣٤ وابن الخطيب، الإحاطــة، م٤/٣٥٠.. وباشا، ضيا، الأندلس الذاهبة، ط١، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، منشورات وزارة الإعلام الأردنية، ١٩٨٩، ج٢/٧٤، وسالم، سحر السيد، تاريخ بَطَلْيوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت. ج٢/٣٧،

4) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.

5) ينظر: الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، مطبعة دار الكتاب، ١٩٥٤، ج٢/٣٣ و٣٤ ومجهول، الحلل الموشية، ص ٣٣ و ٣٦ و٣٨ والمقري، نفح الطيب، م٤/٣٥٩ و ٣٦٠. و ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م١١/٣٨٢

6) ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة م٤/٣٥٠، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٣٣و ٣٤. الناصري، الاستقصا، ج٢/٣٩.

7) الناصري، الاستقصا، ج٢/٤٠.

8) هو: أبو بكر محمد بن أدهم(ت ٤٨٦هــ)، كان قاضي الجماعة بقرطبة، أيام المعتمد ينظر ترجمته: المقّري، نفح الطيب، ٣٥٩/٤. وابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١١٨٩، ج١، الصِّلة، ج١/٢٩٣.

وعندما علم المعتمد بن عبّاد (ت٤٨٨هـ)[١] بذلك، أيّد تلك المساعي بأن طلب قاضيي الجماعة في كل من غِرْناطة، وبطَلْيوس، وأرسلهما إلى المرابطين[2]، مع قاضي الجماعة في قرطبـــة أبي بكر محمد بن الأدهم، ووزيره أبي بكر بن زيدون، أرسلهم مستنجدين حاضّين يوسف بن تاشفين على الجهاد[3].

ولبّى أمير المرابطين النداء، واشترط أن يتم التنازل عن الجزيرة الخضراء[4]، لتأمين الخطوط الخلفية لجيشه[٥].

وبعد عبوره إلى الأندلس، بعث برسائل إلى رؤسائها يحضّهم فيها على الجهاد[6]، واجتمعوا على "حسن النيات، وإخلاص الضمائر، كأن القلوب إنما جُمِعَت على ذلك"[7]، فكانت موقعة" الزلاّقة "[8] وكان النصر حليفاً للمرابطين والأندلسيين .

---

1) هو أبو القاسم: محمد بن عبّاد الملقب بالمعتمد له عناية فائقة بالأدباء والعلماء وله ديوان شعر، تولى حكم مملكة" إشبيلية" بعد موت أبيه المعتضد عام (٤٦١هـ)، وخلعه المرابطون عام (٤٨٤هـ)، توفي بأغمات في العدوة المغربية عام (٤٨٨هـ)، ينظر ترجمته في: ابن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص ٣٧والضبي، بغية الملتمس،ص ١١٨، ترجمة رقم (٢٤٨) وابن خاقان: قلائد العقيان، ج١/٥١،، وابن بسام الذخيرة، ق ٢/م١/٤١. وابن الأبّار، ألحلة السيراء، ج٢/٥٢-٦٧والمقري،نفح الطيب، م ٤/٢٤٥-٢٤٩

2) يقال لهم المرابطون والملثمون واللمتُونيون، حكموا الأندلس من (٤٨٣ – ٥٣٩هـ)، وهي دولة نشأت في العدوة المغربية، وقامت على أسس دينية وكان الجهاد من أهم أركانها. للمزيد عن نشأة دولتهم ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ١٩-٣٢ وابن خلدون، ١١/٣٧٣-٣٧٨، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٢٢-١٣٥، والناصري، الاستقصا، ج٢/٥-٢٢، وابن أبي دينار، المؤنس، ١٢٨-١٣٠، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤/٧-٢٨ أحمد محمود حسن، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت. ص ١٠٠ وما بعدها.

3) ينظر: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٣، والناصري، الاستقصا، ج٢/٣٩، والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٨٦. وينظر أيضاً رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن المعز بن باديس يوضح فيها استنجاد الأندلسيين به المرة بعد المرة ينظر: حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للأندلس وشمال إفريقية، ط١، منشورات الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٩.

4) الجزيرة الخضراء: بالأندلس، وهي على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به، ينظر: والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٣-٧٥ والأدريسي، القارة الأفريقية، وجزيرة الأندلس، ص ٢٦٣.

5) ينظر: الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٢ و ١٠٣ ومجهول، الحلل الموشية، ص ٥٠.

6) ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٨٧. ومجهول، الحلل الموشية، ٥٢.

7) الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله،ص ١٠٤.

8) الزَّلاقة: بطحاء الزَّلاقة من إقليم بَطَلْيَوس من غرب الأندلس، فيها كانت الوقيعة الشهيرة للمسلمين سنة (٤٧٩هـ). ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ٨٣-٩٥، والبغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢/٦٦٩، والحموي، ياقوت، معجم البلدان، م٣/١٤٦.

للمزيد عن موقعه " الزلاقة" ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١١/٣٨٣، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٤٦-١٥٠ والمقَّري، نفح الطيب، م٤/٣٥٤ وابن الخطيب، الإحاطة، م٤/٣٥٢، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٥٢-٦٢، وابن الأثير، الكامل، م٨/٤٤٥ و٤٤٧، والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ٩٠-٩٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١١٦ و ١١٨، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٣و٩٤، وابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق، أحمد مختار العبّادي،

وعاد المرابطون إلى المغرب[1]، وعاد الإسبان لمضايقة الأندلسيين، فهذا حصن "لِيَّيْط" اتخذوه قاعدة لشن الغارات لقتل الأندلسيين أو أسرهم، أو سبيهم ونهب ممتلكاتهم، فتوالت الوفود مرة أخرى على أمير المرابطين، تحضّه على الجهاد لحماية الإسلام والمسلمين[2].

وجاز المعتمد بن عبّاد البحر، والتقى بأمير المرابطين للهدف نفسه[3]، وجاءت استجابة المرابطين، بعبور ثانٍ عام (٤٨١هـ)، استدعى يوسف بن تاشفين فيه رؤساء الأندلس ؛ لحصار حصن " ليّيْط".

وحضروا وتم حصاره، وتعذر فتحه[4]؛فآثر أمير المرابطين فك الحصار، والعودة إلى بلاده، وقد أطّلع عن قرب على اختلاف كلمة أولئك الرؤساء[5]، فالأمير عبد الله صاحب غَرناطة [٦] يقول في مذكراته: "وقد اطّلعَ عياناً وسماعاً من اختلاف كلمتنا ما لم يرَ وجهاً لبقائنا في الجزيرة"[7].

ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ص ٢٤٠ و ٢٤٢ و٢٤٤، وابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٣١، والمراكشي، المعجب، ص ١٣٥، وأشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس، ص ٨١-٨٧.

1) ينظر مناقشـــة عودة يوسف بن تاشفين بعد الزَّلاقة(عودة بعد الزَّلاقة) و (عودة لعودة يوسف) دندش، عصمت عبد اللطيف، مجلة دعوة الحق (الرباط) العدد ١٩٨٧/٢٦٦، ص ٧٧-٧٩، و ع/٢٦٢لعام ١٩٨٧، ص ١٠٠-١٠٤، وينظر المقالتان نفسهما في: دندش، عصمت، أضواء جديدة على المرابطين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، ص ٥٧-٦٧ و ٧١-٧٧.

2) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٧.

3) ذكر المراكشي في المعجب، ص ١٣٠، وابن الخطيب أعمال الأعلام، ص ٢٤٥ و ٢٤٦ والإحاطة، م٤/٣٥٠، أن المعتمد جاز إلى العدوة قبل الزَّلاقة، (٤٧٨هــ)، لكن المرجح لدى الباحثة أن جواز المعتمد للعَدْوة المغربية تم بعد الزَّلاقة للاستنجاد، لا سيما بعد التضييق على الأندلسيين من حصن (لِيّيْط) الذي بناه الإسبان لمضايقتهم، اعتماداً على المصادر الآتية: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٠٨. ابن الخطيب، أعلام الأعلام، القسم الثالث، ص ٢٤٩، ومجهول الحلل الموشية، ص ٦٧..

4) تفاصيل حصار حصن (لِيِّيط) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٨-٧٠، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٦ و ٢٤٧، وابن الأثير، الكامل، م٨/٤٤٨، والناصري، الاستقصا، ج٢/٥١، أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس، ص ٩١.

5) من ذلك نزاع المعتمد بن عبّاد وابن رشيق على مرسية ينظر: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١٠-١١١، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥٢ والناصري، الاستقصا، ج٢/٥٢، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٣٨٤/١١، وابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثالث، ص ٢٥٠ و نزاع المعتمد والمعتصم بن صُمادح، والأمير عبد الله صاحب غرناطة وأخيه تميم ينظر: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١٣، ومجهول: الحلل الموشية، ص ٦٨-٧٠.

6) هو: الأمير عبد الله بن بُلقَّين بن باديس بن حبوس بن زيري، حكم مملكة غرناطة من عام (٤٥٦ه)هــ بعد وفاة أبيه،إلى أن عزله المرابطون عام (٤٨٣هــ)، ينظر ترجمته في مقدمة مذكرات الأمير عبدالله، ص ٦-٨، وص ٢٠٩، وابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة، م٣/٣٧٩.

7) الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله،ص ١٠٧.

وهذا ما حصل فعلاً، إذ جاز يوسف بن تاشفين بجيشه للمرة الثالثة عام (٤٨٣هــ) وحاصر (طُلَيْطلة)، ولم يأت أحد من رؤساء الأندلس لمساندته في ذلك[1].

وقيل إنهم هموا بغدره، فعزم على خلعهم [2]. واستهل ذلك بخلع صاحب غرناطة، الأمير عبد الله بن بُلقين (بلكين)، وأخيه تميم عن مالقة، ونفاهما إلى العُدْوة المغربية[3]، ثم عاد أمير المرابطين إلى بلاده، وأكمل بعض قادته مهمة خلع بقية ملوك الطوائف[4].

ولم يبق إلا ابن هود بسَرَقُسْطة؛ سدّاً بين المرابطين وبين الإسبان ولو إلى حين[5]، وعادت الأندلس متحدة الأجزاء تحت حكم المرابطين، وما لبث المرابطون والأندلسيون أن اندفعوا في حركـــة استرداد مضادة للإسبان، استردوا خلالها بعض المدن والقلاع[6].

وجرت معارك طاحنة بين الطرفين، وكان النصر حليفاً للإسبان حيناً[7]، وللمرابطين والأندلسيين أحياناً[8]، حتى إذا أطلّ عام (٥١٨هــ) وقع المرابطون بين مطرقـــة الإسبان في

---

1) ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥٣.

2) ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٣١ و ١٣٢.

3) ينظر: الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص ١٤٧-١٦٧، والناصري، الاستقصا، ٢/٥٣.

4) لتفاصيل خلع ملوك الطوائف ينظر: ابن الأثير، الكامل، م٨/٤٦٧-٤٧٠، ومذكرات الأمير عبد الله، ص ١٦٩-١٧٠، وابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثالث، ص ٢٥٠، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٧١ و٧٢، والمقري،نفح الطيب، م٤/٢٧٦، وابن الخطيب، الإحاطة، ٢/١١٦ و ١١٧ وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١٢٢، م ٥/٣٠ و م٧/١٢٢، وأشباخ، تاريخ الأندلس، ٩٤ و ٩٥.

5) مجهول، الحلل الموشية، ص ٧٤، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١١/٣٨٥سيطر المرابطون على سرقسطة عام (٥٠٣هــ)

6) فمثلاً: عام (٥٠٣هــ) قام علي بن تاشفين أمير المسلمين بإعادة سبعة وعشرين حصناً من أعمال طُلَيْطلة ، وفتح مجريط ووادي الحجارة، وحاصر طُلَيْطلة شهراً، ينظر:مجهول، الحلل الموشية، ص ٨٥، والناصري، الاستقصا، ٢/٦٥، وحرر علي بن تاشفين أيضاً مدينة (قُلْمريـــة) الحصينـــة سنة (٥١١هــ). ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص ٨٥، وابن للخطيب، الإحاطة، م٤/٥٨، عدا عن جهود المرابطين لاسترجاع (بَلَنْسية) عام (٤٩٥هــ) ينظر: المقري، نفح الطيب، م٤/٤٥٥ وفتحهم " طلبيرة" سنة ٥٠٣هـــ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب ٤/٥٢، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٤.

7) من ذلك: اختراق ابن رذمير سنة (٥٢٠هــ) الفونسو المحارب لأرض الأندلس من الشمال إلى الجنوب بعد أن تواترت كتب المعاهدة تشجعه على القدوم، للتفاصيل ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٧٠-٧٢-٧٣، وابن الأثير، الكامل ٩/٢٣٥، واشباخ، تاريخ الأندلس، ٢/٢٤٨، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٩٠-٩٧. وينظر (SIMONET, FRANCISCO, HISTORIA DE LOS MOZARABES DE ESPANA, EDICIONES TURNER, MADRID,1989, TOMO III, P648, TOMO IV,P745) ومعركة (كُتُنْدَة) (قتندة) التي انهزم فيها المرابطون والاندلسيون وسقوط سرقسطة عام (٥١٢هــ)، للمزيد ينظر: المقّري،نفح الطيب، م٤/٤٧٢ و ٤٦٠، وأشباخ، تاريخ الأندلس، ص ١٤٤ وابن القطان، جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، د.ت، ص ١١١.

8) من ذلك انتصارهم على الإسبان في معركة " أقليش " سنة (٥٠١هــ) وقيل (٥٠٢هــ) والتي قتل فيها سانشو ابن ألفونسو السادس وعدد كبير من الفرسان الإسبان للمزيد ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس، المطرب،ص ١٥٩، والناصري، الاستقصا، ٢/٦٣ و٦٤، وابن عذاري،البيان المغرب، ٤/٥٠ ابن القطان، نظم الجمان، ص٥، ومعركة الزّلاقة الثانية، سنة (٥٢٨هــ) جرت بأحواز بَطَلْيوس بقرب

الأندلس، وسندان الموحدين في المغرب بزعامة (محمد بن تومرت)[1] الملقب بالمهدي. فاضطرب أمرهم، واضطروا بعد حين إلى سحب بعض قواتهم من الأندلس للدفاع عن قواعدهم في المغرب.

وبعد ذلك، بدأت الفتن والثورات تُطلُّ من الأندلس[2]، مما شجع الإسبان على زيادة وتيرة حركة استغلابهم (استيلائهم) لأراضي الأندلس.

وعانى المرابطون في معاركهم مع الموحدين، ثم اختل أمرهم[3]، فزحف الموحدون إلى مَرّاكُش وحاصروها، واستطاعوا دخولها عام (٥٤١هـ)[4].

وبذا أفل نجم دولة المرابطين[5]، التي وصفها ابن الخطيب بقولـــــه:"كانت دولتهم دولة خير، وجهاد، وعافية، وأكثر الدول جرياً على السُّنة رحمة الله عليهم"[6].

موقع موقعة الزَّلاقة الأولى، وانتصر فيها المرابطون والأندلسيون – أيضاً - للمزيد ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث،ص ٢٥٨، وابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٨٨-٨٩، وابن الخطيب، الإحاطة،م١/٤٥٢ ومجهول، الحلل الموشية، ص ١٢٢-١٣٠، ومعركة (إفْراغَة) هُزم فيها الفرنسو المحارب على يد يحيى بن علي بن غانية للمزيد ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤، وابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٠٧. وابن الأثير، الكامل، ٩/٢٨٧، وابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثالث، ص ٢٥٤.

1) محمد بن عبد الله بن تومرت المتلقب بالمهدي(ت ٥٢٤هـ)، ظهر أمره سنة (٥١٤هـ) بمراكش وتسمى بالمهدي سنة (٥١٨هـ) وحارب المرابطين حتى هزمهم في أكثر من معركة، وعند موته تسلم عبد المؤمن قيادة الموحدين ينظرترجمة المهدي: مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٣-١١٩ وابن خلكان، وفيات الأعيان م٥/٤٥.

2) من ذلك: ثورة ابن قسي (ثورة المُرِيدين)، وثورة ابن حمدين بقرطبة سنة (٥٣٩هـ). للمزيد ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، إسبانيا الإسلاميـــة، ص ٢٤٨-٢٥٤ والضبي، بغية الملتمس، ص ٤٢.

3) ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٧٧، والمقَّري، نفح الطيب ،٬ م١/٤٤٢، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م١١/٣٨٨، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١٢٧.

4) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص ١٣٧، والقلقشندي، صبح الأعشى، م٥/٢٥٩ و ١٩٠، وابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١٠٤-١٠٨.

5) ينظر سبب تلثمهم واتخاذه سُنة يتوارثونها في: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م١١/٣٧١، الناصري، الاستقصا، ج٢/٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١٢٩، ومجهول، الحلل الموشية، ص ١٨ و ابن الأثير، الكامل، م٨/٣٣٠. ابن عذاري، والبيان المغرب ٤/١٠٣.

6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ٢٦٥.

دور الأدب في مواجهة الأخطار المُهدِّدة للوجود الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين:

لا يمكن فصل الأدب بحال من الأحوال عن مجتمعه؛ فهو الرئة التي يتنفس بها المجتمع، فيرصد الأحداث ويتفاعل معها، فهو " فعل حياة "[1]. وهو أيضاً المعِّبر عن حال الأمم، المدافع عن كيانها، ووحدتها، وقوتها، وهو الناقد لضعفها وتفككها وفسادها، فالأدب جزء أساسي من تكوين أي أمة ودوره فيها لا يمكن تجاهله، لا سيما في أوقات محنتها[٢]، وتكالب الأعداء عليها، عندها تغدو الكلمة سيفاً مجرداً يدافع عنها ويدفع بأعدائها.

ولم يكن الأدب الأندلسي بعيداً عن كل ذلك، فقد أدّى دوراً مهماً في مجتمعه، إذ رصد الأحداث وسجلّهـا. واستنهض الهمم للدفاع عن الكيان الأندلسي المُهدَّد، فـدعا للوحدة ورصِّ الصفـوف، وبكى المدن بعد سقوطها فرثاهـا، ومدح، وانتقد، ووصف، وهنَّأ، بل وساهم - أحياناً - في صناعة بعض الأحداث كما سنرى.

وقد لاحظ بعض الباحثين ازدهار الحياة الأدبية في عصر الطوائف ونضوجها، على الرغم من التفكك السياسي والفرقة والحروب الداخلية فيه [3]، في حين أيَّد آخرون القول بتواضع الحياة الأدبية في عصر المرابطين؛ معللين ذلك بإقبال أمرائهم على الجهاد، مما قلل من اهتمامهم بالأدب[4].

---

1) مينه، حنا، والعطار، نجاح، أدب الحرب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، دمشق، ١٩٧٦، ص٤٠.

2) ينظر: القيسي،نوري حمودي، الشعر والتاريخ، منشورات جامعة بغداد،١٩٨٠، ص ١٧-٢٩.

3) ينظر :بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٥٥، ص ٧٨ و ٢٠٧، وينظر: شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت. ص ٢٢١، وينظر: السعيد. محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبّاد، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢، ص ٥٩-٦٣، والبشري، سعد بن عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٣، ص ٢٩٥-٣٢٩، والكيلاني، حلمي، السميسر، حياته وشعره، مؤتة للبحوث والدراسات،م٧، ع١، ١٩٩٢، ص١٠٣، وخالص صلاح، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ص٢٥. والبلداوي، حميدة، الزهو بالشاعرية عند شعراء الأندلس (عصر الطوائف والمرابطين) ،دراسات أندلسية، ع ٢٨، ٢٠٠٢م، ص ٥٣، وداربيه. راشيل، ابن زيدون وبنو الأفطس. أوراق جديدة. مدريد، ع٧و ٨، عام ٨٤ و ٨٥، ص ٦٩-٧٣.

4) ينظر: خضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص٥٥، وأشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج٢/٢٥٠,و٢٣٩، وبلا فريج، أحمد، وخليفة، عبد الجليل، الأدب الأندلسي، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان، ١٩٤١، ج١/٧٦، وبالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١٢٣و٢٠و٢١. وضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، ط٢، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ١٩٩٨م، ص ١٦.

إن نظرة فاحصة إلى كتب التراجم في تلك الحقبة، ربما تجعلنا نخالفهم الرأي، لا سيما وأن عدداً كبيرا من الأدباء المخضرمين قد عاشوا في الحقبتين كلتيهما، وواصلوا الإنتاج والمساهمة في الحركة الأدبية المرابطية أيضا[1].

ومما لا شك فيه أن الأدباء في عصري الدراسة، لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الأخطار التي أحدقت بالأندلس، ولم يكن صوتهم للمِّ الشمل ضعيفاً[2] لا سيما وأن لا فصل بين الأدب والسياسة، والدِّين آنذاك ؛ لذا نجد معظم الأدباء كانوا فقهاء أيضاً، فالعامل الديني في الحرب بين الأندلسيين والإسبان، كان فعالاً نظراً لطبيعة الصراع بينهما، فقد كان صراعاً عقائدياً وعسكريا كمنت فيه مدافعة كل حضارة لضدها.

ولا يمكننا تجاهل الدور الديني الذي دفع به رجال الدِّين[٣] نحو إذكاء الروح الدينية النصرانية للإسبان وغيرهم من الأوروبيين، لمحو الوجود الإسلامي في الأندلس[4].

وفي المقابل كان علماء الدِّين المسلمين محرضين على الجهاد، ودافعين للهمم؛ للدفاع عن الوجود الإسلامي في الأندلس، حتى إنّهم فَضلوا الجهاد على الحج [5].

بل وشارك العديد من الفقهاء – كما القساوسة – في الحروب، وسقط منهم شهداء في معارك عديدة[1]، فقد وسعوا حدود الكلمة إلى الفعل، فهذا ابن رُمَيْلة أحمد بن محمد بن فرج

---

1) ينظر: دندش، عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين عصر الطوائف الثاني، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٤٩، وينظر: دندش، عصمت عبد اللطيف، أضواء جديدة على المرابطين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، ص ٨٦ و٨٧، وسلطاني، الجيلاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٧،ص١٧، ضيف، شوقي،عصر الدول والإمارات الأندلس، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩، ص ٤٠ و٤١ .قارة،حياة ،رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الخِصَال،دراسات أندلسية ع ١٣/١٩٩٥ ص ٥٨ ،وعبد القادر، قرش،الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين. دكتوراة الدولة، جامعة الجزائر، ٩٢/٩٣، ص ٣٧١.

2) ينظر: شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، ص ٢٨٣، وعباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق، عمّان، ٢٠٠١، ص١٤٢.

3) ينظر : بسام، العسلي، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٣٧و ٣٨و١٥٠.

4) ينظر: أشباخ، يوسف. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج١/٦٨، حتاملة، محمد عبده، الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس ٢٠٠١، ص١٤, وسلطاني، الجيلاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، ص ٣٢٩ و زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص٢٥-٢٦. العسلي، بسام، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، ص ٣٨ و ص ١٥٠.

5) الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١،ج١/٤٣٢.

الأنصاري (ت ٤٧٩هـ)[2] ينال الشهادة في معركة الزّلاقة سنة (٤٧٩هـ)، وكذا القاضي أبو علي بن سُكَّرة الصدفي[3] في معركة (كُتُنْدة) قُتُنْدة عام (٥١٤هـ).

ولا يمكننا تجاهل دور الفقهاء والأدباء في مقاومة الظلم، والتصدي للضعف السياسي في عهد ملوك الطوائف فمنهم من ألّب العامة على حكامهم[٤]، ومنهم من كان له دور في الاستنجاد بالمرابطين[٥]، وفي إقناعهم بضرورة الجواز للأندلس، لحمايتها من الأخطار الداخلية والخارجية[٦]، وقد واصل الأدب دوره في عصر المرابطين أيضا، بإثارة الحماسة والحضّ على الجهاد.

فهذا القاضي الفقيه ابن العربي[7] مثلاً يحث الأندلسيين على الجهاد والتعاضد، متألماً من تخاذلهم وأنانيتهم وذلك في تفسيره لآية " خفافاً وثقالاً"[8]، وقد نزل العدو عام (٥٢٧هـ) ببعض نواحي الأندلس إذ يقول: " فقلتُ للوالي والمولى عليه، هذا عدو الله وقد حصل في الشَّرك

---

1) للمزيد عن جهود العلماء العلمية والعملية لا سيما في عصر المرابطين، ينظر: بن بيّه، محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط١، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ودار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٩١ وما بعدها.

2) هو أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري، يعرف بابن رُمَيْلة من أهل قرطبة يكنى: أبا العباس، له شعر في الزهد (ت ٤٧٩هـ)، ينظر ترجمته عند: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الله، كتاب الصلة، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني ومكتبة الخانجي القاهرة ج١/٧١.

3) هو حسين بن محمد بن فِيَّرة بن حيون بن سُكَّرة الصدفي (٤٥٤ –٥١٤هـ)، من أهل سرقسطة رحل إلى المشرق رحلة سماع وحج وعاد إلى الأندلس عام (٤٩٠هـ) وقصد مرسية فاستوطنها. تتلمذ عليه الكثيرون، ينظر ترجمته عند: ابن بشكوال، الصِّلة، ج١/١٤٣ و١٤٤ وابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٦ و١٧، والقاضي عياض، الغُنية، تحقيق ماهر زهير جرّار، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ١٢٩-١٣١،والمقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، الرباط، ١٩٧٨، ج٣/١٥١-١٥٣.

4) ينظر الأمير عبد الله: مذكرات الأمير عبد الله، ص ١١٨ و ١١٩

5) ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٥/٢٨ والناصري، الاستقصا، ج٢/٤٠.

6) ينظر مثلاً، بلكين، عبد الله. مذكرات الأمير عبد الله ص ١١٨.

7) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري، المعروف بابن العربي من أهل إشبيلية، رحل مع أبيه إلى المشرق فحج وسمع وعاد للأندلس عام (٤٤٥هـ)، توفي عام (٥٤٣هـ) منصرفة من مراكش، ينظر ترجمته عند: القاضي عياض، الغُنية، ص ٦٦-٦٩، وابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط١، ملتزم طبعه: عباس بن عبد السلام بن شقرون، الفجالة، مصر، ١٣٥١هـ، ص ٢٨١-٢٨٣ وابن خاقان، القلائد. ج٢/٦٩٢ وابن سعيد، رايات المبرزين، ص٤٤ والضبي، بغية الملتمس، ص ٩٢-٩٩، ترجمة رقم (١٧٩) المغرب، ج١/٢٤٩.

والعمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام هزايمة ويوسف بني ياسين، ٢٠٠١، مركز زايد للتراث والتاريخ، ص ٤٩٢.

8) سورة التوبة: ٤١.

والشبكة فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نُصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فغلبت الذنوب ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلباً يأوي إلى وجاره وإن رأى المكروه بجاره"[1].

وقد سلك الأدب عدة طرق لمقاومة الأخطار الخارجية والداخلية، والتصدي لها، واتخذ صوراً عديدة منها: الدعوة للوحدة ورصِّ الصفوف ومنها ما كان بالدعوة لتصويب الأوضاع الداخلية من خلال نقد الواقع السياسي والاجتماعي، ومحاولة إصلاحه فيما يمكن تسميته بـــ " الأدب الإصلاحي"[2] ومن أبرز رواده أبو محمد علي بن حزم [3](ت ٤٥٦هــ) والألبيريان أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري (ت ٤٥٩هــ)، وأبو القاسم خلف بن فرج الألبيري (ت٤٨٠ هــ). وأبو عبد الله محمد بن أحمد البَزِلْياني (ت ٤٥٠هــ)، وقد كان صوت نقد الحكام ضعيفاً في عصر ملوك الطوائف[٤]، وذلك بسبب سياسة القمع والاضطهاد التي انتهجها بعضهم، ومجاراة بعض الأدباء لبعض الملوك سعيا لمكاسب مادية ومعنوية، لكن العديد منهم أيضا تلمسوا عيوب المجتمع الأندلسي، وحاولوا سدّ خلله وثلمه .

فابن حزم – مثلاً – تهكم بمرارة على الوضع السياسي في عصر الطوائف لاسيما عندما تطرق لأدعياء الخلافة الأربعة في مسافة ثلاثة أيام وقال "وهذه أخلوقة لم يقع الدهر مثلها[٥]، وقد شكا ابن حزم بألم في رسالة أخرى من تشاغل ملوك الطوائف بأمور الدنيا من جمع أموال، وإعمار قصور، وإهمال للجهاد، وإفساد في الأرض، وإباحة بعضهم رعية بعض سطواً ونهباً[٦].

---

1) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، ط١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، ق٢/٩٤٣ و٩٤٤.

2) بن محمد، علي، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، دكتوراة دولة، جامعة الجزائر، ص ٤١٠.

3) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤-٤٥٦هــ) من أهل قرطبة، علم من أعلام الفكر الأندلسي. له رسالة في فضائل الاندلس، وله كتب في الفقه منها: " المُحلّى" ،وله " طوق الحمامة " و " جمهرة الأنساب" وغيرها، ينظر ترجمته عند ابن بسام، الذخيرة، ق١/م١/١٦٧، وعند: صاعد القرطبي، صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣، ص ٩٩ وابن الابار، الصلة، ج٢/٦٠٥.

4) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف المرابطين، ص١١٧.

5) ابن حزم، نقـــط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كليـــة الآداب، جامعـــة فـــؤاد الأول، ١٩٥١م، م ١٣/ج٢، ص٨٣-٨٤.

6) ينظر: ابن حزم، الرد على ابن النغريلة ورسائل أخرى ،تحقيق إحسان عباس ،دار العروبة ،القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٥ .

أما أبو إسحاق الألبيري[1] فقد كان لقصيدته النونية أثر بالغ، وكأنها الإعصار الذي حرّك قبائل صنهاجه في الإغراء بيهود غرناطة[2]، لا سيما بوزير باديس المدعو يوسف بن إسماعيل بن نغرّالة (نَغْرلة) الذي ظلم، واستبد، وحاك المؤامرات، فكان أثر تلك القصيدة إعصارا، أدى إلى قتل الوزير ونكبة اليهود[3] وذلك عام (٤٥٩هـ) ونورد بعضاً من أبياتها كما وردت في ديوانه[4]:

ألا قُلْ لِضهاجَـــــــــهَ أجمَعينْ	بُدورَ النَّدى وأُســــــــــدَ العَرين
لقـــــــــدْ زلّ سيدكُـــمْ زلَّةً	تَقِرُّ بهـــــــــا أعيُنُ الشَّامِتين
تَخيّرَ كاتَبـــــهُ كـــــــافِرا	ولـــو شَاءَ كـــــــانَ مِنَ المسلمين
فعزّ اليهودُ بهِ وانتخَـــــــوا	وتاهُوا وكانوا مِنَ الأرذليــــــــــن

أما السُّمَيْسر أبو القاسم خلف الألبيري[5]، فقد انتقد مواطن الفساد في المجتمـــع، بجـــرأة وقوة وصراحة، وحمل على ملوك الطوائف تقاعسهم، وتخاذلهم عن نصرة الإسلام، واستنـــصار بعضهم بالإسبان، وحرضّ الأندلسيين على خلع طاعتهم حيث يقول[6]:

نَـــادِ المُلـــوكَ وقُـــلْ لَهُـــم	مَـــــاذا الّـــــذي أحَـــــدثتمُ
أســـــلمتمُ الإســـــلامَ فِـــــي	أسْرِ العِدى وقعدتـــــــــــــمُ

---

1) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود التجيبي الإلبيري (ت ٤٥٩هـ) وقيل (٤٦٠هـ)، اشتهر بالزهد والصلاح، عاش في غرناطة ثم نفاه حاكمها إلى البيرة، ينظر ترجمته وأخباره عند: عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، د.ت. ج٤/٨٢٨ والمقّري، نفح الطيب، م٤/٨٦ و١١٣و٣١٧ و٣٢٢ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وابن سعيد، المُغرب، ج٢/١٣٢ و غازي ،السيد مصطفى ،أبو اسحاق الألْبيري شاعر الزهد الأندلسي في القرن الخامس ،مجلة كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ،العدد ٢٠ ،١٩٦٦، ٧٥-٨٧.

2) ينظر: غومت، اميليو غرسيه، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ط١، نقله إلى العربية الطاهر مكي، مكتبة وهبه، عابدين، مصر، ١٩٧٤م، ص ١٣٤-١٣٦.

3) للمزيد عن هذا الخبر ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ط٢، م١/٤٤٠، والمقري، نفح الطيب، م٤/٣٢٢ وشيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي. ط١، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ١٩٩٤، ج١/٧٥ وغازي، السيد مصطفى، أبو إسحاق الالبيري، ص ٧٧، وابن سعيد، رايات المبرزين، ص٦٩ وابن سعيد، المغرب، ج١/٣٥٤ وينظر ترجمة إسماعيل بن نغرلة وابنه يوسف عند: ابن سعيد، المغرب، ج٢/١١٤ و ١١٥.

4) الإلبيري، أبو اسحاق، ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢، ١٩٨١، دار قتيبة، دمشق، ص ٨٩-٩٢.

5) هو: أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسُّميسر (ت ٤٨٠ هـ) اشتهر بالهجاء ينظر انتقاده للامير عبد الله بن بلقين في :ابن بسام ،الذخيرة ،ق ١/م ٢/٨٨٧ ينظر ترجمته وبعض أخباره عند: ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٨٨٢-٩٠٤، والمقري، نفح الطيب، ١/٥٢٧و ٣/٢٢٧ و٢٩١ و٣٢٠، والكيلاني، حلمي، السميسر، ص ١١٣ وينظر ابن سعيد، رايات المبررين، ص ٩٠

6) ابن بسام ،الذخيرة ،ق ١/م ٢/٨٨٥

وَجَـــــبَ القيـــــامُ علــــــيكمُ إذ بالنَّـــــــــــــصارى قمُـــــــــــتمُ

لا تُنكروا شقَّ العَصَــــــــــــا فعَصَا النَّبيِّ شَقَقتُـــــــــــــــــمُ

وقد أحسَّ ابن العسال[١] بمواطن الداء في مجتمعه، وعبّر عنها، في محاولة منه لوصف الدواء[٢]، فالذنوب كثيرة، لا سيما الكبائر منها، والناس بين مدع للصلاح، وشرير معلن لشره لا يحاول إخفاءه[٣]:

لَولا ذُنُــوبُ المُــسلمينَ وأنَّهــمْ رَكِبُــوا الكبــائرَ مَــا لَهُــنَّ خَفَــاءُ

مَا كانَ يُنْصَرُ للنَّصارى فَــارسٌ أبــــداً علَـــــيهمْ، فالـــذُّنوبُ الـــداءُ

فشرارُهمْ لا يختفونَ بِشرِّهِــــــمْ وَصلاحُ مُنتحلي الصَّلاحِ رِيـــــــاءُ

وبيّن ابن الجَدّ انغماس أمراء الطوائف في ملذاتهم، وإهمالهم للرعية وللبلاد، ويبدو أنه قد أحسَّ بزوالهم وعروشهم، وانتظر ذلك بفارغ الصبر، فهو يقول[٤]:

في كلِّ يومٍ غَريبٌ فيــهِ مُعْتَبَـــــــرُ نلقــاهُ أو يتلقانــا بــهِ خَبَـــــــــــرُ

أرى المُلوكَ أصـــابتُهمْ بأندلــــــسٍ دوائـــرُ الـــسَّوْءِ لا تُبقـــي ولا تَـــذَرُ

قد كنتُ أنظرُها والـــشَّمسُ طَالعـــــةٌ لو صَحَّ للقـــومِ فـــي أمثالِهـــا النَّظَـــرُ

ناموا وأسَرى لهم تحتَ الـدُّجى قَـدَرٌ هَوى بـــأنجمهم خَـسْفَاً ومـا شـعروا

وكيفَ يَــشعرُ مَــنْ فِــي كَفــهِ قَــدَحٌ تحدو بــه مُــدْهلاتُ النَّــاي والــوَترُ

أماتكم قبلَ موتٍ سوءُ فِعلكـــــــــمُ وَكيفَ بالذّكرِ إذ لم تَحسُنِ السِّيَــــرُ

وقد انتقد أبو عبد الله محمد بن أحمد البزْلياني[٥] (ت ٤٥٠ هــ) استعانة بعض ملوك الطوائف بأعداء أمتهم[٦]؛ لمحاربة بعضهم بعضاً، فحذرهم من النتائج الخطيرة المترتبة على ذلك، سواء ما كان منها قريب الأثر، عظيم الضرر، أم بعيد الأثر، مؤجل الضرر، إذ بعث

---

1) هو أبو محمد عبد الله بن فرج الأنصاري اليحصبي عرف بابن العسال (ت ٤٨٧هــ)، شاعر زاهد، وهو فقيه أيضاً، ينظر ترجمته في: ابن سعيد، المغرب، ٢١/٢، رايات المبرزين، ٥، ابن بشكوال، الصلة، ج٤٣٥/٢.

2) الداية،محمد ،في الأدب الأندلسي،ط١، دار الفكر بيروت،ودار الفكر دمشق،٢٠٠٠م،١٧٣.

3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٤١.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م٢٥٦/١١ و ٢٥٧ وقد وردت القصيدة أيضاً في: ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية). ص ٢٤٢.

5) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد البِزْلياني (ت ٤٥٠ هــ) عمل في بلاد حبّوس حاكم غرناطة، ثم عند المعتضد حاكم إشبيلية، ويُعدُّ أحد شيوخ الكتّاب، وقيل أن له دوراً في ثورة إسماعيل بن المعتضد على أبيه، مما أدى إلى قتلهما، ينظر ترجمته في: ابن بسام ،الذخيرة، ق١/م٢/ ٦٢٤، وابن سعيد، المُغرب، ١ / ٤٤٤، والضبي، بغية الملتمس، رقم ٣٨، ص٥٤.

6) للمزيد من رسائل البزلياني لبعض الأفراد ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١ / م٢ / ٦٢٧ و ٦٤٠ .

برسالة ديوانية عن أميره[١] إلى صاحبي شاطبة[٢] يقول فيها: "فقد بلغني أنَّ مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين، يطؤون ديارهم، ويعفّون آثارهم، ويجتاحون أموالهم، ويسفكون دماءهم، ويستعبدون أبناءهم، ويستخدمون نساءهم، وإن نفذ هذا – وأعوذ بالله – فهي حال مؤذنة بالذَّهاب، وجريرة تؤذنُ بالخراب"[٣].

إنه حسُّ الأديب الواعي بمجريات عصره، الحريص على وحدة بلاده وصونها، فلإشراك العدو في الحروب الداخلية آثار خطيرة؛ إذ تصبح صفحة البلاد مفتوحة أمامه، فيعرف مواطن قوتها وضعفها، عدتها وعددها، فيجرؤ عليها لا سيما بعد انهيار صورة الأندلس القوية أمامه[٤]، هذا ما يوضحه البزليّاني في الرسالة نفسها إذ يقول: " ولم نأمنْ أن يظهر لهم من الخلل في بلادنا، والقلّة في أعدادنا، ما يجرّئهم علينا، ويجرهم إلينا، بما لا نقدر على مكاثرتهم فيه، ولا نقوى على مصابرتهم به، فتلك الوقعة التي لا ينتعش عثورها، والقارعة التي لا ينجبر كسيرها"[٥].

وقد تواصلت دعوات الأدباء لمواجهة الأعداء، ورصّ الصفوف لجهادهم، ودفعهم عن الديار الأندلسية، ولم يتوان أبو حفص عمر بن الحسن الهَوْزني (٣٩٢-٤٦٠هـ)[6]، و أبوعبد الله محمد ابن أبي الخِصَال (٥٤٠هـ)[7] وغيرهما عن الحضّ على الجهاد وسنفصل ذلك لاحقا.

واستمرت دعوات الوحدة وائتلاف الكلمة، فهذا أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)[8] يجتهد متنقلاً بين ملوك الطوائف، يدعوهم إلى الوحدة، ونبذ الخلاف؛ لمواجهة الأخطـــــــار

---

1) في الذخيرة عبارة "وله عنه إلى صاحبي شاطبة " ولا يعرف إلى من تشير الهاء في (عنه)، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١/ م٢/ ٦٣٧.

2) هما مظفر ومبارك العامريان، حكما شاطبة و بَلَنْسية ، للمزيد من أخبارهما ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/ ١٣، وابن عـــذاري، البيـــان المغـــرب، ١٨٥/٣.

3) ابن بسام، الذخيرة،، ق١/م٢/٦٣٩.

4) ينظر: شيخه، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي ج٢/ص١.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق١ / م٢ / ٦٣٩.

6) هو: أبو حفص عمر بن حسن الهَوْزني (٣٩٢-٤٦٠هـ)، من إشبيلية، أخذ عن شيوخ الأندلس، ثم ارتحل سنة (٤٤٤هـ) إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس واستقر بـــ (مرسية) ثم استدعاه المعتضد بعد أن أرسل الهَوْزني إليه برسالة يحضّه فيها على الجهاد، ولبث الهَوْزني قليلاً في إشبيلية، ثم قتله المعتضد وأمر بدفنه بثيابه وقلنسوته داخل القصر من غير غسل ولا صلاة، ينظر ترجمته عند: ابن بشكوال، الصلة، ج١/٣٨١، وابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٨١-٩٣، والقاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٤/٨٢٥، والمقَّري، نفح الطيب، م٢/٩٣، وابن سعيد، المغرب، ج١/٢٣٤.

7) هو: محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخِصَال (٤٦٥-٥٤٠هـ) يُكنى: أبا عبد الله، شاعر وكاتب أريب، كان كاتباً لعلي بن يوسف بن تاشفين، له رسائل حققها: محمد رضوان الداية (رسائل ابن ابي الخِصَال) دار الفكر دمشق ١٩٨٨، ينظر ترجمته عند: - ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/٣٩٠-٣٩٦، وابن بسام، الذخيرة، ق٣/م٢/٧٨٤ المقري، نفح الطيب، م١/٢٩٤و م٣/١٩٣ و٢٦٨، وابن الأبار، المعجم، ص ١٥٢وابن خاقان، القلائد، ص ٥١٨-٥٣٧ وابن سعيد، رايات المبرزين، ١٠٥.

8) هو: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث الباجي من بطليوس، سكن قرطبة، واستقر بشرق الأندلس، رحل سنة (٤٢٦هـ) إلى المشرق فأخذ علماً كثيراً، ثم عاد إلى الأندلس،وتطوّف على ملوك الطوائف و حضّ هم على مدافعة العدو (ت ٤٧٤هـ). ينظر ترجمته في: عياض، ترتيب المدارك، ج٤/٨٠٢، وابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢/٩٨،وابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٤-٩٧، والنباهي، أبو الحسن بن عبد الله المالقِّي، تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، د.ت، ص ٩٥ وابن سعيد، المغرب، ج١/٤٠٤، للمزيد عن رحلة الباجي بين ملوك الطوائف ينظر: البشري، سعد بن عبد الله، الحياة

الخارجية، وكذلك فعل محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن مهلب (ت نحو ٤٥٠هـ)[1] فقد كان يَسْفِر بين ملوك الطوائف لتسكين الفتن بينهم[٢].

أما في عصر المرابطين -مثلا- فقد كتب الفقيه الكاتب أبو القاسم ابن الجَدّ[3] (ت ٥١٥هـ)على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[4] رسالة إلى أهل أشبيلية سنة (٥١٢هـ) يدعوهم فيها إلى التآلف وتوحيد الجهود إذ يقول فيها: ".. واحذروا دواعي الفتن، وعواقب الإحن، وما يجرُّ رداءَ الضمائر، وفساد السرائر، وعمى البصائر، ووخيم المصائر، واشفقوا على أديانكم وأعراضكم، وتوبوا إلى الصلاح في جميع أغراضكم ..."[5].

ونلمح آثاراً للحرب الدينية الطاحنة بين الأندلسيين والإسبان في قصيدة لابن الزَّقاق[٦] يمدح فيها أحد أمراء المرابطين[٧] بعد إحدى المعارك التي حسمها المرابطون لصالحهم؛ إذ وقف ابن الزَّقاق (ت ٥٣٠هـ) فيها مادحاً وحاضّاً على الجهاد في قوله[٨]:

العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص ١٠١، والحجي، عبد الرحمن علي، ا لتاريخ الأندلسي، ط١، دار القلم، الكويت – الرياض، ١٩٧٦، ص ٣٤٥ وما بعدها.

1) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن مهلب ابن جعفر، من قرطبة يكنى: أبا بكر، كان من أهل الكتابة والبلاغة، شديد العناية بالرواية، (ت ٤٥٠هـ)، ينظر ترجمته عند: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، صححه ونشره السيد عزت العطار الحسني، ١٩٥٦م، ج١/٣٩٠-٣٩١.

2) ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، صححه ونشره، السيد عزت العطار الحسني، ١٩٥٦، ج١/٣٩٠-٣٩١. ،ج ١/٣٩٠-٣٩١ .

3) هو: الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد الفهري (ت ٥١٥هـ) مفتي (لبلة) بالأندلس، سكن إشبيلية، وتولّى وزارة الراضي بن المعتمد بن عبّاد، كان يُعرف بالأحدب، ينظر ترجمته عند: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢/٣٢٢،وابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٢٨٥ والمراكشي، المعجب، ١٧٣، وابن الأبار، الصلة، ج١/٥٤٤ والاصفهاني العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار النهضة مصر، القاهرة، د.ت، ق٤/ج٢/٣٥٧ ابن سعيد، المغرب، ج١/٣٤١

4) هو: أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، كان ملكاً فاضلاً حكم من سنة (٥٠٠ هـ-٥٣٧هـ) له وقائع كثيرة مع الإسبان، فتح مدينة (طلبيرة) وعدّة حصون – تابعة لطُلَيْطلة ، كان نزية النفس، حسن السيرة. جيد الطوية، ينظر ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة، م٤/٥٨، وأعمال الأعلام القسم الثالث، ص ٢٥٣ و٢٥٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١٢٣، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٨٤، والمراكشي، المعجب، ١٧١، وابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٣٢ وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ١١٦.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١/٣٢٤ و ٣٢٥.

6) ابن الزقّاق هو: أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف البلنسي، يُعرف بابن الزقّاق، له ديوان شعر، ينظر ترجمته وأخباره: ابن سعيد، المُغرِب، ٣٢٣/٢، ورايات المبرزين، ص٨٣، وابن دحية، المطرب، ص١٠٠، والمقّري، نفح الطيب، ١٩٩/٣، ٢٨٩، وج٤/٢٩٨، ٣٤٠، وديوانه، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤، ص٢٧-٤٥.

7) لم يذكر في القصيدة اسم الممدوح، وإن غلب الظن أنه أبو زكريا يحيى بن علي (ابن غانية)، ينظر: المحققة ديراني، عفيفة، ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص٣٨.

8) ابن الزقّاق، البلنسي، ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص٢٦٩.

يا أيها الملكُ الذي هنديُّـــــــــــهُ	يوم الطِّعان كشعلةِ النيــــــــــران
كم جبتَ فيه بعزمةٍ أرضَ العـــــــدا	فتركتها قفراً بلا عمـــــــــــران
وهدمتَ من بِيَعٍ لهم وكنائـــــــــسٍ	وكسرتَ من صُلُبٍ ومن أوثـــــــانِ
وجررتَ أذيال الكتائبِ رافـــــــلاً	بين الصوارمِ والقنا الريَّـــــــــانِ
فالدِّينُ موقوفٌ عليكَ رجـــــــاؤهُ	أنْ يُستباحَ الشركُ بالإيمـــــــــانِ

ومن ذلك – أيضاً - ما كتبه أبو عبد الله ابن أبي الخِصَال[1] مهنئاً الأمير تاشفين[٢] بن علي بن يوسف بولاية غرناطة عام (٥٢٣ هـ): "..فالحمد لله الذي ثناه عن مغزاه راضياً، ولحقوق الثغر قاضياً، وهنيئاً له وللإسلام به يُمن المآب والمَقْفَلِ وانفتاح كل مرتج مقفل،وغزو العدو في عُقْره المنيع، وأمره الجميع، ولقد حلَّقت عليها المنايا وحامت، لولا جُدُرٌ دونهم قامت، وستجعلها العزائمُ بحول الله دكّا، وتصكُّهم بوادرها صكّاً، ساعده القدر، وحالفه الظَّفر، ولا زال يَغزو ويُنْصر، وعدوُّه يُصرع ويُعَقَّر، بحول الله وطوْلِهِ"[٣].

ولا شك أن وتيرة أدب المواجهة كانت تزداد بازدياد المحن والنكبات المتتالية ؛ لذا نلاحظ ازدياداً في نصوص أدب الحضّ على الجهاد بعد سقوط "بَرْبَشْتر" و "طُلَيْطلة " و "سَرَقُسْطة" و "مَيُورقة" وغيرها من المدن والقلاع. وهذا يدل على مجاراة الأدب الأندلسي للنكبات والمحن التي مر بها المجتمع الأندلسي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، استطاعت " بَرْبَشْتر" بسقوطها المؤلم أن تجذب أقلام الأدباء لوصف الأحداث المروِّعة لسقوطها، ولحضّ الأندلسيين على استرجاعها. فهذا أبو عبد الرحمن بن طاهر[٤] يستنهض الهمم. ويحضّ على الجهاد لاسترجاعها قائلا: "... وقد تعيّــــــن

1) سبق التعريف به، ص٢٥.

2) هو: الأمير تاشفين بن علي بن يوسف (ت ٥٣٩هـ)، ولاه أبوه الأندلس وسكن غرناطة، كان بطلاً شجاعاً، جميل الهيئة، سالكاً طريق الشريعة، مستقيم الأحوال، تسلم الحكم بعد موت أبيه علي بن يوسف وقد استشرى أمر الموحدين، فغلبوه وحاصروه ليلاً في (وهران) فخرج على فرسه وظن الأرض متصلة، فسقط في جرف هاوٍ وفرسه، ينظر ترجمته وحادثة موته: مجهول الحلل الموشية، ص ١٣٣-١٣٥، وابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٤/٤-١٠٨، وابن الخطيب، الإحاطة، م٤٥٤/١، وابن زر ع، الأنيس المطرب، ص ١٦٥ و١٦٦، وابن الأبار، الحلة السيراء، ١٩٥/٢، و ١٩٦، وابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثالث، ص ٢٦٣ – ٢٦٥ و ٢٥٦، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م١٢٦/٧.

3) قارة، حياة، رسائل جديدة لأبي عبد الله بن الخِصَال، ص ٦٥، للمزيد من نماذج التهنئة ينظر في قارة، حياة، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين)، وزارة الشؤون الثقافية مركز الدراسات والبحوث الأندلسية، المغرب، ١٩٩٤، ص٤٦-٥٣، و ٧٧-٨٠.

4) هو: أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن اسحاق بن طاهر أديب كاتب من أهل بيت أديب ورياسة، كان والده أميراً على مدينة مرسية، تولى الإمارة بعد وفاة والده سنة (٤٥٥هـ) الى أن غلبه عليها المعتمد بن عبّاد بواسطة وزيره ابن عمار سنة (٤٧١هـ) توفي بَلَنْسية سنة (٥٠٧هـ) وقيل (٥٠٨هـ) ودفن بمرسية، ينظر ترجمته عند: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١١٦/٢، وابن بسام، الذخيرة،

البدار على كلِّ رئيس ومرؤوس، ولزم الجهاد كلّ شريف ومشروف.. تالله ما في النَّصفة أنْ تُسكن الظِلال، وأطواق حملة القرآن الأغلال[1]".

وكذلك كتب أبو محمد عبد الله بن أبي عمر بن عبد البَّر[2] منشوراً على لسان أهل "بَرْبَشْتر" جاء فيه[3]: "...فإنا خاطبناكم مستنفرين وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرّى، ونفوسنا منطبقة، وقلوبنا محترقة، على حين نشر الكفر جناحيْه، وأبدى الشرك ناجذيْه".

أما أبو حفص عمر بن الحسن الهَوْزني[4]، فقد بعث برسالة استنجاد يحضُّ فيها المعتضد ابن عبَّاد[5] على الجهاد ويخاطبه باسمه مجردا من الألقاب، ويذكّره بأن سقوط شرق الأندلس مهدد بسقوط غربها حيث يقول [6]:

أعبَّادُ ضَاقَ الذرعُ واتَّسعَ الخَرْقُ ... ولا غَرْبَ للدُّنيا إذا لَمْ يكنْ شَرَقُ

ودونكَ قولاً طَالَ وهــو مُقــصَّرٌ ... فللعين مَعنىً لا يُعبّرهُ النُّطقُ

إليكَ انتهتْ آمالُنا فارمِ ما دَهــى ... بعزمِكَ، يَدْمَغْ هامة الباطلِ الحَـــقُّ

وقد آثار سقوط (مَيُوْرَقة)[7] الفقيه الكاتب أبا محمد بن عطية (ت ٥٤٢هــ)[8] فخاطب أمير المسلمين وناصر الدِّين علي بن يوسف بن تاشفين (ت ٥٣٧هــ) قائلا: " وأحـــــرَّ

ق٣/م١/٢٤ وابن سعيد، المغرب، ج٢/٢٤٧، الأصفهاني، العماد ، الخريدة ،٢/٣٥٧، القلائد، ج١/١٧٠-٢٠٦والمراكشي، المعجب، ١٢١ و ١٢٢ والضبي، بغية الملتمس، ص٥٠.

1) ابن بسام، الذخيرة، ق ٣/م١/٨٨.

2) هو: عبد الله بن أبي عمر بن عبد البِّر بن أبي المجد الرعيني، أبو محمد، (ت ٤٥٨هــ)، ينظر ترجمته وأخباره: ابن بسام، الذخيرة ق٣/م١/١٢٥-٢٢٦، والمقري، نفح الطيب، م٥/٤٥٦ وابن خاقان، قلائد العقيان، ٥٣٨-٥٤٤ وابن الأبار، الصلة، ج٢/٤٢٥ وابن سعيد، المغرب، ج٢/٤٠٢

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣.

4) سبق التعريف به، ص٢٥.

5) هو: عبّاد بن محمد الملقب بالمعتضد تولى حكم مملكة اشبيلية من عام (٤٣٣- ٤٦١) ينظر ترجمته في :ابن بسام ،الذخيرة ،ق١/م١/٢٣-٤١ وق١/م١/٣٨٨،وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،م٧/٣٣٧و٣٣٨ والقلقشندي ،صبح الاعشى ،ج٥/٢٤٨ ،وابن عذاري، البيان المغرب ،ج٣/١٩٠و١٩٤و١٩٧،والمراكشي، المعجب ،٧٣و٩٥و٩٦وابن الابار، الحلة السيراء ،ج٢/٣٩-٥٢.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٨٥.

7) مَيُورْقة: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تقع بين منورقة ويابسه وهن جزر ثلاث، تعرف بجزر (البليار)، ينظر :الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٨-١٩١وياقوت، معجم البلدان، ٥/٢٤٦

8) هو: الوزير الفقيه القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي أبو محمد .(٤٨١-٥٤٢هــ). مفسر وفقيه من أهل غرناطة، ولي قضاء المرية، توفي بــ (لورقة) سنة (٥٤٢هــ) وقيل سنة (٥٤٦هــ) ينظر ترجمته عند: المقَّري، نفح الطيب، ٦٧٩/١، وابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ٢٦٥، وابن الخطيب، الإحاطة، ٥٥٦/٣ و٥٦١ وابن الأبار، الصلة، ج٣٦٧/١ وابن سعيد، رايات المبرزين، ص ٨٥ وابن سعيد، المغرب، ج١١٧/٢

قلباه، أمر مَيُورقة – رأبَ اللهُ بصرفها – صدعَ الجزيرة وجبر بجبرها من جناح الإســـــلام كسيره .. وثقَّف بغوث دِمائها اضطراب متآده وأعاد بتلافيها ما غيض من نصره ومن إجلاده، فيا لله لِمَا كان فيها من إعلان توحيد عادَ هَمْساً، ويوم إيمانٍ آضَ أمسا، وبارقةِ كفر طلعت شمسا، وصباحِ شَرْعٍ أظلم بدياجي الشِّركِ وأمسى"[1] إنه إحساس الأدباء بالمسؤولية أمام المحن والشدائد التي واجهت مجتمعهم؛ لذا جاء إنتاجهم معبراً عن آلام الأندلسيين وأحزانهم.

ولقد آزرت معظم الأغراض الشعرية، أدب الحضّ على الجهاد، فوقف بعض الشعراء مادحين، ممجدين الأبطال والانتصارات؛ لشحذ همم المجاهدين ورفع معنوياتهم، وإثارة حماستهم، وإبراز بطولاتهم.

ومن ذلك قول ابن خفاجة[2] – مثلاً – مادحاً الأمير المرابطي أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين[3] بعد افتتاحه لــ (قُورِيَة)[4][5]:

بمثلِ تَصَدِّيهِ دُونَ الهُدى	تُصَدُّ العِدَى ويُسَدُّ الخَلَلْ
وتُدمىَ الشِّفارُ وتُحنَى القَنَى	وتُحمَى الدِّمارُ وتُرعَى الهَمَلْ[6]
وتُملأُ رُعباً صُدُورُ العِدَى	وتُرعَفُ بَأساً أنُوفُ الأسَلْ
ألمْ ترَ ما كانَ مِنْ بَأسِهِ	بقُوريَةٍ يومَ خَامَ البَطَلْ
وَخارَ الأبيُّ وخَرَّ الكَمِـــــــــيُّ	وَجدَّ الجِلادُ وقَلَّ الجَـــــــــــــدَلْ

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٦٧.

2) هو: إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة (٤٥١-٥٣٣ هـ)، من جزيرة شُقْر، من أعمال بَلَنْسية ، شاعر بليغ متقدم في وصف الطبيعة، عاش في عصري الطوائف والمرابطين، ينظر ترجمته عند: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/١٤، وابن بسام، الذخيرة، ق٣/م٢/٥٤١، والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٣، ومقدمة ديوانه، السيد، مصطفى غازي، ديوان ابن خفاجة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠وابن الأبار، المعجم ص٦٦ وابن سعيد، المغرب، ج٢/٣٦٧

3) هو الأمير أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت، ويعرف بابن تعيشت، اسم امه. ولاه أخوه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على مرسية ثم انتقل إلى إمارة اشبيلية. ينظر ترجمته عند ابن الأبار، المعجم، ص ٦٢ و ٦٣

4) قُورِية: من أحصن المعاقل، قريبة من ماردة، ذات سور منيع وقعت في يد ملك (ليون) عام (٢٤٦هـ) واستردها المرابطون وبقيت في حوزة المسلمين إلى أن سقطت نهائياً سنة (٥٩٧هـ). ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٤ وياقوت، معجم البلدان ٥/٤١٢

5) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص١٠٣.

6) التهمل: الإبل المسيبة لا راعي لها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة هـ م ل.

وقد انعكست متابعة الكتاب لتحركات المرابطين الجهادية على حياتهم، فقد كانت موضوعاً يُطرق أحياناً في الرسائل الإخوانية بينهم، ومن ذلك ما كتبه ابن عطية[1] إلى أحد أصدقائه ممن شاركوا في حملة عبد الله بن مُزْدلي إلى سَرَقُسْطة لرد الأعداء عنها، إذ كتب قائلاً[2]:

"ولولاه ما علا هُنالك للإسلام اسم، ولا حَبَى للمدافعة رَسْم، ولا لاحَ للمكافحة وَسْمٌ، ولا عَنَّ لتلك العِلل المجهزة على تلك الأقطار جسم، ولكنه رَكِبَ صعبَ الأهوال، وصدقَ الصِّيال[3]، وهي – أعزك الله – أقطارٌ إن لم تُقِم القوة منها ميلا وجنَفا[4]، ويُستعمل الجدُّ لها نظراً أُنُفَا، وإلا فعِقْدُها بمدرج نثِار، وهي في طريق انتكاثٍ وعَثَار"[5].

ونلمس في هذه الرسالة إقرار الأندلسيين بجهود المرابطين الجهادية في الأندلس، وصدق رباطهم فيها، وجهدهم في توحيدها، وأن القوة والجدية هما طريقا حمايتها وحفظها، وإلا فالنبوءة قد تتحقق، وعقد الأندلس قد ينتثر، وطريقها قد ينتكث، وكتب أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن المرْخي[6] (ت ٥٣٦ هـ) عن أهل قرطبة، إلى أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين[7] (ت ٥٠٣ هـ) حاكم سَرَقُسْطة، مقرّعاً؛ لمراوغته أمير المرابطين في التحلل عن بعض بلاده، ولعدم صفاء طاعته لهم، وعدم قدرته - أيضاً - على الدفاع والمقاومة ؛ إذ كتب ابن المرخي: "وكيف يَسوُغُ لك أن تُحَذِّرَ من الله وأنت لا تَحْذَرُهُ، وتُذَكِّرَ به تعالى ثم لا تَذكُره ؟! ألست تعلم أن النصارى – لعنهم الله – قد استولوا على ثغور المسلمين التي كانت بنظرك

---

1) سبق التعريف به، ص٢٨.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان /ص٦٧٣.

3) الصِّيال: صال صولاً أي سطا، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة صول .

4) الجَنَفُ: المَيْلُ والجَوْرُ: ينظر: نفسه، ماد جنف .

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٧٣.

6) هو: الوزير الكاتب محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن المرخي، سكن قرطبة، وعمل لدى أميرها المرابطي محمد بن الحاج داود اللمتوني، كان أديباً بليغاً، مقرباً من المرابطين، توفي عام (٥٣٦ هـ) ،ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢ / م٢/ ٥٣٣، وابن سعيد، المغرب، ١ /٧٠٣، والضبي، بغية الملتمس، رقم ٢٠١، وابن الأبار، معجم الصدفي، ١٤٠-١٤٣، والمقري، نفح الطيب، ٣ / ٤٥٨. وابن بشكوال، الصلة، ج٢/٥٥٥ و ٥٥٦ رقم١٢٨٩.

7) هو: أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين الأصغر (٤٧٨/ ٥٠٣ هـ)، حكم سرقسطة، وفي عهده سقطت وشقة عام (٤٨٩ هـ)، تنظر أخباره في: مجهول، الحلل الموشية، ٧٣ – ٧٦، وابن عذاري، البيان المغرب ٤٠ / ٥٣ .

منوطة، وبمستقر قدميك مخلوطة ؟فهل كانت لك طاقة بمحاربتهم، أو قوة علـــى مقـــارعتهم، أو إصراخٌ لمن استصرخك من قتيلٍ مستشهد، أو أسيرٍ مضطهد"[١].

ولم يأل المؤرخون وأصحاب التراجم الاندلسيون[٢] جهداً في المساهمة في أدب المواجهة، سواء في تقريعهم للحكام ،وللمجتمعات، أم في هجائهم للمقصرين منهم ،أم في نقدهم الواعي والعميق للأوضاع السياسية، والاجتماعية، والعسكرية، أم في تسجيلهم للأحداث التاريخية كما شاهدوها.

مضمنين ذلك دعواتهم بالوحدة والتآلف، ويعدّ أبو مروان بن حيان[٣] (ت ٤٦٩هــ) نموذجاً لذلك كله، فقد وصف خروج أهل طُلَيْطلة لقتال عدوهم دون استعداد، بعد أن قوّضت الحياة المترفة عزائمهم فنقد، وحلل، وشخّص الداء فقال: "عَدِموا الراعيَ العَنُوفَ منذ حِقب، فنبذوا السلاحَ، وكلِفُوا بالتّرقيح[٤]، ونافسوا في النَّشبِ، وعطّلوا الجهادَ، وقعدوا فوقَ الآرائكِ مقعدَ الجبابرةِ المتفاتنين"[٥].

وعلق على سقوط (بَرْبَشْتر) قائلا: "ولأشدُّ مما أفشينا عند أولي الألباب ما أخفيناه ممّا دهانا من داءِ التقاطع، وقد أُخذنا بالتواصل والألفة، وأصبحنا من استشعار ذلك، والتمادي عليه على شفا جرفٍ يؤدي إلى الهلكة لا محالة.."[٦]. كما انتقد ردَّ فعل ملوك الطوائف على سقوط بَرْبَشْتر (٤٥٦هــ) "ولقد طما العَجَبُ من أفعالِ هؤلاء الأمراء، أن لم يكن عندهم لهذه الحادثة الغراء في بَرْبَشْتر إلا الفزع إلى حفر الخنادق، وتعلية الأسوار ، وشد الأركان، وتوثيق البنيان، كاشفين لعدوهم عن السوءة السوءاء من إلقائهم بأيديهم إليهم[٧]".

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢ / م٢ / ٥٤٦ .

2) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، مؤتة للبحـــوث والدراســـات، م١٠، ع٢، ١٩٩٥، من ص ٢٩٩-٣٥٢.

3) هو: أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيان (٣٧٧-٤٦٩هــ) صاحب لواء التاريخ بالأندلس، له كتاب" المقتبس في تـــاريخ الأندلس" حققه محمود علي مكي، أما كتاب " المتين" فما زال مفقوداً. ينظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيـــان، ج٢/٢١٧-٢١٨ وابن سعيد، المغرب، ج١/١١٧.

4) الترقيح: إصلاح المعيشة، والكسب والتجارة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة رقح.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق ٣/م٢/٨٥٠.

6) نفسه، ق ٣/م١/١٨٨و ١٧٣.

7) نفسه، ق٣/م١/١٨١.

وما ذخيرة أبي الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ)[١] عنا ببعيدة، فقد تحدث عن المدن وسقوطها ومن ذلك وصفه لسقوط طُلَيْطلة [٢] وغيرها، وترجم لأعلام عصره ممن اهتموا بأدب الحضّ على الجهاد، وامتن ليوسف بن تاشفين نجدته للأندلس، فقد: " بلَّ من رماق وَنَّفسَ من خِناق، ووصل هذه الجزيرة من حبل، وتجشَّم إلى تلبية دعائها، واستنقاذ ما بها من حزن وسهل"[٣]، كل ذلك يصبُّ في جهود الكتَّاب المؤرخين في المقاومة والصمود، ولقد رصد ابن بسام أحداث عصره، وحاول الوصول إلى مظانها لضمان دقتها، حرصاً منه على إثبات الشخصية الأندلسية المتميزة في تلك الجزيرة الغريبة[٤] كل هذه الجهود وغيرها، كانت تصب في نهر واحد، هو نهر أدب المواجهة، أي مساندة الكلمة للسيف لمواجهة الخطر،والدفاع عن الإسلام في الأندلس وحقه في الوجود.

---

1) هو: علي بن بسام التغلبي الشنتريني أبو الحسن (ت ٥٤٢هـ) صاحب كتاب " الذخيرة في محاسن آهل الجزيرة" كاتب وشاعر: ينظر ترجمته في: ابن سعيد، المغرب ١/٤١٧، وعنان محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩٨-٣٠٤ وابن سعيد، رايات المبرزين، ص٤٥، وابن سعيد، المغرب، ج١/٤١٧

2) ينظر: ابن بسام ،الذخيرة ،ق ٤/م ١/١٦٥

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/١٦٩.

4) نفسه، ق١/م ١/١٢

الفصل الأول

الحضِّ على الجهاد في الشعر الأندلسي

حضّ الأمراء على الجهاد :

رافق الأدب الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين المحن، والشدائد التي مرت بها الجزيرة الأندلسية، ليس بتسطير الأحداث ومجرياتها نثراً وشعراً فحسب، بل أيضا بالدفع للتحرك والمقاومة لاسترجاع ما يُؤخذ من أراضٍ أندلسية[١]، وبالحضّ للدفاع عن الموجود والوجود، فقد كان الأدب أحد خطوط الدفاع عن الثغور الأندلسية، بل كان خطاً موازياً للجهاد نفسه .

ولا يخفى على أحد دور الحضّ على الجهاد في احتدام المعارك والتأثير في نتائجها أيضاً، فهو يملأ قلوب المحاربين حماسة وقوة؛ مما يزيد من قوتهم الجسدية ويجدّد طاقاتهم في التحمُّل والإندفاع نحو الهدف؛ لذا لم يأل الشعراء جهداً في حضّ الحكام والعامة على الجهاد.

فالأمراء هم رأس الحربة في دولهم، تأتمر الجيوش بأمرهم، وتتحرك لخوض المعارك دفاعاً أو هجوماً، أما عامة الشعب فهم قناة تلك الحربة التي لا يقوم السِّنان إلا بها، فهم القوة الدافعة والمندفعة لتحرير ما يُسلب ولحماية ما يُوجد.

ومن الغريب ألا نجد فيما وصلنا من أدب عصري الطوائف والمرابطين، قصائد شعرية مستقلة يكون غرضها الرئيس والوحيد حضّ الأمراء على الجهاد، ربما فقدت تلك القصائد ولم تصلنا،وربما كان النثر بما يوفره من حرية في التعبير، دون قيد وزن ولا قافية أقرب من الشعر إلى الأدباء من وزراء وفقهاء، من أمثال أبي حفص عمر بن حسن الهَوْزني[٢] (ت ٤٦٠هـ)، والأمير أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر[٣] (ت ٥٠٧هـ وقيل ٥٠٨هـ) وأبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجَدَّ[٤] (ت ٥١٥هـ) وعبد الحق بن غالب بن عطية[٥] (ت ٥٤٢هـ)، وهذا لا ينفي أن بعض الكتّاب ضمّنوا رسائلهم مقطوعات شعرية تحريضية، في حضّ الأمراء والعامة على الجهاد .

---

1) طويل، يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١م، ص٣٨.

2) سبق التعريف به ص ٢٥.

3) سبق التعريف به ص ٢٧.

4) سبق التعريف به ص ٢٦.

5) سبق التعريف به ص ٢٨.

ويرى كل من جمعة شيخه ومنجد بهجت أن الشعر قد فسح للنثر المجال بسبب إعراض المرابطين عن الشعر والشعراء وانشغالهم بالجهاد[١]، وهذا رأي يحتاج إلى مناقشة لا مجال لها في هذه الدراسة.

وقد سلك الشعراء طريقا غير مباشر لحضّ الأمراء على الجهاد، وذلك بأن حضوهم عليه في قصائد المديح .

ولعل اختيار الشعراء لغرض المديح وسيلة للحضّ على الجهاد نابع من اعتقادهم بأن المديح يمّهد لهم الطريق لإيصال رسائل للممدوحين[٢] مفادها: أنه هو (الممدوح) المنقذ والبطل الذي يستطيع بما حازه من مناقب، أن يواجه العدو ويقاومه بل وينجد مدناً، وحصوناً بحاجة ماسة له ولجيوشه. والشعراء يحاولون في أثناء مديحهم البحث عن البطل الواقعي الذي يسدُّ الخلل، ويعالج الأمور الخطيرة في عصر ساد فيه التفكك السياسي، وبدأت القلاع المنيعة تتهاوى، ويقع فيه الأندلسيون ضحايا للقتل والتنكيل والأسر.

ومن هؤلاء أبو حفص عمر الهَوْزني (ت٤٦٠هـ) الذي لم يجد بعد سقوط (بَرْبَشْتر) عام (٤٥٦هـ) بُدّاً من توجيه رسالة يُضمِّنها شعراً، إلى أقوى أمراء الطوائف آنذاك عبّاد بن محمد الملقب بالمعتضد[٣] (ت ٤٦١هـ) حاكم مملكة إشبيلية، يحضّه فيها على الجهاد لاسترجاع (بَرْبَشْتر) ويستنجد به لإصلاح حال الأندلسيين، وهو حينها يتبوأ المكانة العليا بين ملوك الطوائف، تلك المكانة التي تؤهله – كما يرى الهَوْزني – للوقوف سداً منيعاً لوقف التداعيات الخطيرة للأوضاع المتردية آنذاك، إضافة لامتلاكه فضائل علت به على كل فاضل، إذ يخاطبه قائلاً[٤]:

أعبّادُ كَلاً قَدْ عَلَوتَ فَضَائِلاً   تَقَاصَرَ عَنْها كُلُّ أروَعَ ماجِدِ

---

1) ينظر: شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ص٣٧، وينظر: بهجت، منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ص٣٩.

2) ينظر: ابن سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلامية، ص ١١٣ .

3) سبق التعريف به ص٢٨.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٧.

ثم يُضيِّق الهَوْزني الحلقات حول المعتضد ؛ ليشعره بأن الخرق قد اتسع علـى الراقـع، وأن الخطر بات قريباً منه وإن ظنه بعيداً، فليرم – إذن – بعزمه الأعداء، فقـد انتهـت آمـال الأندلسيين إليه[١]:

أعبَّادُ ضَاقَ الذّرعُ واتَّسعَ الخَرْقُ ... ولا غَرْبَ للدُّنيا، إذا لَمْ يَكُـنْ شَـرْقُ

وَدُونكَ قولاً طَالَ وهـوَ مُقـصِّرٌ ... فَللعينِ مَعنـىً لا يُعبِّـرُهُ النُّطـقُ

إليكَ انتهتْ آمالُنا فارمِ ما دَهَـى ... بَعزمكَ، يَدْمَغْ هامةَ الباطلِ الحَـقُّ

ويشتد الخناق على الأندلسيين بعد زمن؛ فيهبُّ المعتمد بـن عبّـاد لالتمـاس النجـدة والغوث من العدوة المغربية، ويقف أبو بكر بن العطار اليابسي[٢] يحث المعتمد على مواصـلة الجهاد، لتحقيق أحلام الأندلسيين وآمالهم بالنصر والغلبة حيث يخاطبه حاضّاً[٣]:

فَـدُسْ فُـديتَ بِخَيْـلِ اللهِ أنديـةً ... لِلشِّركِ تَصْطَلمُ[٤] الأوثـانَ والـصُّلُبَا

وأجْلُ الظَّلامَ بوقَّـادِ الفِرَنْـدِ كَـأنْ ... في صَفحتيْهِ جَمَعْـتَ المَـاءَ واللَّهَبَـا

يَروقُ مُضطرِباً ماءُ الـصِّقّال بـهِ ... كأنَّـهُ جَـدولٌ هبَّـتْ عليـه صَـبَا

ولا تَرُدَّ حَديدَ الهندِ ذا وَضَـحٍ ... حتَّى يُرى بنِجيعِ الكُفرِ مُختضِبَـا

وهذه أبيات من قصيدة ذكر ابن بسام أنها قيلت قبل جواز المعتمد للعدوة المغربيـة، أي قبل معركة الزَّلاقة[٥] في حين رجَّح الباحث جمعة شيخة أنها قيلت بعد معركة الزلاقة؛ وذلـك لطمأنينة تُستَشعر في الأبيات، وكأن المعتمد منجد، ومغيث، لا مستنجد[٦]، وكان ذلك في العبور الثاني له للعدوة المغربية عام (٤٨١هـ)[٧]، إثر تزايد مضايقات الإسـبان للأندلـسيين ببنـائهم لحصن (لييط)، ومما يرجح ذلك أن وصف اليابسي لجيش المرابطين الذي عـاد بـه المعتمـد، وكأنه أمامه حيث قال[٨]:

---

1) نفسه، ق ٢/م١/٨٥.

2) هو: أبو بكر محمد بن العطار اليابسي، نسبة إلى يابسة إحدى الجزائر الشرقية عاش في عهد أمراء الطوائف، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق ٤/م١/٣٧٦-٣٧٩، والمقّري، نفح الطيب، ٤/١٠ وابن سعيد، المغرب، ٢: ٤٧٠.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/٣٧٧.

4) اصطلم: استئصل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صلم.

5) نفسه، ق ٤/م١/٣٧٦.

6) ينظر في شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ج٢/٦٠و ٦١.

7) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٦ و ٦٧.

8) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤/م١/٣٧٧و٣٧٨.

فالأرضُ تَقلقُ مِنْ جَيْشٍ قفِلْتَ بِـــهِ وَالجوُّ يَعثُـــر فيـــهِ مِـــنْ قنـــاً وظُبَـــا
جَيْشٌ إذا مَـــا قتَـــامُ النَّقـــع جَلّلَـــهُ كانتْ سُيُوفُكَ نَـــاراً والعِـــدى حَطَبـــا
مِنْ كُلِّ مُلْتثمٍ والبيضُ سَافِـــــــرَةٌ والشَّمسُ قَدْ كُسيتْ مِنْ قسطلٍ حُجُبَـــا

أما ابن سارة الشنتريني[١] (ت ٥١٧هـ) فاتجه إلى القواسم المشتركة التـي تـشد مـن أواصر الوحدة الإسلامية أمام الآخر، فدفاع المرابطين عن الأندلس هـو دفـاع عـن الـدِّين الإسلامي، وحمايتهم لها هي حماية لوجود الدِّين أمام من يحاول طمسه، والمرابطون يجاهـدون في الله حق جهاده، وأميرهم أبو بكر بن إبراهيم بن تيفْلَويت[٢] وكنى بأبي يحيى أيـضاً مـدار الشجاعة وقطبها إذ يخاطبه مادحاً[٣]:

لِمَ لا تُراحُ شَريعةُ التَّقْـوَى بِهِـمْ وَجُفُونُهَـــا مِـــنْهُمْ تَـــرَى أنْـــصَارَها؟
ضَرَبُوا سُرادِقَ بأسِهمْ مِـــنْ دُونِهـــا وَقَـــد اشْـــرَأَبَّ الكُفـــرُ يَهـــدِمُ دَارَهَـــا
لبسوا القلوبَ على الدُّروع فـدوّخوا أرضَ العـــدى واستأصـــلوا كُفّارهـــا
شهبٌ إذا أوفتْ عَلى أفق الـوَغَى جَعَلتْ أبـــا يحيـــى الأميـــرَ مَـــدارهَا
أودتْ زنادَ المسلمينَ لَـــــــهُ يدٌ بالنُّجح تَقدحُ مِرْخَها[٤] وعَفارهـــا [٥]

وابن سارة الشنتريني ربط بين صفات ممدوحه الأمير المرابطي أبي يحيى أبي بكر بـن إبراهيم بن تيفْلَويت ودور المرابطين في الأندلس فهم من أقال عثرتها، وأزال كدر مواردهـا، إذ يخاطبه مادحاً[٦]:

أصْفَى مَوارِدَها، أزاحَ سَقامَـــهَا أحيَى خَواطِرَها أقالَ عِثارهَـــا

1) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكري الشنتريني ويقال ابن صارة الشنتريني ناثر وشاعر، سكن إشبيلية واحترف الوراقة،وتجول في بلاد الأندلس،وامتدح الولاة وكتب لبعضهم توفي سنة (٥١٧هـ)، ينظر ترجمته وأخباره في: ابن بسام الذخيرة، ٢/٢/٨٣٤، ابن سعيد: المُغرب، ١/٤١٩، رايات المبرزين، ٣٥، ابن خاقان، قلائد العقيان، ٨٠٩، ابن دحية، المطرب، ٧٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٩٣، ابن الخطيب، الإحاطة ٣/٤٤٠، والأصفهاني، العماد، خريدة القصر، ق ٤/ج٢/٢٧٠.

2) سيتم التعريف به ص٣٩.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٤/٨٣٦.

4) المَرْخ: شجر كثير الوَرْي سريعه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فرح .

5) العَفار: شجر يتخذ منه الزِّناد، ينظر فيه: نفسه، مادة عفر .

6) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٤/٨٣٦.

ويؤكد ابن سارة على عمق رابطة الأخوة الدينية الإسلامية التي تجمع بين الأندلسيين والمرابطين، فالمرابطون حماة للدِّين والشريعة، وممدوحه ولي أمة محمد – عليه الصلاة والسلام – يجيرها من صعب الحوادث، ويحرص على ألا تكبو[١]:

أوليَّ أمةِ أحمدٍ، أبهجتَهَا مُذ صِرْتَ مِنْ جَوْرِ الحَوادثِ جَارَهَا

حَاشا لأزنُدِ شَرْعِنا مِنْ كَبْوةٍ وَيَدُ ابنِ إبراهيمَ تُوري نَارهَا

ويرسل ابن العطار اليابسي[٢] دفقة حماسية – للحضّ على الجهاد- إلى ممدوحه، الذي لم يَذكر اسمه – إذ وصف شجاعته، وصلابته في طلبه الحثيث للعدو، وعودته مكللاً بالنصر، فغدا الإسلام – وقصد المسلمين – في أحسن حال، حيث يقول[٣]:

تَشْدو بهَامِ المُشركينَ فَيعتَري أذنَ الهُدى لغنائها إصغاءُ

والجيشُ مضطّربُ البنُودِ كأنَّهُ تَحتَ العَواصفِ لُجَّةٌ خَضْراءُ

ثابرتَ فِي طَلَبِ العدوِّ مغاوراً حتَّى اشتكى التأويبُ والإسراءُ

فصَدرتَ والإسلامُ فوقَ جبينهِ وَضَحٌ تضاءلُ عن سناهُ ذكاءُ

واختار ابن أبي الخِصَال قصيدة أبي تمام في فتح (عموريّة) وخمَّس مادحاً الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين[٤]، حاضّاً إياه فيها على الجهاد، وحماية الثغور، اقتداءً ببطل عمورية الخليفة العباسي المعتصم إذ قال ابن أبي الخِصَال[٥]:

وانهضْ نُهوضَ أبيِّ النَّفسِ معتزمِ واسلكْ سَبيلَ أبي إسحاق مُعتصمِ

وخُذْ بثأركَ في البيضاءِ واحتكمِ يا غيَرةَ اللهِ قد عاينتِ فانتقمي

بغزوِ محتسبٍ لا غزوِ مُكتسبِ[٦]

وارمِ العدوَّ بسَهمٍ منكَ لم يطشِ وانعشْ بحزمكَ ذاكَ الثَّغرَ يَنتعشِ

وارغبْ بتابعِ أصحابِ الهُدى حَنَشٍ[١] عَنْ كُلِّ رِجْسٍ لِحرِّ الجَمرِ مُفترشِ

---

1) نفسه، ٤/٨٣٦.

2) سبق التعريف به ص ٣٦.

3) ابن بسام الذخيرة، ق٤/م١/٣٧٩.

4) سبق التعريف به ص ٢٩.

5) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١٠، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، ص٤٨ .

6) مستفاد من قصيدة عمورية لأبي تمام، ص٤٦، التبريزي، الخطيب، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب والتبريزي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١ .

واربأْ بأعظُمهِ عَنْ ذلك اللّهبِ

واهاً لِوَحْشةِ مَبْداها ومَحْضَرِهـــا وَاهاً لِرَقْصِ مُصَلاًّها ومَنْحَرِهـا

واهاً لِمسجِدِها الأعْلَى وَمنبرِهـــا لشَدَّ ما سُلبتْ إشراقَ مَنْظَرِهـــا

وغُودِرَتْ وحشَة السَّاحاتِ والرَّحَبِ(٢)

ثم يطالب أبن أبي الخِصَال الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، بأن يغيث المنكوبين من أهل الأندلس ويكشف ضيقهم، بإعلاء راية الجهاد في سبيل الله، إذ يقول(٣):

إليكَ بعدَ أميرِ المؤمنينَ عَلِـــــي نَشْكُو ونَفْزَعُ عِنْدَ الحادثِ الجَلَلِ

فاكشفْ أراجيفَ هذا الرَّوعِ والوَهَلِ بعارضٍ للمنايا مسبلٍ هَطِـــلِ

بالمَّشرفية والأرواحِ مُنْسَكِبِ

إن دوي انتصارات المرابطين على الإسبان؛ جعلت الشعراء الأندلسيين يتغنون بها، بل ويطالبون بالمزيد ،فقد علموا أنها معركة وجود، وفي هذا الإطار نفهم قول ابن خفاجة في مدح وحضّ الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بعد فتحه لأحد الحصون حيث يقول ابن خفاجة(٤):

ولا بَأسَ إلا مِـنْ سُـيوفِكَ يُنتـضَى ولا سَـعْدَ إلا فـي رِمـا حِـكَ يُـشْرَعُ

وهَـلْ أنْـتَ إلا رَحْمَـةُ اللهِ تُنْكَفـي عَـذاباً علـى أهْـلِ المَعاصِـي فتَقمَـعُ

فَكَمْ حِرزِ عِزٍّ قَـدْ غَـشِيتَ بِبطْـشَةٍ تُصِمُّ العِـدى قَرْعـاً بِهـا حِـين تَـسْمَعُ

فانجزْ فيهِ مَوْعِدَ السَّيفِ فاتِـــكٌ يَهُونُ عليهِ الجانبُ المُتمنِّـــــعُ

وابن خفاجة لم ينس استجابة المرابطين الدائمة لنداء الأندلسيين، وشجاعتهم –أيـضاً- في حروبهم مع الأسبان، نلمس ذلك أثناء مدحه للأمير أبي بكر بن إبراهيم (ابن تيفْلويت)(٥)، في قوله(١):

---

1) الإشارة هنا إلى التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني، جاهد في البر والبحر، ودخل الأندلس مجاهداً، يقال أنه ابتنى مسجد سرقسطة وفيها دفن سنة ١٠٠هـ، ينظر في الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٩٧، والضبي، بغية الملتمس، ص ١٠.

2) ابن أبي الخِصَال، رسائل بن أبي الخِصَال، ص ٤٨.

3) ابن أبي الخِصَال، رسائل بن أبي الخِصَال، ص ٤٩.

4) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٨٨.

5) هو ابو يحيى (ويكنى بأبي بكر أيضاً) بن إبراهيم بن تيفلويت من أمراء المرابطين، صهر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، (زوج اخته)، تولّى حكم غرناطة، ثم سرقسطة، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم ابن ماجَّة، توفي (٥١٠هـ)، ينظر ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة، م١/٤٠٤، وابن سعيد، رايات المبرزين، ص ١٣٣.

مِنْ مَعْشَرٍ تَدْمى بهمْ يومَ الوَغَى ... بيضُ السيُّوفِ وأوْجُـهُ الكُفّار
يتتابعُونَ إلى الصَّريخِ كأنَّهمْ ... أمواجُ بحرٍ قَدْ طَمى زَخَّار

وذكر أبو جعفر بن وضاح المرسي[٢]المعروف بابن البقيرة (ت ٥٤٢ هـ)، أثر مساندة المرابطين للأندلسيين وجهادهم لمواجهة الأخطار الخارجية التي كادت تعصف بالأندلس، وذلك في مدحه للأمير أبي بكر بن إبراهيم (ابن تيفْلويت) حيث قال[٣]:

قَومٌ هُمُ مَنَعوا حِمَى المَلِكِ الذي ... كَادتْ تُضَعْضِعُهُ يدُ الأعداءِ
وهُمُ إذا رَفَعَ الصَّريخُ بدعوةٍ ... حَفظوا أعنَّتَه إلى الهيجاءِ
مِنْ كُلِّ مُنْصلِتٍ كَصَدْر حُسَامِهِ ... مُستيقظٍ كالصَّعْدَةِ السَّمْراءِ

ولا ريب أن الأندلسيين قد أحسوا بعظم تضحيات المرابطين في الدفاع عن الأندلس، وقدروا ذلك، ودعموا استمراره، وذلك بمدحهم لقادة المرابطين لا سيما الذين كان لهم جهد ونشاط كبيران، في استعادة بعض المدن أو في حماية مدن أخرى، فقد كانوا مناط آمال الأندلسيين وموضع رجائهم، ومن هؤلاء كما لاحظنا في الصفحات السابقة الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين والأمير أبو بكر بن إبراهيم بن تيفْلويت ويبدو أن الأمير عبد الله مُزْدَلي[٤] قد حاز على إعجاب الشعراء الأندلسيين – أيضاً - من مثل أبي بكر محمد ابن الأبيض[٥] الذي مدحه في موشحه قال فيها بعد المطلع[٦]:

كيف لا يحل من الجاه ... موضع النَّجاد
مِنْ أميرِهِ عبد الله ... بدرُ كُلِّ نَاد
وهو يوم غَصَّة الأفواه ... ضيغم الجلاد

---

1) ديوان ابن خفاجة، ص٣٨ .

2) هو: أبو جعفر أحمد بن وضاح الملقب بابن البقيرة ابن الوضاح المرسي، أديب وشاعر، ت سنة (٥٤٢هـ) وهوفي شرخ الشباب، ينظر ترجمته في: ابن خاقان ،مطمح الانفس، ص ٣٩٩ والأصفهاني، خريدة القصر، ٢/٢٥١. وابن سعيد، رايات المبرزين، ص ١١٠.

3) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ٤٠٣.

4) هو: عبد الله بن مزدلي بن يتولتكان أو (سلنكان) بن حمنى بن محمد، وهو من أقارب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وأحد كبار قواده، ابن الأمير مزدلي مسترجع بَلَنْسية ، من مناقب الأمير عبد الله المساهمة في استرجاع مدينة بَلَنْسية سنة (٤٩٥ هـ) استشهد في إحدى المعارك عام (٥٠٨ هـ)، ينظر ترجمته وأخباره في :ابن الخطيب، الإحاطة، م٣ /٢٧٤ وابن القطان، نظم الجمان، ص١٩ .

5) هو: ابو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض، من فحول شعراء الأندلس، كان وشاحاً مشهوراً، توفي بعد سنة (٥٢٥هـ) وقيل بعد (٥٣٠هـ)، ينظر ترجمته وموشحاته في: ابن سعيد، المغرب، ج٢/١٢٧، والاصفهاني، الخريدة، ق٤/م٢/١٦٠، المطرب، ص٨١، ابن الخطيب، لسان الدين، جيش التوشيح، حققه هلال ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، ٥٧

6) ابن الخطيب، جيش التوشيح، ص٥٧، وينظر - أيضاً – ص٤٧ و ٤٨، وينظر - أيضاً – موشحة أبي بكر بن رحيم، ص٥٨ .

قد أعد قبل الميدان رأيه الأصيل وانتضى لطعن الفرسان رأيه الصقيـــــــل

أنـــــت يـــا منـــاط الآمـــال خدن كــــــــــــــل روع

هيبـــــة ســــرت بالآجـــال والقنـــــــــــا هجـــــــــوع

مزقت قلوب الأبطـــــــــــال داخل الضلـــــــــــــــوع

واشتد بصدر حران كله غليل لم تجد نفوس الشجعان للبقا سبيل

وبين أن ابن الأبيض عند مدح الأمير سير بن أبي بكر[١] في إحدى الموشحات منبهاً إلى جهاد المرابطين، وبأسهم الشديد. فللحرب لغة لا يفهمها إلا الشجعان .

وجاء في الموشحة بعد مطلع ودور غزلي[٢]:

كيـــــفَ لا تَحـــــسنُ دنيـــا سَـــــنَّ فيهـــا العـــــدلَ ســــيرُ

مَلِـــــكٌ طلـــــقُ المُحيـــا كلُّـــــــه بـــــــشْرٌ ونُـــــورُ

قـــد أقـــرتْ كُـــلَّ عليـــا أنَّـــــــهُ العِلـــــقُ الخطيـــــرُ

فـــإذا مـــا الحـــربُ تنـــزو بالقَنَـــــا بأسَـــــــاً وإقـــــدام

عـــفَّ عـــن طعـــنِ الوريـــدِ ومــــــشى بـــــالرُّمح قُـــــدّام

لــــكَ بالعَليـــاء وســـمٌ عنــــدما يَحمَــــى الــــوطيسُ

وشـــرابُ القـــومِ سُـــمٌّ اترعــــتْ فيــــهِ الكُــــؤوسُ

بـــأبي يَـــــومٌ أحَـــمٌ بُــــذلتْ فيــــهِ النَّفــــوسُ

وكـــلامُ الحـــربِ رمـــزٌ افهمــــتْ مِـــنْ بعـــدِ إعجـــامِ

قابلتَ كَداً بكَـــــــــــدٍ فقرعت الهام بالهــــــــــــامِ

وقد انطلق الوزير الأديب عبد الحق بن عطية مادحاً الأمير عبد الله بن مزدلي من المعاني الدينية التي حرصت دولة المرابطين على رعايتها، وحرص هو على مدح البطل الذي طالما أحب الأندلسيون أن يكون بينهم، يقود الفتوحات ويحمي الثغور، ويسد الخلل، إذ قال[٣]:

ضَـــاءتْ بِنُـــورِ إيابِـــكَ الأيَّـــامُ واعتـــزَّ تحـــتَ لِوائـــكَ الإســـلامُ

أمَّا الجَميـــعُ ففـــي أعـــمِّ مَـــسرَّةٍ لمّـــا انجلَـــى بظهـــوركَ الإظـــلامُ

كَمْ صَدَمةٍ لَكَ في العِدا مَـــشهورة غَـــصَّ العِـــراقُ بِـــذكرها والـــشَّامُ

---

1) سبق التعريف به، ص٤٦.

2) ابن الخطيب،لسان الدين،جيش التوشيح، ص ٤٧.

3) ابن خاقان، القلائد، ج٣/٦٥٨ ووردت القصيدة أيضاً في: الاصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٥٣٠ و ٥٣١.

في مأزقٍ فيهِ الأسنةُ والظُّبـــى   بَرقٌ ونقعُ العادياتِ غَمـــامُ

ونلمح في مدح ابن الأرقم عبد العزيز بن محمد[1] للأمير عبد الله بن مُزْدَلي، سعادته بوجود البطل المنشود الذي تعطش الأندلسيون له ولفروسيته وقهره الأعداء، وهي شخصية جاذبة للأدباء مثيرة لنظم الشعر عندهم، حامية وراعية للأندلس؛ لذا يمدحه وقد غزا في رمضان قائلاً[2]:

سَرَيْتَ واللَّيلُ مِنْ مَـسْراكَ فـي وَهَـلِ   مُبرَّأ العَزمِ مِنْ أيْنٍ ومِنْ كَسَلِ

ظَلَلْتَ يَوْمَـكَ لـم تَنْقَـعْ بـهِ ظَمَـأً   وظلَّ رُمحُكَ فِي عَلٍّ وفِي نَهَلِ

وكُلّمـا رامـتِ الـرُّومُ الفِـرارَ أتـتْ   مِنْ كُلِّ أوْبٍ وضمَّتها يدُ الأجَلِ

فـصارَ مُقْـبِلُهُمْ نَهْبـاً ومُدْبِـرُهمْ   وعادَ غانمِهُمْ من جُملةِ الثَّقَـلِ

فكم فَكَكْتَ مِـنْ الأغـلالِ مِـنْ عُنـقٍ   وكم سَدَدْتَ بهذا الفَتح مِنْ خَـلَلِ

أنتَ الأميرُ الـذي للمجـدِ هِـمَّتُهُ   وللممـالـكِ تَحـميها وللـدُّولِ

وللمواهيـبِ أو للخطِّ أنمُلُـهُ   ما لم تحِـنَّ إلى الخطـيَّة الذُّبُـلِ

ولقد حرص الشعراء الأندلسيون، في معظم أغراض الشعر الأندلسي وأشكاله، على ضخ روح الجهاد في القصائد، والمقطوعات والموشحات – أيضاً- كموشحة ابن الأبيض السابقة الذكر، وكموشحة ابن الصَّيرفي[3] الغزلية التي امتدح في بعض أدوارها جهاد الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف في الأندلس حيث قال في أحد أدوارها بعد أن تغزّل[4]:

إنَّمـا الحـربُ الزَّبـونُ   روضـةُ الأسـدُ الحُماة

حَيـثُ للقَنَـا غُـصونُ   أثمـرتْ بالباتـرات

والأميرُ تاشفيـنُ   في ظلال خافقـات

من رماحٍ سمهرية   تنظمُ الشكلَ وتنثرُ   بسيوفٍ مشرفية   كلَّ هامات ومَغْفِر

---

1) هو: أبو عامر بن أبي الأصبغ بن أرقم بن عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميري الوادياشي، ناظم وناثر، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٣ / م١ / ٤٠٤ .

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٣٦٨، ٣٦٩، وينظر – أيضاً – القصيدة كاملة : ابن بسام، الذخيرة، ق٣ / م١ / ٤٠٤ – ٤٠٥.

3) ابن الصَّيرفي: هو أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري، أديب ومؤرخ، من أهل غرناطة، كان كاتباً لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وله كتاب مفقود أرّخ فيه للدولة المرابطية سمّاه: " الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، ينظر أخباره: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤/٤٠٧-٤١٥، وأعمال الأعلام، قسم المغرب، ص ٢٥٧-٢٦٠،والمقري، نفح الطيب، ج٣/١٨١.

4) ابن الخطيب، جيش التوشيح، ص ١٢٤.

إن الإخلاص الذي نستشعره من ابن الصيرفي تجاه المرابطين، يتجلى واضحاً في حرصه على الدفع باتجاه المديح الموجّه، لكسب المزيد من الفتوحات بالجهاد في سبيل الله، لحماية الأندلس.

كما نلمس انتفاء النزعة الإقليمية لديه، وتقديمه لدينه ولوطنه، بل إن ابن الصَّيرفي – مثلاً – لم يأل جهداً في مدح المرابطين، وحضّهم على الجهاد بكافة صور الشعر المعروفة آنذاك، وبروح مليئة بالثقة بنصر الله تعالى، فها هو يمدح الأمير تاشفين بن علي بعد هلاك ألفونسو المحارب فيصف الأمير قائلاً[١]:

سيفٌ به ثُلَّ عرشَ الرُّومِ وأطَّادتْ	قواعدُ المُلْك واستولى بــه الظَّفــــــرُ
وأدرك الدِّينُ بالثار المُنيم علـــى	رغمٍ وجاءتْ صُروفُ الــدَّهر تعتــذرُ
لكَ الكتايبُ مــلءُ البيــدِ غازيــةٌ	إذا أتتْ زمــرٌ منهــا مــضتْ زُمَــرُ
تدبُّ منها إلى الأعداءِ سابلــــــةٌ	عقاربُ مالها إلا القنا إبَــــــــــرُ

ولا ريب أن لتهنئة القادة بالانتصارات أثراً إيجابياً في نفوسهم، عمل الشعراء الأندلسيون على تسخيره لمصلحة الأندلس وحمايتها من الأخطار المحدقة بها، ومن ذلك قول ابن الحدّاد[٢] (ت ٤٨٠هـــ) مهنئاً المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود حاكم سَرَقُسْطة؛ لرده هجوم الإسبان على أحد حصونه عام (٤٦٢هـــ) حيث قال [٣]:

مَضَاوكَ مضمونٌ له النَّصرُ والفــتحُ	وسعُيكَ مقرُونٌ به اليُمْنُ والنُّجــــحُ
إذا كانَ سَــعْيُ المــرءِ للهِ وحــدَهُ	تدانَتْ أقاصِي ما نَحَاهُ وما يَنْحو
بكَ اقتدح الإســلامُ زَنْــدَ انتــصارهِ	وبيضُكَ نارٌ شُبُّها ذلك القَدْحُ
وجَلَّى ظلامَ الكُفرِ منكَ بغُــــــرَّةٍ	هي الشمَّسُ والهندِيُّ يقْدمها الصبُّــحُ

---

1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤/٤٠٨.

2) ابن الحدَّاد: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حداد القيسي (ت ٤٨٠هـــ) من أهل وادي آش، استوطن ألمرية أغلب عمره، وكان معظم شعره في بني صُمادح، لكنه التحق ببني هود في سرقسطة، ينظر ترجمته وأخباره في :ابن بسام،الذخيرة، ق١/م٢/٦٩١-٧٢٩،وابن سعيد،رايات المبرزين، ص ١٠٦، والمقّري، نفح الطيب، ج٣/٥٠٢-٥٠٥ و ج٤/٤٨-٥٠.

3) ابن الحداد، ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه الدكتور يوسف علي طويل،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٧٨.

أما أبو بكر بن اللَّبانة[١] (ت ٥٠٧ هـ) فقد كان مقلاً في شعر الحضّ على الجهاد، إنما له بعض الإضاءات المدحية، تألق فيها وميض الجهاد و الحضّ عليه، ومن ذلك هذه الأبيات من قصيدة طويلة، لم يُذكر فيها اسم الممدوح، وإن كان المرجح أنها في مدح (مُبشِّر) حاكم الجزائر الشرقية، يقول فيها ابن اللَّبانة[٢]:

يزفُ إلى الأعداءِ مِنْ حَومَـــة الوَغى ... عروسٌ خِمارُ عِطرُها عِطرُ مَنْشِـــم

ويركبُ فِي أرحالها ظهر شَيْظَـــم[٣] ... فيَحملهم مِنْهم على ظهر شيهـــم[٤]

فيرجوه حتَّى الطير مما تعـــوّدتْ ... بلحم عِداهُ مطعماً بعدُ مطعـــم

ومن المثير للاستغراب ألا نجد فيما وصلنا من أدب عصر الطوائف، ما يشير إلى مساهمة شعراء مشهورين احتلوا مكانة مرموقة في عصرهم، فلا نجد لهم شعراً في الحضّ على الجهاد، كابن زيدون وابن عمار – مثلاً -، فقد انشغلوا بمشاكل عصرهم وبتحقيق طموحاتهم، حتى ابن الحدَّاد وابن اللَّبانة انصبت معظم أشعارهما على المدائح الفردية[٥]. للأمراء والتي تمجد الأمير لشخصه، لا لدوره في حماية الأرض والعباد، كما نجد أشعاراً تمجد انتصار أمير أندلسي على آخر في عصر الطوائف[٦]، ولا يذكر فيها الجهاد والحضّ عليه، ونجد في المقابل أن الفقهاء قد اندفعوا بحماستهم الدينية، وكانوا أكثر جراءة من كبار الشعراء، ربما لو انصب اهتمام الشعراء بالحضِّ على الجهاد أكثر لكان الأثر في نفوس الناس كبيراً أيضاً[٧].

1) ابن اللبانة: هو أبو بكر محد بن عيسى بن محد المعروف بابن اللبانة، أديب أندلسي من أهل دانية، له مدائح في مبشر حاكم الجزر الشرقية، وفي المعتمد بن عبّاد، له ديوان شعر، وكتب مفقودة، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق ٣/م٢/٦٦٦-٧٠٢، وابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٢٤٥-٢٥٢، وابن سعيد، المغرب ٢/٤٠٩-٤١٦.

2) السعيد، محمد مجيد، شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٧م، ص ٩٧.

3) شيظم: الفتي الجسيم والفرس الرائع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شظم.

4) شيهم: ذكر القنفذ، ينظر: نفسه، مادة شهم .

5) ينظر – مثلاً -: ابن الحداد، ديوان ابن الحداد الأندلسي، ص ٢٥٣ و ٢٥٠ وشعر ابن اللبانة الداني، ص ٧٢.

6) ينظر – مثلاً: ابن الحداد، ديوانه، ص ١٨٥ وشعر ابن اللبانة الداني، ص ٣٥.

7) ينظر: شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في عصر ملوك الطوائف، ص ٢٨٤.

وقد كان ابن خفاجة أحد الشعراء الذين اهتموا بوطنهم وبالدفاع عنه، بل وأخلص لمن أخلصوا لوطنه، حتى وإن لم يكونوا أندلسيين فهو هو يقول – فرحاً- باسترجاع بَلَنْسية على يد المرابطين[١]:

الآنَ سَحَّ غَمَامُ النّــصرِ فــانهَمَلا وَقَامَ صَــغوُ عَمُــودِ الــدِّينِ فاعتَــدَلا

وَلاحَ للسَّعدِ نَجمٌ قَدْ خَوى فَهَــوى وَكرَّ للنَّصرِ عَصرٌ قَــدْ مَــضَى فَخَــلا

وأشرَقَ الدَّمُ في خدِّ الثَّرى خَجَلا وأظلَمَ النَّقعُ في جَفْنِ الوَغَى كَحَــــــلا

وَأقشَعَ الكُفرُ قَسراً عَنْ بَلَنْسيــةٍ فانجابَ عَنْها حِجَابٌ كانَ مُنْسَــــــدِلا

ولم يكن الرثاء بعيدا عن مؤازرة أدب المواجهة فقد استطاع الشعراء فيه، بث احزانهم وآلمهم، وهم يرون المدن والحصون تتهاوى، ويشتد حزنهم أيضاً لموت قائد أو بطل منقذ[٢]، ومع أن مقدار الحزن كان أكبر من النكبات نفسها، فقد شكّل الحزن دافعاً للتحرك، وجزءاً متمماً لأدب الحضّ على الجهاد. فبعض أبيات قصائد الرثاء قد تطلب غوثاً وتحضّ على الجهاد، و قد تثير كوامن النفوس للدفاع عن الوجود والسيادة؛ لاستعادة ما سقط من أراضٍ أندلسية، فهذا شاعر مجهول يرثي (طُلَيْطلة) بعد سقوطها مستنفراً المسلمين لاستعادتها[٣]:

خُذُوا ثَــأرَ الدِّيانَــةِ وانُــصُروها فَقَــدْ حَامــتْ علــى القَتْلــى النُّــسُورُ

ولا تَهِنُوا وسُلُّوا كُلَّ عَــضْـــبٍ تَهَـــابُ مَــضارباً مِنْـــهُ النُّحُـــورُ

ومُوتـــوا كلُّكـــمْ فـــالموتُ أولـــى بِكُـــمْ مِـــنْ أنْ تُجَـــاروا أو تَجُـــوروا

أصبراً بعدَ سَبْي وامتحــــــانٍ يُلامُ عليهما القلبُ الصَّبـــــــــورُ

وقد تألم الفقيه الزاهد ابن العسّال لسقوط (بَرْبَشْتر) (٤٥٦هـ)، وأحسَّ بعمق الجرح الذي نزفه الأندلسيون فقال[٤]:

كَمْ مَوْضعٍ غنِموهُ لم يُرْحَمْ بهِ طِفْلٌ وَلا شَيْخٌ وَلا عَذراءُ

---

1) ديوان ابن خفاجة، ص ٢٠٨

2) من ذلك رثاء يوسف بن تاشفين من قِبل الشاعر أبي بكر بن سوار الأشبوني حيث قال:

تصلُ الجهـــــــادَ إلى الجهاد موفقاً حَتَمَ القضـــــــــاء بكلِّ ما تقَضيه

في كلِّ عام غزوةٌ مبـــــــــرورةٌ تردي عديدَ الروم أو تُفْنيــــــــــه

ينظر بقية القصيدة: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٨١٣ وينظر رثاء ابن خفاجة ابي بكر بن ابراهيم بن تيفلويت: ابن بسام الذخيرة، ق٣/م٢/٦٢١، وقد وردت أيضاً في: ابن عذاري، البيان المغرب .ج٤/٤٧.

3) المقّري، نفح الطيب، م٤/٤٨٤.

4) الحميري، صفة الأندلس من الروض المعطار، ص٤٠ و ٤١

وَلَكمْ رَضيعٍ فَرّقوا مِنْ أُمِّهِ   فلهُ إليها ضَجَّةٌ وَبُغَاءُ

وَلربَّ مَولودٍ أبُوهُ مُجدَّلٌ   فَوْقَ التُّرابِ وفَرْشُهُ البيداءُ

وَمَصُونةٍ فِي خِدِرِها محجوبةٍ   قد أبرَزُوها ما لَها استخفَاءُ

وعزيزِ قومٍ صارَ في أيديهـــم   فعليهِ بعدَ العزَّةِ استخــذاءُ

إنّ الفضيلة التي يُمدح بها ولاة الأمر، هي الجهاد في سبيل الله بعزيمة لا تفتر،وإرادة لا تلين، ويتصل ذلك بتوفير الأمن والعدل أيضاً، فالصبر على الجهاد كان أحد المحاور في الحضّ على الجهاد، ومن ذلك قول الأعمى التُّطيلي[١] (ت٥٢٥هـ) في مدحه للأمير أبي يحيى سير بن أبي بكر[٢] إذ يقول[٣]:

بها مليكٌ بنور الحقِّ ممـتـزجٌ   وظـلُّ أمْـنٍ بـستر اللهِ مُتَّـصلُ

وَعزْمَةٌ في جهادِ الكُفرِ ماضيـةٌ   من غَرْبها لا الشَّبا الماضي ولا الأسلُ

أما محمد بن عبد الغفور[٤] (كان حياً في سنة ٥٣١هـ) في مديحه ليحيى بن سير بـن أبي بكر[٥] فيرى أنه البطل المنقذ، لأنه القادر على حماية الثغور الأندلسية، لذا اطمأنت القلـوب وعمَّ السرور، فهو القائد الذي بذل الممكن وكان نموذجاً في الشجاعة وحـب الجهـاد وحمايـة الثغور، فاستحق قول ابن عبد الغفور[٦]:

حَمَـى – فَأرْضَـى الإلـهَ – ثَغْـراً   حقَّـاً لَـهُ لـذَّةُ الثُغُـور

قَرَّتْ بهِ أعيُنُ البَرايـــا   فــأعْملوا أكْـؤُسَ الـسُّرور

---

1) هو: أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة القيسي التطيلي الضرير، يكنى أبا جعفر، له أدب بارع، توفي سنة (٥٢٥هـ)، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٧٢٨ وابن خاقان، قلائد العقيان ٢٧٣، وابن سعيد، المُغرب ٢/٤٥١، والمَقْري، نفح الطيب، ٣/٢٠٧ و ٢٤١، وديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢م .

2) هو: أبو يحيى سير بن أبي بكر أحد كبار قادة يوسف بن تاشفين، اشترك في معركة الزلاقة، وفي عزل بعض ملوك الطوائف، وفي استعادة مدينة (شنترين) حكم ولاية إشبيلية سبعة وعشرين عاماً، توفي بها سنة (٥٠٧هـ). ينظر أخباره في: ابن عذاري، البيان المغرب ٤/٥٧ و ٢٤ و٥١، وابن زرع، الأنيس المطرب، ١٥٤، والمقّري، نفح الطيب ٤/٣٧٠والمراكشي، عبد الواحد، المعجب، ١٦٤.

3) التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، ص١١٥.

4) هو: أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، كان حياً في سنة (٥٣١هـ) بمراكش، كتب لأمير المسلمين علي بن تاشفين، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٣٢٥. وابن سعيد، المغرب، ١/٢٣٦ و٢٣٧، ورايات المبرزين، ١٢، وابن خاقان، قلائد العقيان، ١٨٢، وابن دحية، المطرب، ٢٠٠.

5) هو: يحيى بن سير ابن القائد المرابطي سير بن أبي بكر، حكم ولاية إشبيلية من عام (٥٠٧هـ) إلى عام (٥٠٨هـ) ينظر أخباره في: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١٠٦ و ٢٤ و٥١.

6) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٢.

وأصبحَ الشِّرِكُ فِي تَبَــــــــــابٍ   يَدْعونَ بالوَيْلِ والثُّبُـــــــــــورِ

ويُفضِلِ ابن خفاجه[1] (ت ٥٣٣هـ) في مديحه للأمير أبي الطاهر تميم[2] (ت٥٢٠ هـ) أن يُقابل بين الكرم من ناحية النجدة والشجاعة من ناحيــة أخــرى، فقــوة الــصفات النفــسية للممدوحين، تؤهلهم لمواصلة المقاومة والجهاد، ولإقناع المتلقين بالقدوة الحية والمثل الأعلى – أيضاً - ، فالكرم لا يكون بالمال وحسب، بل وبالنفس وبغوث المستنصر، إذ يقول[3]:

إذا اسْــتَمطَرتَ مِنْــهُ غَمَــامَ رُحمْــى   أو اسْتَنْــصرْتَ فِــي يَــوْمِ عَــصِيِبِ

مَلأتَ يَديكَ يُسراها بُيــســــــــرٍ   وَيُمْنَاها بمُخْتَرط[4] خَــشيــــــــبِ[5]

فإنَّ الغَيْثَ فِي بيْضِ الأيَـــــــــادي   وإنَّ الغَوْثَ فِي النَّصلِ الخَضِيــــــبِ

ومن الملاحظ أن سقوط مدينة (بَرْبَشْتر) قد هزَّ وجدان أدبــاء الأنــدلس هــزة عنيفــة، سطرت أقلامهم بعدها قصائد ورسائل في الحضّ علــى الجهــاد، و فــي تقريــع المتقاعــسين والمتخاذلين، وفي الدعوة للمواجهة والمقاومة، لمواجهة المآسي والهزائم، مما دفــع الــشعراء لوصفها و الحضِّ على إبدالها بالنصر والفتح.

فهذا أبو حفص عمر بن حسن الهَوْزني (ت ٤٦٠هـ) يرفع صوته عاليــا بعــد ســقوط (بَرْبَشْتر) حاضّاً المعتضد على الجهاد، للتغيير وتصحيح الموازين، لا سيما مع اقتدار المعتضد على ذلك، لمعالجة تفكك الأندلس، فالهَوْزني لا يستطيع التخلي عن دوره فــي رفــض الواقــع المرير، والحضّ على تحسينه بالجهاد منطلقاً من كونه فقيهاً وأديباً حيث قال[6]:

أعبَّادُ جَلَّ الرُّزءُ، والقومُ هُجَّــــعُ   علــــى حَالَـــةٍ مَـــنْ مِثْلُهـــا يُتوقَّـــعُ

فلقَّ كتابي مِنْ فَراغــك ساعــــةً   وإنْ طالَ فالمَوصوفُ للطُّولِ مَوْضِــعُ

---

1) سبق التعريف به ص ٢٩.

2) هو: أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، حكم ولاية (غَرناطة) من سنة (٥٠٠هـ -٥٠٣هـ) ثم حكم تلمسان بالمغرب، ثم عاد إلىالأندلس فتولى حكم (غرناطة) مرة أخرى من (٥١٥هـ- ٥١٦هـ)، وحكم ولاية إشبيلية سنة وبضعة أشهر، ثم غدا عاملاً على قرطبة وغرناطة سنة (٥١٩هـ)، توفي عام (٥٢٠هـ) ينظر ترجمته وأخباره في: ابن زرع، الأنيس المطرب، ١٥٩-١٦٠، وابن القطان، نظم الجمان، ص ٨و٩ والناصري، الاستقصا، ٦٣/٢ وابن عذاري، البيان المغرب، ٤٩/٤ و ٥٠ .

3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى غازي،منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ٩٢.

4) مُختَرَط: سلَّة من غمده ينظر: ابن منظور، لسان العرب،مادة خرط .

5) خشيب: الصقيل من السيوف ينظر: نفسه، مادة خشب.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٨٥/١.

إذا لم أبُثَّ الدَّاءَ ربَّ دوائـــــــهِ   أضعتُ وأهلٌ للمِلام المُضيِّـــــــــعُ

وما فتئ سقوط طُلَيْطلة عام (٤٧٨هـ) غصة في حلوق الأندلسيين، يتحسرون لسقوطها، ويحضُّون المرابطين المرة تلو المرة على استردادها[١]، فهذا الأعمى التُّطيلي (ت ٥٢٥هـ) يحضّ الأمير سير بن أبي بكر (ت ٥٠٧هـ) على معاودة المحاولة بعد المحاولة لاستردادها، ربما كان إصرار الأندلسيين على استرداد (طُلَيْطلة) نوعاً من محاسبة الذات لاسترجاع ما ضاع، ومحاولة لإرجاع الزمن إلى الوراء، حيث كانت الأندلس قوية وذات سطوة على أعدائها، إذ يقول[٢]:

شَـــافِهْ طُلَيْطلةَ ماذا تُريدُ بِهَـــــا   بالعَطْفِ إنْ أشكَلَ التَّوكيدُ والبَدَلُ

أمطرتَ ما حَوْلها الموتَ الزُّؤامَ فهلْ   مِنْ عودةٍ أيُّهذا العَارضُ الهَطِـــــلُ

ويأتي حضّ ابن سارة الشنتريني (ت ٥١٧هـ) قوياً لا مهادنة فيه، مرتكزاً على نزعة دينية جامحة، فحضّه لا يعرف الاعتدال، فطريقه يبدأ من حد السيف وينتهي به؛ فهو يحضُّ الأمير أبا بكر بن إبراهيم ابن تيفْلويت(ت ٥١٠هـ) على سحق الأعداء الذين تأصل كرههم للمسلمين، بجيش قوي يستطيع تغيير معالم الأرض السليبة، لتعود أندلسية المعالم إذ يقول[٣]:

واقْذِفْ نُحُورَ المــشركينَ بَجحفَـــــلٍ   يَمْحو معـالمَ أرضَــها ومنارهـــَــا

لَجِـبٍ تظُـنُّ الـسَّابغاتُ بـه أضـــيً[٤]   زُرْقـاً ونَقْـعُ الـسَّابحاتِ بحارَهَـا

واحلُلْ عُرى تلكَ الجمَاجِمِ إنَّهـــــا   عَقَدتْ على بُغْضِ الهُدى زُنَّارَهَـا

ويحضُّ الشاعر محمد بن عبد الغفور الأمير يحيى بن سير بن أبي بكر ليَعُدَّ العدَّة اللازمة لحرب الأعداء، ومواصلة شن الغارات عليهم؛ ليحرز النصر، ويشفي صدور الأندلسيين، فيصف المجاهدين وآلات القتال في قوله[٥]:

وانْهَـــدْ إلـــيهْم بكُـــلّ نهْـــدٍ   يَـــأبى مِـــنَ الأيْـــن[١] والفُتـــور

---

1) للمزيد عن محاولات المرابطين استعادة طُلَيْطلة ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ١٠٩ و١١٦، ومؤنس، حسين، الثغر الاعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٠ و٢١.

2) التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، ص ١١٥.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٨٣٦/٤ و ٨٣٧، والأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٥.

4) اضيً، الغدير، نبع الماء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أضي.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان،٤٧٢/٢ .

وشُـــــنَّ غاراتِهَـــــا علــــيهم   مِثْـــلَ العَـــراجين مِـــنْ ضُـــمُورِ

أهلَّـــــةٌ لا تـــــزالُ تَـــــسْري   لتُحـــــرزَ الحَّـــظَ مـــــن ظُهُـــورِ

٤٩

أَصْدَركَ اللهُ ذا انتِقـــــــــــامٍ   مِنَ العِدَى شافيَ الصُّـــــــــــدورِ

وينتهز الشاعر الأعمى التُّطيلي فتح أمير المسلمين علي بن يوسف بـن تاشـفين[٢] (ت ٥٣٧هـ) لـ (قلْمْريَّة) [٣] سنة (٥١١هـ) ليحضَّه على مواصلة الجهاد، وطلـب المزيـد مـن الفتح، ويزداد إلحاح الشعراء عادة على ذلك إذا لمسوا بعض التراخي في الجهاد، فيمدحـه فـي أرجوزة، قائلاً [٤]:

اذكرْ أميرَ المؤمنين واحمـــلِ

وكلُّ طِّرفٍ[٥] ارمه بمِسْحَلِ[٦]

وكلُّ سيفٍ بين لِحْيَـــيْ رَجُلِ

والجُّو قد بانَ لمنْ لمْ يَجْهـــَلِ

وكادتِ الحربُ ولمَّا تَفْعـــلِ

وصالتِ الخيلُ بمنْ لم يَصُـلِ

أنت مُوافٍ فاتئد أو فاعْجَـــلِ

ويشير الأعمى التطيلي إلى تردي الوضع العسكري في الأندلس قبيل الحملة الاختراقية[٧] التي قام بها الفونسو المحارب[٨] عام (٥١٩هـ) ويطالب الأمير أبا بكر بن علي

---

1) الأَيْنُ: الأعياء والتعب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أيْن.

2) سبق التعريف به ص ٢٦.

3) ينظر تفاصيل فتح قُلُمْرية في: ابن عذاري، البيان المُغرِب، ٦٤/٤.

4) التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، ١٥٣.

5) الطِّرف: هو الكريم العتيق من الخيل، ينظر: ابن منظور،لسان العرب، مادة طرف .

6) المِسْحَل: اللِّجام، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سحل .

7) سبق الحديث عنها، وللمزيد حول وجهة نظر الإسبان فيها ينظر:

SIMONET, FRANCISCO JAUIER, HISTORIA DE LOS MOZARABES DE ESPANA, TOMOI , EDICIONES TURNER, MADRID,1983, P 547

8) هو: ألفونسو الأول بن سانشو راميريس الملقب بـ (المحارب) أو بـ(المقاتل) يُعرف في الرواية العربية باسم (الفونش بن رذمير) حكم من (٤٩٩هـ-٥٢٨هـ) حكم آرغون وليون وقشتالة، قاد الحملة الاختراقية في الأندلس عام (٥١٩هـ)، واستولى على سرقسطة عام (٥١٢هـ)، لكن المرابطين هزموه في معركة " إفراغة" عام (٥٢٨هـ) ينظر أخباره في: ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٤ ومجهول، الحلل الموشية، ص ٩١.

علي بن تاشفين[١] بمواصلة الجهاد وصيانة البلاد، ورد اعتداءات الأعداء المتكررة، ويحضُّه على تدارك المسلمين، بعد أن اختل ميزان القوى لصالح الإسبان وحلفائهم. إذ يقول[٢]:

1) هو: أبو بكر بن علي بن تاشفين، أكبر أبناء أمير المسلمين علي بن تاشفين تولَّى حكم ولاية إشبيلية من عام (٥١٨هـ) إلى عام (٥٢٢هـ)، وعندما ولَّى أبوه العهد لتاشفين تذمر فسجن بالجزيرة الخضراء جنوب الأندلس ومات هناك ينظر أخباره في: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١٠٦،ومجهول، الحلل الموشية، ٨٤، وينظر تعليق إحسان عباس على القصيدة في: ديوان الأعمى التطيلي، ص ٢٩٧ و ٢٩٨ ومكي، محمود، رسائل تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٨-٣٠، ومؤنس، حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠.

2) التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، ١٣٥ و ١٣٤.

أبا بكرٍ اقتض تلكَ الدُّيونَ فقد أيأسَ الدَّهرُ مِمَّا مَطَلْ

توخَّ العَلا في ظِلالِ الرِّماح فقد أعوزتْ في ظِلال الكِلَلْ

وَصُنْ حَرَمَ المُلْكِ أنْ يُستباحَ فَسِيما الممالكِ أنْ تُبتذلْ

تداركْ أبا بكرٍ المسلمينَ فقد نَهلَ الضَّيمُ منهمْ وَعَلْ

ومن الملاحظ أن الشعراء الأندلسيين لم يتركوا فرصة للحضَّ على الجهاد إلا انتهزوها، فقد أدركوا بأن الوقت يقطع الأندلس، لا سيما وأن رأس الموحدين بدأ يطل ويتطاول في العدوة المغربية.

إن عمق الصراع الدموي بين الأندلسيين والإسبان لم يكن يطفؤه إلا المزيد من الحروب، مما جعل ابن خفاجة يطالب بل ويحضّ الأمير أبا الطاهر تميم بن يوسف (ت ٥٢٠هـ) على خوض بحار الدم؛ لتبديد شمل الأعداء، وجلب الطمأنينة لقلوب الأندلسيين، ليبرد حرّها، إذ يقول(١):

فَقُلْ للخيلِ والأبطالُ شُوسٌ ألا كُرِّي وقَلْ للشَّمس غِيبِي

وَبَرِّدْ حَرَّ أحشاءِ المَوالي وَخَضْخِضْ لُجَّةَ العَلَقِ الصّبيبِ

وَبَدّد شَملَ آمالِ الأعَادي وَطَأ تِيجانَ أرَبابِ الصّليبِ

وَسُمْهُمْ أنْ يَغُضُّوا أو يَعَضُّوا بعَقْبِ الحربِ أنمُلَةَ الحَرِيبِ

فإنَّكَ والرِّباطُ إلى اغتِباطٍ كفيلُ السَّعدِ بالفتحِ القريبِ

وكان التفاؤل روحاً يبثها الشعراء في مجاهدي المرابطين والأندلسيين، لتزداد حميتهم للقتال، فلا مهادنة مع الآخر في صراع حضاري فاصل. فهذا ابن سارة الشنتريني (ت ٥١٧هـ) يتنبأ بالنصر لممدوحه أبي بكر بن إبراهيم بن تيفْلويت ويصف مشهد المعركة وكأنه يراه أمامه، فيصف بعض تفاصيلها،والمعركة لم تقم بعد، إذ يقول(٢):

وكأنَّني بكَ قدْ فللتَ عُروشَها وسَلبتَ بَيْضَةَ مُلْكِهِ جَبَّارَهَا

وقتلتَ بينَ نجارِهَا أنجادَهَا وصَرعتَ في أغوارِهِ أغوارَهَا

لا ترضَ منهمْ بالنُّفوس تحوزُها سُمْرُ القَنا، حتَّى تَحُوزَ ديارَهَا

1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص ٩٣.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان ٨٣٧/٤.

وترى بها عيناكَ ليلَ ضلالِهـــا ويدُ الهُدى فيهِ تَشقُّ زُرارَهَـــــــا

ويختار ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) الاستخفاف بالعدو طريقاً لحضٍّ ممدوحه أبي الطـاهر تميم بن يوسف (ت٥٢٠هـ) على الجهاد ،بروح متفائلة مستبشرة؛ لتقرَّ قلوب الأندلـسيين بعـد خوف، وليذهب الهمّ الجاثم على صدورهم(١):

فَقَلتُ وَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيـرَ مَهْـلاً فَغِربـانُ العَـدُوِّ إلـى نَعيـبِ

كَأنـك بـالظُّهُور تَـشُدُّ رَكـضاً وبالبـشْرَى تَخُـبُّ علـى نِجيـبِ

وقد غنَّى الحسامُ يَـصِلُّ قَرْعـاً وأقْـضَى بالعَـدوِّ إلـى النَّحيـبِ

فأضْحَكَ مِنْ نَجاةِ الثَّغـرِ ثَغْـراً وَنفَّـس مِـنْ حِمَـاهُ عَـنْ كَئيـبِ

فَقَرَّ وَكَـان أخْفَـقَ مِـنْ جَنـاحٍ وَنَـامَ وكـانَ أرعَـى مِـنْ رَقيـبِ

وَهَلْ جَمْعُ العِدَى إلا هَشيـمٌ وَهَلْ بيضُ السُّيُوفِ سِوَى لَهيـبِ؟

1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص ٩٣.

حضُّ العامة على الجهاد

يبدو أن حضّ العامة على الجهاد، لم يستهوِ الشعراء الأندلسيين في عصري الطوائف والمرابطين، فلم يصلنا من أشعارهم فيه إلا القليل، كما أن نماذجهم التي وصلتنا لم تكن كاملة[١]. وقد يعود هذا الأمر إلى ضياع تلك الأقطار.

وربما انشغل بعض شعراء[٢] تلك الحقبة بالتقلبات السياسية آنذاك، نظراً لارتباط بعضهم ببلاط بعض الأمراء؛ فغضُّوا الطرف عن حضّ العامة على الجهاد صيانة لمصالحهم الذاتية. وقد يعود ذلك أيضا إلى أن النثر قد سدّ فراغاً كبيراً في هذا الغرض، مما قلّل من مساحة الشعر فيه، إضافة إلى ازدهار فن الرسائل على أيدي كتّاب موهوبين حفظ لنا التاريخ إنتاجهم.

فمن غير المعقول أن يكون صوت أبي حفص عمر الهَوْزني، الصوت الوحيد الذي حضّ العامة على الجهاد، لكنه الصوت الوحيد الذي وصلنا عبر القرون، وهو صوت مُعبِّر عن وعي علماء ذلك العصر بحجم الأخطار المحدقة بأمتهم ووطنهم، ويُنبئ بعدم تخليهم في الوقت نفسه عن مسؤولياتهم في الدفاع عن بلدهم ومقاومة أعدائها.

إنَّ أبا حفص الهَوْزني لم يكن واعيا بدوره أديباً وفقيهاً فحسب، بل كان ثائراً على الأوضاع المتردية في الأندلس أيضاً، بما تحويه من تشظٍ وضعف، أدّيا إلى تهاوٍ للحصون وللمعنويات الأندلسية، وقد بدا الهَوْزني غاضباً من التخاذل الذي رآه يدبُّ في أوصال أبناء جلدته.

ومما لا ريب فيه أن الصراع بين الأندلسيين والإسبان كان صراعاً حضارياً، أخذ منحى دينياً ،عزم فيه الإسبان على محو الوجود الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا[٣]، ونستطيع أن نلمس ذلك من تحويلهم المساجد إلى كنائس -مثلا - في المدن، والقلاع التي يستولون عليها[٤]، مما أصاب الأندلسيين في مقدساتهم وجعل الصراع بينهما يشتد.

---

1) ينظر – مثلاً –: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٠و٩٢.

2) ينظر: بهجت، منجد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص٣٣٦.

3) ينظر – مثلاً – : أقوال المستعرب ششند في: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٢/٣. وملحمة السيِّد، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، ط٣، دار المعارف، ١٩٨٣م. ص ٢٧٤و ٢٧٥و ٣٣٨.

4) ينظر - مثلاً – تحويل مسجد طُلَيْطلة بعد الاستيلاء عليها إلى كنيسة في: ابن بسام، الذخيرة، ق ٤/م١/١٦٨: والمقري، نفح الطيب، م٤/٤٤٧ وتحويل مسجد (سرقسطة) إلى كنيسة أيضاً ينظر: أشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط٢، ص ١٤٥، ومنصور، محمد صالح، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط١، منشورات جامعة قاريونس بنغازي،١٩٩٦، ص ٢٣٩ والمطوي، محمد العمروسي. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٨٩ وما بعدها.

لذا اشتد أسف أبي حفص الهَوْزني لموقف بعض الأندلسيين أمام تلك التحديات، فهم لا يُحركــون ساكناً إزاءها، إذ يقول[١]:

أيا أسفاً للدِّين إذ ظَلَّ نُهبَـــــةً بأعيننا والمسلمونَ شُـــــهودُ!

ويقف مندهشاً أمام تعرض المساجد للأذى، وهناك حكام قادرون كالمعتــضد – مــثلاً – على ردِّ العدوان عنها، وحمايتها ،ومع ذلك لا يفعلون شيئاً، ويعبّر عن ذلك قائلاً[٢]:

ويثْلبُ بيتُ اللهِ بينَ بيوتكـــــمْ وقادِرُهُ عَنْ ردِّ ذاكَ قَعِيدُ؟!

ويحذر الهَوْزني العامة من تملُّق الحكام، ومن التخاذل عن نُصرة دين الله، ويُلــوِّح لهــم أيضاً بعقاب يمسهم من الله – عزَّ وجل – حيث يقول[٣]:

أعيذكمُ أنْ تُدهِنوا فيمسَّكمْ عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمودُ

إنَّ ثقافة الهَوْزني الدينية تتجلى بوضوح في اختياره لكلمات ذات دلالة دينية واضــحة، مثل: ذاق، العذاب، ثمود، تدهنوا، المسلمون، بيت الله، وهي ألفاظ وعبارات تحمل معاني دينيــة، تقف خلفها روح فقيه غيور.

إنَّ محاولة الهَوْزني استنهاض الهمم الخائرة، وإيقاظ النفوس النائمة للدفاع عــن كيــان الأندلس المُجزَّء ،ما هو إلا نوع من الجهاد، فالتحريض على الجهاد لا يقل أهمية عــن الجهــاد نفسه فهو أحد أسباب الثبات عند لقاء العدو. وقد كان يقال " محرض واحــد خيــر مــن مائــة مقاتل"[٤].

ويأتي حضُّ الهَوْزني للعامة على الجهاد، لينبئ بدوره ورسالته في مجتمعه، فهــا هــو يُحذر قومه ويحاول إيقاظهم من غفلتهم، وقد وصلتهم أنباء أفزعتهم بعد أمــن، وأقلقــتهم بعــد اطمئنان، وقد أحس بالشرَّ يقترب بعد أن طرقت أسماعهم أنباء غير متوقعة، لنستمع إليه محــذراً قائلاً[٥]:

بَيِّتِ الشَّرَّ فلا يُستــــزلُّ طَرَقَ النُّوّامَ سِمْعٌ أزَلُّ

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٢.

2) نفسه، ق٢/م١/٩٢.

3) نفسه، ق٢/م١/٩٣.

4) ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن الفزاري، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق لويس مرسي، المطبعة الشرقية لبولس غوتنهر، باريس، ١٩٣٢، ص ٣٩، وينظر – أيضاً - أثر الحضّ على الجهاد في استرجاع بربشتر في: ابن عذاري، البيان المغرب ٣/٢٢٧.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٨٩.

ثم تعلو موجة حضّه العامة على الجهاد، فيأمرهم أن يتحركوا من هذا السكون الذي أضرَّ بهــم، وبأن يستعدوا لرد العدوان، وأن يخشوشنوا في مواجهة الشدائد[١] ويواجهوا العدو بكــل قــواهم، فمصيبة المرء في دينه هي من أعظم المصائب، إذ يقول[٢]:

فَثِبوا واخشوشِنُوا واحزئلُّــــوا ‏ كلُّ ما رُزْءٍ سِوَى الدِّينِ قُلُّ

ويطالبهم بمراجعة الذات، والبحث والتنقيب عن سبب تخــاذلهم، وفــرقتهم ،وضــعفهم، ويطالبهم بمعالجة ذلك كلّه حتى تُغمد سيوف الأعداء المسلولة عليهم، حيث يقول[٣]:

نقِّبوا فالداءُ رزءٌ يَحُــــــلُّ ‏ واغْمِدوا سيفاً عليكمْ يُسلُّ

ويحذّر قومه من الاستهانة بعدوهم، أو التقليل من شأنه، فهذا يعني تزايد خطره، فــإنهم إن لم يتداركوه في بدايته جاءهم مرة بعد مرة، وهذا ما حصل بعد ذلك فعلاً وكأنَّ أبــا حفــص ببعُد نظره؛ استطاع استشراف مستقبل الأندلس، حيث يقول[٤]:

صَــرّحَ الــشرُّ فَــلا يُــستقلُّ ‏ إنْ نهلْــتُمْ جــاءكم بَعْــدُ عَــلُّ

بَدْءُ صَعْقِ الأرضِ نَشءٌ وَطَــلٌ ‏ ورياحٌ ثمَّ غيمٌ أَبَــــــــلُّ

ويُطالب أبو حفص الهَوْزني عامة الأندلسيين، بوعي شــامل للأخطــار المحدقــة بهــم وبوطنهم، وأن لا يتوقعوا الخير، فالشر قادم، ويضرب لهم الأمثلة القرآنية، التي تعكس لنا ثقافته الدينية، إذ يقول[٥]:

قد رَجَتْ عادٌ سحاباً يُهِــــلُّ ‏ فإذا ريحٌ دَبُورٌ مِحَــــــــلُّ

ثم يصل الهَوْزني إلى أقصى درجات التصعيد العاطفي، مندهشاً من الأحــوال المترديــة في بلاده على الأصعدة كافة، محاولاً بث الثقة في نفوس الأندلسيين، مذكراً إياهم بمجــد آبــائهم وأجدادهم الذي يتناقض مع واقعهم المعاش آنذاك ؛ إذ اختلت الموازين، وأصبح القوي يجبن أمام الضعيف، والأسد يُذعر من صوت نعجة، واليد المشلولة العاجزة تعلو على اليد العليا القادرة،

---

1) جرّار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٦٢.
2) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.
3) نفسه، ق٢/م١/٩٠.
4) نفسه، ق ٢/م١/٨٩.
5) نفسه، ق ٢/م١/٩٠.

ويبدو كل ذلك عجيباً، لذا يحاول أبو حفص استدعاء عزّة قومه، وكبريائهم، فيصرخ متألماً قائلاً[1]:

يَدُنا العُليا وهمْ ويْكَ شُلُّ	فَلِمَ استرعى الأعَزَّ الأذلُّ
عَجَبُ الأيام لَيْثٌ صُمُلٌّ	ذعرته نعجةٌ إذ تَصِلُ
"خبرٌ ما جاءنا مصمئلٌّ	جلَّ حتَّى دقّ فيه الأجَلُّ"[2]

وما تضمين أبي حفص لبيت في الرِّثاء من قصيدة للشنفرى – وقيل هي لتأبط شراً - في رثاء خاله تأبط شراً، إلا رثاء لضعف الأندلسيين، وفرقتهم أمام أنباء عظيمة، تتوالى لا يضبطها وصف لفظاعتها.

ونستطيع أن نتلمس خطوات أبي حفص الهَوْزني في حضّه للعامة على الجهاد، فقد أثار الأندلسيين دينياً، وحفزهم للدفاع عن بيوت الله، وأشار إلى تقاعس بعض الحكام عن نصرة دين الله، وعن نجدة المدن، والقلاع المستغيثة بهم، كما وصفَ الأنباء المفجعة التي تصل أسماع الأندلسيين، وتؤرقهم على بلادهم، وعلى فقدان المزيد منها، وحاول تعبئة الأندلسيين كافة تعبئة نفسية شاملة، ليشاركوا في الجهاد، وليغيِّروا الواقع المعاش؛ فلعل الماضي المجيد لأجدادهم، يُشكل دافعاً لهم لحاضر قوي، ومستقبل آمن، تغمد فيه سيوف الأعداء، وتكفُّ أيديهم عن الأندلس أرضاً وبشراً.

إنها ثورة فقيه،ورؤية أديب أريب، في عصر اضطربت فيه أحوال الأندلس فَضَعُفتْ من بعد قوة، وتفككتْ من بعد وَحْدة، وفَزِعت من بعد أمن.

1) نفسه، ق٢/م١/٩٠.

2) بيت من قصيدة تأبط شرا في رثاء الشنفرى، المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، رقم (٢٧٣).

حضّ المسلمين خارج الأندلس على الجهاد فيها:

كانت الإمكانات القتالية للأندلسيين، وإخوانهم المرابطين تتناقص داخل الأندلس مع ازدياد قوة الإسبان وحلفائهم بعد مرور العقد الثاني من القرن السادس الهجري– بقليل-، فلم تعد الأندلس بقوتها الداخلية، وبجيوش المرابطين المرابطة فيها، قادرة على ردِّ جحافل الإسبان وحلفائهم. لا سيما وقد استشهد معظم أبطال المرابطين ،وهم يدفعون عنها تلك الجحافل[١].

لذا كان طبيعياً أن يحضّ الأندلسيون إخوانهم في العُدْوة المغربية ،على المزيد من الجهاد فيها، وعلى تزويدها بإمدادات عسكرية تنقذها ،وتشفي صدور أبنائها، وشفيعهم في ذلك القواسم المشتركة التي تجمع بين العدوتين الأندلسية والمغربية، من قرب جغرافي إلى امتزاج سكاني إلى أخوة في الدِّين، تزيل الفوارق العصبية، والجغرافية، وتجعلهما بنياناً مرصوصاً أمام عدوٍّ مشترك.

وقد انبرى بعض الشعراء لحضّ المسلمين خارج الأندلس على الجهاد فيها. وقد عُرِفَ منهم: أبو محمد بن عبد الغفور[٢] (ت ٥٣١هـ)، وعبد الحق بن غالب بن عطية[٣] (ت ٥٤٢هـ)، وهما نموذجان دالان على معظم الأدباء الأندلسيين المؤدين لحق الوفاء لوطنهم المتحملين لمسؤولياتهم تجاه وطنهم في السرَّاء والضرَّاء، فإذا اشتد تكالب الأعداء على الأندلس، انطلق أدباؤها يحضّون العامة والخاصة، داخل بلادهم وخارجها على الجهاد.

وقد عمل ابن عبد الغفور وابن عطية كلاهما في بلاط المرابطين بمراكش، وكانا – كما معظم الأدباء الأندلسيين – حلقة وصل واتصال بين الأندلسيين والمرابطين[٤].

1) ينظر: شعيرة، محمد عبد الهادي، المرابطون تاريخهم السياسي، ط١، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩، ١٤٧ وشيخه، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ٦٤. حسين، مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٦ و٣٠، وبلغيث، محمد الأمين، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٩٨٦، ص ١٩٠و ١٩١.

2) سبق التعريف به ص٤٦.

3) سبق التعريف به ص ٢٨.

4) ينظر: مكي، محمود، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٥.

وقد حضّ كل منهما أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[١] (ت٥٣٧ هـ) على الجهاد، وإنقاذ العباد، فأما ابن عبد الغفور فقد حضّه على فك حصار ألفونسو الأول الملقب بالمحارب[٢] (ت ٥٢٨هـ) لسَرَقُسْطة عام (٥١٢هـ)[٣]، وحضّه كذلك ابن عطية في رسالة ضمّنها شعراً على لسان أهل جزيرة مَيُورقَة المحاصَرة[٤] عام (٥١٨هـ)؛ على إغاثة أهلها، بإعلاء راية الجهاد، وتجييش الجيوش، والأساطيل لإنقاذها .

إن المتمعن في إنتاج هذين الشاعرين، يلمس حجم معاناة الأندلسيين الشديدة من هجمات، أعدائهم وحصارهم لهم، فمعاناة الأندلسيين المُحاصَرين وشعورهم بالضيق، والهمّ؛ نتيجة تجرُّعهم صنوف العذاب، وما يُتوقع بعد الحصار من مصائب في المكان والإنسان، كل ذلك حقيق بطلب النجدة، والغوث ممن يُرجى منه تلبية ذلك النداء، فأمير المسلمين علي بن يوسف (ت٥٣٧هـ) محط آمال الأندلسيين، وإليه تشخص العيون، وتمتد الأيدي، فهو أملهم الوحيد وبطلهم المنقذ، ولسان حالهم يقول مع الأديب عبد الحق بن عطية[٥]:

وَنَحْوَ أميرِ المُسلمينَ تَطَامَحَتْ ... نَواظِرُ آمالٍ وأيْدي رَغائِبِ

مِنَ النَّاسِ تَستدعي حَفيظَة عَدْلِهِ ... لِصَدْمِةِ خَطْبٍ في مَيُورَقَ[٦] ناصِبِ

إن الأمر لا ينتهي بوجود بطل منقذ، بل لا بد لهذا البطل من الاسراع لفك الحصار – أيضاً – للتخفيف من معاناة السرقسطيين؛ فهو معقد آمالهم، وبطلهم المتفرد بصفات تؤهله لإزاحة ما يعانونه، إذ يقول ابن عبد الغفور متحدثاً بلسان أهل سَرَقُسْطة[٧]:

ما إنْ لَهَا ولِكَشْفَها مِنْ غُمَّةٍ ... جَثَمَتْ على أنْفَاسِ كُلِّ مُوَحِّدِ

---

1) سبق التعريف به ص ٢٦.

2) سبق التعريف به ص ٥٠.

3) لتفاصيل حصار سرقسطة وسقوطها بعد ذلك ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١/٤، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٦٣و ١٠٥ وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ١١٧و ١١٨ والناصري، أحمد بن خالد الاستقصا، ج٦٧/٢، وابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢٤٨/٢ وأشباخ، يوسف، تاريخ الأندلس، ط٢، ١٤٤، وحسين، مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب جامعة الملك فؤاد، م١١/ج١٩٤٩/٢ ص ١١٤ و١١٥ والعمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، ط١، المطابع العسكرية، ١٩٩٩، ص ٢٠٥.

4) لتفاصيل حصار مَيُورقة من قبل البيزيين والجنوبيين والقطلانيين عام (٥١٨هـ) وسقوطها ثم استعادة المرابطين لها ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ١٨٨و ١٨٩، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٦٢ وسيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية،ط ١، دار العلم للملايين، ١٩٨٤، ٢٧٢-٢٩٠، ومكي، محمود، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ٥٥.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٦٦٨/٣.

6) يقصد جزيرة مَيُورقة.

7) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٤٧٦/٢.

أحدٌ سِوَاكَ فَحُلَّهَا بِعزيمـــــــــــةٍ　　كالسَّيفِ أو كالبارقِ المُتَوقّـــــــــــــــدِ

إن رحى المعاناة التي كان يئن منها الأندلسيون تتصل بحياتهم ووجــودهم، لــذا أثــار الأديب ابن عطية المشاعر، والنوازع الإنسانية والدينية لأمير المــسلمين علــي بــن يوســف، وللمرابطين أيضاً، بغية التأثير على المخاطب – المخاطبين – بحيث يتمثل أمامهم الوضع المؤلم للأندلسيين، لا سيما وأن أمير المسلمين علي بن يوسف هو حبل النجاة للأندلــسيين بعــد الله – سبحانه – لإنقاذهم من مصائب الأيام، وذنوبها فيهم، إذ يقول ابن عطية(١):

لِقتلٍ وسَبي واصطلامِ شَريعـــــةٍ　　لَقَدْ عَظُمَتْ في القومِ سُــودُ المَــصائبِ

أليس جَــديراً أنْ يــشيّعَ ذكــرهُمْ　　بأنَّــة قلــبٍ فــي المَــدامعِ ذائـــبِ

لنا اللهُ والمَلِكُ الذي تُرتجى بــــهِ　　مِنَ الزَّمنِ المِذْنابِ رَجْعَةُ تائِـــــــبِ

ويؤكد الأديب ابن عطية بعدها أنَّ إغاثتهم بالجهاد ضرورة ؛ لإزالة الألم والضيق الذي يعانيه أهل مَيُورقة، إذ يقول(٢):

هُوَ الغَوثُ فليعطفْ عَلينا بنَظْرةٍ　　مِنَ الحَزْمِ تَحْثو في وُجوهِ النَّوائبِ

أما ابن عبد الغفور فيأمل أن تكون استجابة أمير المسلمين علي بن يوســف، اســتجابة متلهف، متشوق، لا يُطفئ ناره إلا مورد الجهاد، ويحضُّه على مواصلة الجهاد بعزم وإرادة لفــك الحصار عن سَرَقُسْطة، وأن لا يستمع لمن يوصيه بالتمهل والحذر، وذلك بعــد أن ألــم بــأمير المسلمين مرض(٣)، إذ يقول ابن عبد الغفور(٤):

فانهدْ لها لهفَــانَ مــضْطَّرم الحَــشَــــــى　　تُبْــردْهُ مِــنْ نَــارٍ بأعــذبِ مَــوْرِدِ

وَصِلِ السُّرى، وانفِ الكَرى، واعصِ الهَوى　　مِنْ مُرْشدٍ لكَ فــي الحقيقــةِ مُرصِــدِ

سافِرْ بصُبحٍ لا تُصغِ سَمْعَاً إلـــــــــــى　　فَتْوى الطَّبيبِ ولا انتصَاحِ العُـــــوَّدِ

وآثر ابن عبد الغفور أن يُذكِّر (علياً) بأبيه يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هــــ) الــذي مــا برحت ذاكرة الأندلسيين حية بصورته قدوة لبطل منقذ للأندلس من مزالقها، ويُذكِّره – أيــضاً – بأنه سند للأمة، وحصن لها تلوذ به إذا اشتد كربها، حيث يقول(٥):

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٣/٦٦٨.

2) نفسه، ٣/٦٦٨.

3) ينظر: أبي مروان، عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ط١، تحقيق ميشيل الخوري، ١٩٨٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣، ص ٣٨٨. عباس، إحسان، بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠، ٢/٥٩٤.

4) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٦.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٦.

وَكَما اجتباكَ اللهُ حائـــــطَ أمَّةٍ فاحتطْ لها فِعْلَ المُوَفَّقِ وانجـــــــدِ

وبمنْ نماكَ إلى المعالي فاهتـــــدِ وبِمَنْ حَماهَا بالعوالي فاقْتَـــــــــدِ

أما ابن عطية فقد سلك سبيل الإطراء، لذكر علي بن يوسف أمير المسلمين، بعد أن أمعن في ذكر صفات الحرب، التي تؤكد أهلية أمير المسلمين، لدور البطل المنقذ القادر على الجهاد، حيث قال(١):

عَهْدنَاهُ يفري الخَطْبَ قبلَ نُزولـــهِ وَيَلْبَسُ وقـتَ السَّلْمِ دِرعَ المُحـارِبِ

وَيغزُو فلا شَيءٌ يقـومُ لعزمـــهِ ولَوْ أنَّـهُ يرمـي بـهِ فـي الكواكـبِ

إذا ظَنَّ لَمْ يَعْدَم يَقينَ مُشاهـــدٍ وإنْ هَمَّ لم يُخْطئْ رَمِيَّةَ صَائِـــــبِ

وما يزال التفاؤل يحدو بابن عطية، ليدفع بأمير المسلمين علي بن يوسف للتقدم والجهاد بقوة حيث يقول(٢):

فلا زَالَ جيشُ النَّصرِ يَقْدُمُ جيشَـــهُ وتلقاهُ بالبشرى وجوهُ العواقبِ

إن دور الأدب في حضّ الحكام على الجهاد خارج الأندلس، كان دوراً فاعلاً فقد استجاب أمير المسلمين فعلاً لنداء الأدباء الأندلسيين، وأرسل إمدادات عسكرية إلى كل من سرَقُسْطة عام (٥١٢هـ) ومَيُورقة – أيضاً – عام (٥١٨هـ) وإن وصلت تلك الإمدادات متأخرة(٣)، فقد (سَبَقَ السَّيفُ العَذلَ(٤)).

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٣/٦٦٨و ٦٦٩.

2) نفسه، ٣/٦٦٩.

3) ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ١٦٢ و ١٦٣ و١٠٥.

4) مثل قاله ضبَّة بن أدّ ويقال انه قول لخزيم بن نوفل الهَمْدَاني، ينظر: أبو الفضل النيسابوري، /مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج١/٣٢٨، رقم ١٧٦٣.

الفصل الثاني

الحضّ على الجهاد في النثر الأندلسي

الخطابة

فاق النثر الأندلسي الفنون الأدبية الأخرى في الحضّ على الجهاد؛ فقد خاطب الكتّاب الأندلسيون العقل، وهزوا الوجدان، وأثّروا في النُّفوس، وفصّلوا الأحداث وحللوها، ودعوا للوحدة، وللجهاد وحضّوا عليهما، فوصفوا الثغور المنكوبة، وتألموا للمدن المحاصَرة، وأطنبوا في ذم الإنقسام والفرقة، واجتهدوا في حضّ العامة والخاصة على الجهاد.

فتربّع النثر في عصري الطوائف والمرابطين على عرش أدب الحضّ على الجهاد؛ فما وصلنا منه يوحي بأن حجم النكبات وأهوالها، قد أثّرت في الكتّاب فجعلتهم يقبلون على النثر، فدبَّجوا الخطب والرسائل؛ لأن حدود الألم والمعاناة كانت مفتوحة أمامهم؛ فهم شهود عيان على أحداث عصرهم، واستوعبت نصوصهم أبعاداً معبِّرة عن جهاد الأندلسيين وآلامهم؛ في محاولة منهم للحفاظ على كيانهم ودينهم، للدفاع عن وطنهم[1].

وكان من الطبيعي أن يُلْقِي الأدباء من الوزراء والخطباء وغيرهم، الخطب في مناسبات عديدة، كالأعياد، وأيام الجمع، وقبيل توجُّه الجيوش والمتطوعين للجهاد، ومما لا ريب فيه أنهم حضّوا في بعضها على الجهاد، فهي سُنة متبعة من أيام الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- . ومع ذلك فلم تجد الباحثة سوى خطبة واحدة مدوَّنة في الحضّ على الجهاد فيما وصلنا من أدبيات عصري الطوائف والمرابطين. وقد يعود ذلك إلى أنها لم تدون وقتها؛ لكونها ألقيت ارتجالاً، أو لعلها دوِّنت ولم تصلنا؛ نظراً لما تعرض له التراث الأندلسي من تلف وضياع بعد ذلك.

فلا يمكننا تصور غياب فن الخطابة في عصر اشتمل على دواع لازدهاره[2]؛ من تنافس بين ممالك الطوائف على جذب من نبغ من الأدباء، إلى وجود تحد للكيان الأندلسي، ولاستمرار وجوده. ولا يمكننا تجاهل سياسة القمع والبطش[3] أيضاً التي مارسها بعض ملوك الطوائف على الأدباء، ولاسيما من تجرأ منهم على انتقاد الوضع السياسي، أو من حضّ منهم الأمراء على

1) ينظر: شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ج٢، ص٩.

2) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، م١٠، ع٢، ١٩٩٥، ص٣٣٢.

3) نفسه، ص٣٣٢، وعباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٢٠.

الجهاد، فلقد دفع بعضهم حياته ثمنا[١] لتلك الجراءة، وفي أحسن الظروف قد يغترب أحدهم عن بلده طلبا للنجاة[٢].

أما عصر المرابطين فهو على قصره الزمني، فقد تعرض تراثه بعد انقضاء دولتهم لمحاولات طمس معالمه بسبب تحامل الموحدين عليهم، واتهامهم بالتجسيم، وبعمل المنكرات والبدع[٣]. ومن حسن الحظ، أن نجد خطبة في الحضّ على الجهاد، ضمن مجموع رسائل لأبي عبد الله محمد بن أبي الخِصَال (ت ٥٤٠هـ)، ونلحظ في تلك الخطبة عدم وجود مناسبة مُعْلَن عنها فيها، ومن المعلوم أن وجود مناسبة للخطبة عنصر أساسي فيها، فما هي مناسبة خطبته إذن؟ ربما وضعت بقصد توجيهي تعليمي، ليخطب بها بعض الخطباء بعد ذلك كما يرى محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه لكتاب رسائل ابن أبي الخِصَال[٤] وربما ألقاها أبوعبد الله محمد بن أبي الخِصَال في يوم جمعة – مثلا - وقد يكون ألقاها في يوم جمعة وقصد أن تكون خطبته تعليمية توجيهية؛ ومما يدعم ذلك ما نلحظه فيها من الهدوء وعدم الانفعال، رغم كونها في الحضّ على الجهاد، إضافة إلى إطنابه في ذم الدُّنيا ومتاعها، وحضّه على الزّهد فيها، ثم تطرق بعض ذلك إلى الجهاد فحضّ عليه، وكالعادة خُتمت الخطبة بالدعاء والاستغفار، فهو إذن لم يحرض على الجهاد تحريضا مباشرا، أو وقف أمام جنود يخاطبهم، بل هو يوجه خطبته للأندلسيين عامة بهدوء وتدرُّج ليدخل إلى الغرض الرئيس وهو: حضّهم على الجهاد.

إن أبا عبد الله محمد بن أبي الخِصَال، لم يبدأ خطبته بالحضّ على الجهاد بل ختمه بها، فلم تكن خطبته في الحضّ على الجهاد فقط، بل مهَّد له بمقدمات تجعل الدخول إليه سلساً طبيعيا دون عنت؛ فقد سلك فيها مسلك العارفين بخفايا المجتمع الأندلسي ونفوس أفراده؛ فهو يعرف أن قومه الأندلسيين يعلمون أن الجهاد ضرورة بل هو ضرورة وجود، وما فتئت بلادهم دار جهاد وموطن رباط[٥] منذ فتحها حتى سقوطها[١]، وهم في الوقت ذاته قد جبلوا – كبقية البشر - على

---

1) من ذلك –مثلا- قتل المعتضد لأبي حفص عمر بن حسن الهوزني، للمزيد، ينظر: تمهيد هذه الدراسة.

2) من ذلك –مثلا- اغتراب إبراهيم بن مسعود الألبيري عن غرناطة، ينظر ذلك في تمهيد الدراسة.

3) ينظر: البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١، ص٣٧، ٣٨، وابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٢٤، وابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٥، والمراكشي، عبد الواحد، المعجب، ص١٩٢، والنجار، عبد المجيد، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص١٢٠.

4) ابن أبي الخِصَال، أبو عبد الله محمد، رسائل ابن أبي الخِصَال، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، مقدمة المحقق، ص١٥.

5) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣.

التعلق بالدُّنيا، ومتاعها من قصور، ومتنزهات، ونساء وغيرها[٢]. فكيف يحضّهم على الجهاد ويدفعهم إليه، وقد استلذوا الحياة وكرهوا الموت؟

لقد لجأ أبو عبد الله بن أبي الخِصَال إلى باب الزّهد في الدُّنيا، ففتحه أمامهم ورغَّبهم فيه؛ ليخفف من أسباب تعلقهم بالدُّنيا، ودعاهم للتأمل وأخذ العبرة والعظة من القرون السالفة؛ لأن الجري وراء متع الدُّنيا ومكاسبها ينتج الفرقة والشتات، ثم بعد أن اطمئن لذلك، حضّهم على الجهاد لينالوا النَّعيم الذي لا يزول.

ومما لا شك فيه أن صاحب الخطبة قد أحكم نسيج خطبته لتبدو متناسقة الأبعاد؛ فبدأ بالبعد الديني الذي يجمع الأندلسيين، ويرصّ صفوفهم على اختلاف ميولهم، وأفكارهم، ولا يخفى على أحد أهمية العامل الديني[٣]، في الحضّ على الجهاد، فهو عموده، إن لم يكن جوهره.

واستهلّ هذا الجانب الديني بالحمدلة، وقد تجاوزت الحمدلة بعدها التقليدي إلى أهمية اجتماعية، فقد ربطها الكاتب بظاهرة إنسانية اجتماعية أندلسية، وهي الاهتمام بالرزق والحرص على الاحتياط له[٤]، وانشغال الناس –أيضا- بالعمر وطوله -ما أمكنهم ذلك- وبالتالي ابتعد بعض الأندلسيين عن الجهاد؛ لأنه أحد أسباب الموت؛ لذا أمسك أبو عبد الله بن أبي الخِصَال بميزان الترهيب والترغيب ولكن بصورة غير مباشرة، فهو يقول في الحمدلة: "الحمد لله الذي لا تُعدُّ سوابقُ نعمه ولا تُحدُّ علائقُ عِصَمه...، قدَّرَ أرزاقهم وأعمارهم، وأحصى أنفاسهم وكتب آثارهم"[٥].

ثم نلمس الركن الثاني في البعد الديني، ألا وهو الصلاة على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - الرسول المجاهد، وذكر صحابته الكرام – رضوان الله عليهم - فيعدد من صفاته وصفاتهم ما يعزز الجهاد في نفوس الأندلسيين؛ ليقوي عزائمهم، ويشحذ هممهم، ويستنهضهم – أيضا - لمقاومة العدو، وفضِّ جموعه، وإزالة عروشه، فهو يقول: "وأشهد أنَّ محمداً نبيَّهُ ورسولَهُ، الصَّادعَ بأمره ونهيه، الناهِضَ بأعباءِ رسالته ووحْيه، الرادعَ لأهل الزيَّغ والجهالة، الجادعَ لأنف الكفر والضَّلالة، اعتمد عُروشهم فتلَّها[٦] وثلَّها[١]، وقصدَ جموعهم ففضَّها وفلَّها،

---

1) ينظر: المقري، نفح الطيب، م٤، ص٣٥٠-٥٥٣.

2) ينظر: المصدر نفسه، م١، ص٦٢٧، ٦٤٠، ٢٢٣.

3) ينظر: ابن سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلامية في الأندلس، ص٨٥.

4) ينظر – مثلا - المقري، نفح الطيب، م١، ص٢٢٣.

5) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٢.

6) تله: صرعه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة تلَّ.

وأعطى المشرفيَّة حقَّها، وعلَّم صِلة الأرحامِ مَنْ قَطعها وشقَّها، وأشعر برَّ شعائرِ الله وحُرُماتِه من جَفاها وعقَّها؛ حتَّى نقع الإسلامُ غُلَّته ورَوي، وانتشر الإيمانُ وقد كان طُوِي، واقتضى الدِّينُ الحنيفُ دَيْنا طالما مُطِل ولُوِي(٢)"(٣).

وقد تدرّج ابن أبي الخِصَال من المقدمات إلى النتائج، فالله هو الباقي والبشر هالكون، والعمر محدود ومحدد، والرسول – عليه الصلاة والسلام - قدوة المسلمين لم يترك للكفر دياراً، ولم يتوان عن الجهاد، وكذلك فعل الصحابة في شرق الأرض وغربها، فأين السامعون من كل ذلك؟ فبعد أن صلَّى على الرسول الكريم وآله، وصف الصحابة قائلا: " الذين ابتدروا دعوته سَبْقا، وأخبروا عنه صِدقا، ووجدوا ما وعدهم حقًّا، ومدُّوا أطناب الإيمان غربا وشرقا، صلاةً تكونُ لرضاهُ عنهم ورضاهم عنه وَفقاً•، وتتقراهم حيث كانوا داراً دارا، وأُفقا أُفقاً"(٤).

أما الركن الثالث في البعد الديني فهو ذلك الخيط الجامع الذي يربط الخطبة من أولها إلى آخرها صياغة وأفكاراً، من الحمدلة إلى الدعاء والاستغفار، وهي بذلك لم تخرج عن مظلة الخطبة الدينية الإسلامية في المشرق، لكن ابن أبي الخِصَال استطاع توجيه أفكارها وعاطفتها وفق مفهومه لمجتمعه، ولنفوس أفراده، وعاداتهم، ووفق غرضه من الحضّ على الجهاد في سبيل الله.

ولم يقف بنا أبو عبد الله بن أبي الخِصَال على حدود البعد الديني وحسب، بل أدخلنا في سياق البعدين: الاجتماعي، والنفسي، سالكا بنا طريق الزهد في الدُّنيا، وأخذ العبرة من الجامد الصامت ومن الميت الفائت، ومن قصور تُرِكتْ، وقبور سُكنتْ، وأشجار زُرِعت وتُركتْ، وجياد رُكبت، وسيوف صنعتْ، والطبيعة بشمسها، وفجرها، وسحبها تشهد زوال البشر، ودولهم بعد اغترارهم بالدُّنيا .

ثم يذكّرهم بالموت الذي يترصدهم، ويحوّل أجسادهم إلى تراب، وآمالهم إلى سراب، كل ذلك ليخفف من تعلقهم بعقارهم ونسبهم، نستمع إليه يقول: "أيها الناس: بالنصيحة ما أنطِقُ، والذُّبالةُ تضيءُ وتحترقُ، لو صدقتم أجسادكم عن مُوحش مآلها، وتغيُّر جمالها، وحؤول أحوالها،

---

1) ثلَّه: هدمه، وهو أن يحفر أصل الحائط ثم يدفع فينقاض، وهو أهول الهَدْم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ثلَّ.

2) لُوِي: المَطْل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لوي.

3) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٣.

•) هكذا وردت في المصدر (رسائل ابن أبي الخِصَال)، والأصوب وَفْقاً.

4) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٤.

وانتقاص أجزائها وأوصالها، وتوديع الحياةِ وانفصالها، لواجهتكم العِبَر، وشافهكم بيقينه الخبر، ولعلمتم أن آمالكم سرابٌ، وعمرانكم خرابٌ[(١)]، وكلَّ الذي تصونونهُ فوق ترابكم[(٢)] تراب"[(٣)].

إن ميل ابن أبي الخِصَال (ت ٥٤٠هـ) لتوظيف الزهد لخدمة الحضّ على الجهاد؛ ما هو إلا نوع من المقاومة، مقاومة للجبن والخور، ولما حلَّ ببعض الأندلسيين من انحلال خلقي وديني وميل للدَّعة، عطلَّهم عن الجهاد[(٤)].

فهو يقول: "وسلوا منازلكم عن عُمَّارها، ومنازِهَكم عن زُوَّارها، ومياهكم عن قُرَّاطها وورَّادها، وظلالكُم عن متوسِّدي أبْرادِها، وشجركُم عمن روَّى عروقها، واستسرى عُذوقها، وقطع عمره باعتمادِها"[(٥)].

وقد أشار أبو عبد الله بن أبي الخِصَال إلى مظهر اجتماعي، هو فخر الأندلسيين بعقارهم وأنسابهم؛ لذا حضّهم على ترك الافتخار بما يزول، إذ خاطبهم قائلاً: "سَلوا نشبكُم المقتنى، ونسبكم الأقصى والأدنى: هل تجدون إلا أسماءً وكُنى، وألفاظاً خاليةً من المعنى، ومحلا قيل فيه: قد كان فلانٌ وفلان مَرَّةً هنا؟"[(٦)].

ويوجه اللوم لهم؛ لأن الدُّنيا قد حذرتهم مرارا، ولدغتهم تكرارا، وهم يتهافتون عليها وعلى حطامها بنَهَمٍ، ثم يَدْعُوهم إلى نفض أيديهم منها وتركها، والزهد فيها قائلا: "كلا، لا عتبَ لكم عليها! قد أمَّتكم[(٧)] جهاراً بأحجارها، ولدغتكم مِرارا من أجحارها، وعمَّتكم صَغاراً بِذحولها[(٨)] وأوتارها[(٩)]، وأنتم – على ذلك - تتهافتون تهافتَ الفراش على حُطامها ونارها"[(١٠)].

---

1) مستفاد من قول أبي العتاهية: لدوا للموت، وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تبـــــــاب
أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٦.

2) مستفاد من قول أبي العتاهية: لمن نبني؟ ونحن إلى تـــــراب نصير، كما خلقنا من تــــــراب
أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ص٤٦.

3) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٤.

4) ينظر: الهدروسي، سالم، مواقف الكُتَّاب من مظاهر الانحراف السياسي والاجتماعي في الأندلس، مجلــةأبحاث اليرمــوك، م١٣، ع١، ١٩٩٥، ص٢٨٥.

5) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٥.

6) المصدر نفسه، ص٥٢٦.

7) أمَّتكم: شجَّتْكُم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أمَّ.

8) ذحولها: الثأر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ذحل.

9) أوتارها: الجناية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وتر.

10) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٦.

ثم يستطرد قائلاً: "فانفضوا – رحمكم اللهُ - أيديكم بها نفضاً، وأجمعُوا لها – كما رفضتكم - رَفضا، واستبدلوا من نَصبِ غُرورها بالزُّهد فيها دَّعة وخَفْضا"[١]. وبذلك نرى ابن أبي الخِصَال كأنه يريد أن يغلق باب حب الدُّنيا أمامهم، ويفتح لهم باب الآخرة، الذي يمر بطريق الجهاد، وقد ظهر له أن سبب جبن بعض الأندلسيين عن لقاء العدو، وانهزامهم أمامه، أنهم قد أشربوا حبا للدنيا، واقترفوا ذنوبا كثيرة، وهو يرى أن كثرة الذنوب؛ جلبت عليهم الهزائم والخوف والقحط، لذا بدأ حضّه على الجهاد، مستنكراً الانحرافات الاجتماعية التي جلبت الهزائم والجفاف للبلاد، فهو يقول: "ألا تستوحشون لتباريح العَصْرِ، وركودِ ريح النَّصر، وتداعي أمُمِ الكفر، وإجفالنا عن مقاومتهم إجفال العُفْر، ألا نقلع عن الذُّنوبِ، التي فتَّت في أعضادِنا، وقضت باهتضامنا واضطهادنا، أقسمُ بالله ما انقلبَ حالُ الدَّهر، ولا سُلِبنا عادةَ الظُّهور والقَهْر، ولا نَكَلَ[٢] الأبطالُ، ولا أخْلَفنا الغيثُ الهطّال، ولا رُفعت علينا من الرُّعب جبال لا تظهرُ ولا تُطال. ولا غيَّرَ الله نعمنا، ولا خذلنا ولا أسلمنا، إلا لما عَهِدَ إلينا وأعلَمنا إذ يقول الله سبحانه "إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[٣]"[٤].

إن أبا عبد الله بن أبي الخِصَال، لا يضع اللوم على القضـــــاء والقــدر، بل يرجع التغيُّر في حال الأندلسيين من العز والانتصار، وقهر للأعداء، إلى حال الجبــن، والخذلان، والانكسار، يرجع ذلك كلّه إلى تغيُّر نفوسهم، وكثرة ذنوبنهم، وميلهم للحياة وملذاتها، وتركهــم للجهاد، وعزوفهم عن الانخراط فيه؛ لذا استغرق ثلثي الخطبة – تقريبا - في دعوتهم إلى الزهد في الدُّنيا ، وحضّهم على الاعتبار بما، ومن مضى من الدِّيار والأجيال، وهو بذلك قد وضع يده على الداء فوصفه، وقدَّم الدواء لمن أراد الشفاء.

ولا يمكننا إغفال البعد الثقافي في هذه الخطبة، الذي يدل على عمق ثقافة ابن أبي الخِصَال وتنوعها وغزارتها، وتأثرها بثقافة المشرق، وسنفصل ذلك لاحقا.

---

1) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٧.

2) نكل: نكص وجَبُن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نكل.

3) سورة البقرة: ٥٧.

4) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص٥٢٨.

أدب الرسائل

تعددت أغراض أدب الرسائل في عصري الطوائف والمرابطين، ولبّى هذا الأدب الاحتياجات المختلفة[١] لذينك العصرين، وشغل الحضّ على الجهاد حيزا كبيراً منه؛ تلبية لمتطلبات ذلك الزمان المليء بالأحداث، وبالتحديات التي كانت تواجه الوجود الإسلامي في الأندلس.

فما وصلنا من أدب الرسائل يدل على تعايشه ومواكبته للنكبات والحوادث آنذاك[٢] كما يدل على قدرة النثر الأندلسي ومناسبته لتحمُّل صور التعبير المتنوعة[٣] لا سيما وأن أدباء عصري الطوائف والمرابطين وجدوا في فن الرسائل مثابة لهم، في محاولتهم لإثارة همم الأندلسيين للمقاومة والجهاد، مستخدمين كثيراً من أساليب الإقناع والتأثير.

لقد تماهى دور الأديب – أحيانا - مع دور كل من السياسي والفقيه؛ نظراً لتولي بعض الأدباء الوزارة، ولا سيما في عصر ملوك الطوائف، إذ شاركوا في الحياة السياسية، بل وفي صناعة بعض الأحداث – أحيانا - وقد دفع بعضهم حياته ثمنا لذلك[٤].

إن من أبرز صور معايشة الأدباء لأحداث عصرهم، ومشاركتهم فيه، كثرة المكاتبات بينهم[٥]، فيما يخص الأحداث التي تصيب مجتمعهم، وأمتهم، وتهدد وجود كيانهم الأندلسي، فقد بثوا في رسائلهم قلقهم وخوفهم على وطنهم، فما برحوا يحملون همهم الوطني في قلوبهم أينما حلّوا، فتراسلوا وتكاتبوا مواسين مشجعين بعضهم بعضاً.

ومن أمثلة ذلك ما كتبه أبو محمد بن عبد البَّر [٦] (ت. ٤٥٨هـ) لأحد معارفه: "وقد كنـــت – علم الله - جانحا إلى ما جنحتَ إليه، ويلوح لي ما يلوح إليك: مِنْ أنَّا على طرَفٍ إلا

---

1) ينظر: القيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص١٤٨، ١٤٩.

2) المصدر نفسه، ص١٧٧، ٤٤٥.

3) أبو رقيق، محمد حسين، أدب الحرب في عهد دول الطوائف في الأندلس، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص١١٦.

4) من ذلك –مثلا- ما قيل عن دور الوزير الكاتب البزلْياني في ثورة إسماعيل بن المعتضد على أبيه وقد قتلهما المعتضد بعد ذلك، للمزيـــد ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٢٤، وما ذُكِر عن دور الوزير الكاتب أحمد بن عباس وزير (زهير الفتى) حاكم ألمريـــة، ودوره في توسيع الخلاف بين زهير وباديس حاكم غرناطة، وقد قتلهما باديس، للمزيد ينظر: ابن بسام، الـــذخيرة، ق١، م٢، ص٦٦٢-٦٦٨، ولسان الدين، الإحاطة، م١، ص٥١٧، وابن عِذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٧١.

5) ينظر بعض هذه المكاتبات في: ابن بـــسام، الـــذخيرة، ق٣، م١، ص٢٢٩- ٢٣٧، ٢٤٣، و٨٥-٨٧، و١٧٣و ق١، م٢، ص٦٣٨، وابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص١٠٨.

6) سبق التعريف به، ص٢٨.

ما كفى الله، وعلى قلة إلا ما وقى الله"[١]. ومن ذلك –أيضاً- مكاتبة لأبي عبد الله بن الخِصَال معتذراً فيها لأحد أصدقائه لإبطائه في الرد عليه؛ لانشغاله بهموم وطنه لاسيما شرق الأندلسي (الثغر الأعلى)، إذ جاء فيها: "ولئن استبطأتني في المراجعة، وعنَّفتني على تأخير المطالعة، فيعلم الله- وكفى به- أني لا أعتمد ذاك، ولا أهوى خِلافَ هواك؛ لكني مدفوع إلى أشغال ساهرة، وهموم مُستكنَّة وظاهرة، من أدهاها وأمرِّها، وأحماها وأحرِّها، ما حلّ بالشَّرق –عصمهُ الله- من فَرَق، وعمَّ الجزيرةَ من غُصَصٍ بها وشَرَق، وملأ القلوبَ من المخافةِ اللازمةِ والفَرَقَ، وهذه حال تُذْهل الخليل عن خليله"[٢].

وقد تعددت موضوعات أدب الرسائل في الحضّ على الجهاد، فمنها ما كان في الدعوة للوحدة ونبذ الخلاف؛ استعداداً للجهاد والإعداد له، ومنها ما كان في وصف الثغور المنكوبة، ومنها ما كان في حضِّ الأمراء أو العامة أو كليهما على الجهاد، ومن الطبيعي أن تتجه الدعوات أولا للوحدة، ونبذ الخلاف؛ ذلك لأنها الطريق الممهِّد للحضّ على الجهاد، بل هي الخطوة الأولى للإعداد للجهاد نفسه، فلا يعقل مقابلة العدو بجبهة مقسَّمة، ضعيفة، مفككة، ثم طلب النصر بعد ذلك!

ولم تكن الدعوة إلى وحدة الصف في عصر ملوك الطوائف ضعيفة كما يذهب إحسان عباس[٣]، فأهمية وحدة الصف ولمّ الشمل لم تَخْفَ عليهم، في عصر غدت فيه دولة الأندلس الواحدة دويلات، والجيش الأندلسي الواحد جيوشا، والحاكم الواحد حكاما عديدين.

وقد تزايد إحساس الأدباء بالحاجة الشديدة لجمع الكلمة، ووحدة الصف، لا سيما بعد تقطُّع أوصال الأندلس، وقيام ممالك الطوائف، وافتقاد الأمن والأمان، مما زاد من شعورهم بالاغتراب داخل بلدهم، فحنّوا إلى أصولهم المشرقية البعيدة حيث جماعة المسلمين حشداً وقرباً لموطن الإسلام، نلمس ذلك في رسالة لأبي محمد بن عبد البَّر يقول فيها: "ورد كتابك يحضّ على ما أمر الله به من الألفة، واتفاق الكلمة، وإطفاء نار الفتنة، وجمع شمل الأمة، في هذه الجزيرة المنقطعة عن الجماعة، فلله رأيك الأصيل، وسعيك الجميل"[٤].

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٣.

2) ابن أبي الخِصَال، رسائل ابن أبي الخِصَال، ص١٠٨.

3) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٢.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٧٣.

ومن اللافت للنظر أن معظم الرسائل الداعية للوحدة، ونبذ الخلاف المُبينة لمساوئ الفرقة، واختلاف الكلمة هي رسائل ديوانية، صادرة عن دواوين ملوك الطوائف[1]، وأمراء المرابطين، ونلمس فيها جهودا كبيرة للصلح والإصلاح، قام بها بعض الوزراء الكتّاب بين حكام الممالك في عصر الطوائف بعضهم بعضا، وداخل الجسم الأندلسي في عصر المرابطين[2]، وذلك لقربهم من أصحاب القرار واطلاعهم عن قرب على الأخطار التي تهدد الأندلس، إضافة إلى تمتع أولئك الكتّاب بمكانة مهمة في المجتمع الأندلسي المتحضّر[3].

ومن الغريب أن بعض ملوك الطوائف قد تقنَّع خلف الدعوة للوحدة، ونبذ الخلاف، في الوقت الذي كان التناحر والتقاتل على أشده فيما بينهم، بل ويسطو بعضهم على رعية بعض[4] ويستعين بعضهم بأعداء أمته؛ طمعا في توسيع ممالكهم، وهم إذ يتقنَّعون بقناع الدعوة للوحدة، ربما أرادوا تبرئة أنفسهم من التسبب بضعف الأندلس وضياع أجزاء منها، وربما ليجملوا أنفسهم أمام مجتمعاتهم، وأمام التاريخ الذي سجل دعوتهم وتقنّعهم.

وربما أرادوا بتلك الرسائل إقناع أنفسهم، بأنهم مضطرون لخوض الفتن؛ لحماية أنفسهم وممالكهم، وهناك مراسلات بين بعض أمراء الطوائف من نوع آخر، يتألم فيها بعضهم[5] لأحوال الأندلس ويتنغص لما آلت إليه أمورها، وكأن الأمر ليس بيده، أو ربما آثر بعضهم مصلحته الشخصية على وطنه، وربما كان إحساسهم بضعفهم كبيراً، فقد كانوا فرادى يحكمون دويلات متناحرة.

ونلاحظ أن صورة الأندلس القوية المنتصرة، ما برحت حية في أذهان الأدباء الأندلسيين الذين عايشوا التفكك والإنهيار في عصر ملوك الطوائف، مع أن تلك الصورة اصطدمت بواقع جديد وغير متوقع؛ لذا حاول الأدباء – بأسى - استيعاب هذا الواقع الجديد

---

1) من ذلك –مثلا- مراسلات صادرة عن ديوان عبد العزيز بن عبد الرحمن الملقب بالمنصور حاكم بلنسية إلى مجاهد العامري حاكم الجزر الشرقية، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٢٧، ورسائل علي بن مجاهد إلى مقاتل العامري وإلى ابن رزين، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١، ص٣٦٣، ٣٦٥، ومكاتبات ابن هود حاكم سرقسطة إلى مجاهد العامري، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٤١٩، وغيرها مما يمكن رصد بعضه في الصفحات الآتية.

2) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٣٢٤، ومكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٧٥، وقارة، حياة، رسائل أندلسية جديدة، ص٩٠، الأصفهاني، العماد، خريدة القصر، ق٤، ج٢، ص٣٦٢.

3) ينظر: بن عبود، محمد، تقييم دور العلماء ومكانتهم في المجتمع الأندلسي خلال عهد الطوائف، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع٣٦/١٩٨٦، ص٨٥.

4) ابن حزم، الرد على ابن النغريلة ورسائل أخرى، ص٤٥.

5) ينظر مثلاً: رسالة أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر إلى المنصور عبد العزيز بن أبي عامر.

الضعيف، ودفعوا باتجاه الوَحدة، ولمِّ الشمل، وحقن الدماء، وإعادة التماسك للجبهة الداخلية، لاستعادة الأندلس القوية المتماسكة المنتصرة.

ومن ذلك ما كتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد اليزْلَيَاتيَ[١] (ت ٤٥٠هـ)، إلى صاحبيْ شاطبة[٢] يحثهما فيها على التعاضد، والاتساق مع بقية ملوك الطوائف، لتؤمن العواقب وتحقنَ دماء الأندلسيين: "كتبتُ يا سيدي، ومشاربُ الآمال قد تكدَّرت، ووجوهُ المحاسن قد تغيَّرت، وأيدي التَّوازُر قد قصَّرت، وسبيلُ التَّناصُر قد توعرت، إلا أن يتلافى اللهُ الخلل بتسديد نظركما، وينعشَ الأملَ بحميد أثركما، فينظم الشَّمل، ويصلَ الحبل، ويسدَّ الثَّلم، ويشدَّ الحزم، ويرقعَ المنخرق، ويجمع المفترق، ويضع الإصر، ويرفعَ الوزر، ويُعيد الكلمة مُتَّفقة، والأمَّة متسقة، والأيدي متأيِّدة، والنفوس متودّدة، والأهواء متعاضدة، والأنحاء واحدة، والدماءَ محقونة، والعاقبة مأمونة"[٣].

وقد ألحَّ دعاة الوحدة من الكُتَّاب على الآثار المدمرة للفتنة والتناحر وذلك؛ لينفروا من الفرقة والخلاف، ويرغِّبوا بالوحدة وجمع الكلمة، مستخدمين العامل الديني؛ بغية التأثير على المخاطَبين، لما هو معروف من موقف الإسلام الرافض للفرقة، وللانقسام والتناحر بين المسلمين، بل إن الوحدة فرض ديني إسلامي، وضرورة اجتماعية، لاسيما بعد تفتت الأندلس إلى دويلات متناحرة.

ومن الشواهد على ذلك مكاتبات ومساجلات بين الوزير الكاتب أبي عامر محمد بن سعيد التاكُرُنّي[٤] والوزير أبي جعفر أحمد بن عباس[٥] في المرية، ومنها مخاطبة التَّاكُرُني لأبي

---

1) سبق التعريف به، ص ٢٤.

2) هما: مبارك ومظفر العامريان، حكما شاطبة وبلنسية فعصر ملوك الطوائف، للمزيد من أخبارهما ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٣، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٨.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٣٧.

4) هو: أبوعامر محمد بن سعيد التَّاكُرُنِّي، استقر ببلنسيةكان من أهل الأدب والبلاغة، وخدم أميريها مظفر ومبارك، ثم خدم عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور بعد الأربعماية، ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٢٦، ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٣٢، الضبي، بغية الملتمس، رقم ١٣٨، ص٨٠، وابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٠١.

5) هو: أبو جعفر أحمد بن عباس، كان كاتبا غزير الأدب، مشاركا في العلوم، جامعا للدواوين العلمية، وكان وزيرا لزهير حاكم المرية، قتل عام (٤٢٧هـ) للمزيد ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٦٢-٦٦٨، وابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص٢٥٠-٢٦٢، والمقري، نفح الطيب، ٣/٥٣٥، وابن سعيد، المغرب، ٢/٢٠٥.

جعفر بن عباس قائلاً: "فيا للمسلمين! تعالوا إلى التعاون، واتفقوا ولا تفرَّقوا، واتقوا عاقبة الخذلان، وقد ناديتُ إن أسمعتُ، ونصحتُ بقدرِ ما استطعت"[١].

ويوضح التَّاكُرُني في الرسالة نفسها، أن الألفة والاتفاق بين الأندلسيين، هي رمق الأندلس الذي سينقذها من الهلاك، وأن أمام ملوك الطوائف طريقين اثنين لا ثالث لهما: "فإما ألفةٌ وانتظام، واتفاقٌ يحيي رَمَقَ الإسلام، وإما داعيةُ تَلَفٍ، وراعدةُ صلف، وهنالك تزلُّ القدم، ولا ينفعُ الندم"[٢].

وأما البِزِلْياني فقد أسهب في بيان الإنعكاسات الخطيرة على المجتمع الأندلسي، واقتصاده جراء الفتن والتناحر بين الأندلسيين في رسالته إلى ابن الناصر[٣]:

"ولم يَخْفَ عليك ما يتسبَّب بالفتن، من البلوى والمحن، وما يكتسبُ من الحُوب[٤]، ويحتقبُ بها من الذُّنُوب، وما ينوبُ الظالم والمنصف من معرَّتها، ويصيب البر يء والنَّطف[٥] من مضرتها، وما يعمُّ من بأسائها، ويطمُّ من دهيائها، باخترام الرجال، وإيتام الأطفال، وإرمال النِّساء، وإحلال الدِّماء، وانتهاب الأموال، واعتساف الأهوال، وإخلاء الأوطان، وجلاء السُّكان، وانقطاع السبل، واتَّساع الخلل"[٦].

ثم حضّه على الوحدة لمزاياها الكريمة فقال: "والاتفاق يا سيدي أضمُّ للشمل، وأوصل للحبل، وأحمد فاتحة وخاتمة، وأرضى بادئةً، وعاقبةً، وأسلمُ دنيا وآخرة"[٧].

لكن البزلِيَانيِّ في مخاطبته لصاحبي شاطبة مال إلى إغرائهما بفوائد الصلح والاتحاد، ولمِّ الشمل، قائلا: "ولم يخفَ عليكما ما في صلاح ذات البين، من الفوز بخير الداريْن، وأمن العباد، وخصبِ البلاد، وإعزاز الدِّين، وإذلال القاسطين، وتوهين المشركين، وقوَّة العضد،

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٣٨.

2) نفسه، ق٣، م١، ص٢٣٩.

3) هو: المنصور بن أبي عامر الأصغر، عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن أبي عامر المنصور، حكم بلنسية إلى أن مات عام (٤٥٢هـ). للمزيد من أخباره ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٤٩، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٤.

4) الحُوب: المأثم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حوب.

5) النَّطِفُ: المتهم، ينظر: نفسه، مادة نطف.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٤٠.

7) نفسه، ق١، م٢، ص٦٤١.

ووفور العدد، ودِّعة الأجسام، والرَّعة عن الآثام، وستر العورات، وحفظ الحرمات، والانتهاء إلى حدود الله"[١].

وقد تنبه ابن الأرقم عبد العزيز بن محمد[٢] إلى أثر سلبي آخر للانقسام والتناحر –عدا الضعف الاجتماعي والاقتصادي- وهو: الضعف العسكري لدويلات الطوائف؛ وعجزها عن مواجهة أعدائها نتيجة لذلك، مما كبَّد الأندلسيين خسائر كبيرة، فبعد أن تحدث عن تضامن الإسبان عليهم بجموع كبيرة قال: "وشُغِلْنا بالفتنة بيننا، عن تخفيف وطأتهم، وتضعيف سَوْرَتهم، فطمسوا الآثار، وجاسوا خلال الدِّيار، موفورين لا مانع منهم، ولا دافع لهم"[٣].

ومع أن الدعوة للوحدة ونبذ الفرقة في عصر ملوك الطوائف لم تُجْدِ نفعا، ولم تلق آذانا صاغية، إلا أنها تدل على سعي الأدب لتقوية الجبهة الداخلية، بوصفها خطوة أولى للمقاومة والجهاد، وأن الأدب لم يقف واصفاً فحسب، بل ومشاركاً إيجابيا في حركة المجتمع، فقد رصد المتخاذلين ونقد مواقفهم، وحفَّز همم المتثاقلين عن الجهاد، وبذا عبَّر عن ضمير المجتمع الأندلسي.

أما بعد خلع ملوك الطوائف؛ فقد غدت الأندلس جزءاً من دولة المرابطين واتحدت تحت لوائهم، ورغم ذلك فقد استمرت دعوات الوحدة ونبذ الفرقة، لكنها اتخذت شكلاً آخر فهي: إما وصايا صادرة عن أمير المسلمين إلى مواطني بعض المدن الأندلسية التي بدأت تظهر فيها علامات التشغيب على المرابطين؛ يأمرهم فيها بالتزام الطاعة الصحيحة بنفوس بها صريحة[٤]، وإما وصايا تحذيرية موجهة من أمير المسلمين لأعيان بعض المدن الأندلسية التي اتصل بينهم التباغض والتدابر وتمادوا فيهما[٥] يحضُّهم فيها على التكاثف، والتلاحم، ونبذ التشاحن.

---

1) نفسه، ق١، م٢، ص٦٣٨.

2) هو: أبو عامر عبد العزيز بن محمد بن أرقم النميري الوادياشي سكن ألمرية، ثم أقام بدانية عند علي بن مجاهد العامري، ثم خدم في بلاط المعتصم محمد بن صمادح وتوجه عنه رسولا إلى المعتمد سنة (٤٦٠هـ) توفي في إمارة المعتمد بن عباد، للمزيد ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٣٦٠-٤٠٣، والمقري، نفح الطيب، ص٤٩٨.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٣٦٣.

4) ينظر: مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٧٣.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٣٢٤.

وقد حاول الأمير المرابطي أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين (ت ٥٣٧هـ) في مكاتبة صادرة عن ديوانه كتبها الوزير الكاتب أبو القاسم بن الجَدّ[1] (ت ٥١٥هـ) حاول تأليف قلوب أعيان إشبيلية التي تنافرت، وتباغضت، وتباعدت دون أن يتطرق إلى الأسباب، وذلك عام (٥١٢هـ) إذ بعث إليهم برسالة يحثهم فيها على دفن الأحقاد ونسيانها، ونبذ التقاطع والتدابر، لأن عواقبه وخيمة، لاسيما إذا اتصل وتمادى أصحابه فيه، كما ذم تقصير الفقهاء والصالحين في إشبيلية عن واجبهم الديني، والاجتماعي في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وقطع دابر المفسدين، وتوانيهم – أيضا - عن بذل جهدهم في ردم هوة الخلاف النابع من اختلاف الأهواء وتعارض المصالح.

وقد جاء في الرسالة: "وقد بَلَغَنا ما تأكد بين أعيانكم من أسباب التباعد والتباين، ودواعي التحاسد والتضاغن، واتصال التباغض والتدابر، وتمادي التقاطع والتهاجر، وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعنٌ بَيِّنٌ، ومغمزٌ لا يرضاه مؤمن دَيِّن، فهلا سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين، وجروا في إبطال أعمال المفسدين، وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة، وجمع الأهواء المفترقة، جُهد المجتهدين"[2].

وفي الرسالة نفسها نلمس وعي أمير المسلمين عليَّ بن يوسف بن تاشفين (ت ٥٣٧هـ) لأهمية هدوء الجبهة الداخلية وتراصها في الأندلس؛ لمواجهة عدو يستند إلى امتداد جغرافي وبشري عبر الغرب الأوروبي، في الوقت الذي كانت فيه العُدْوة المغربية –غالبا- المستند الوحيد للأندلس[3].

لذا نجد أمير المسلمين حريصاً على الترغيب بالوحدة والائتلاف؛ لتزداد أنسجة المجتمع الأندلسي قوة؛ لأن تراص الصفوف يحتاج إلى نقاء السرائر وصفاء الضمائر. وهذا يفسر قوة العبارة في هذه الرسالة بعد ذلك؛ إذ استخدم فعل الأمر بكثرة؛ ليحسم ذلك الواقع، وليرهب من التمادي فيه، ويحذر من نتائجه، إذ يقول: "فاقمعوا الأنفس الأمارة بالسُّوء، وارغبوا في السكون والهدوء، ونكبوا عن طريق البغي الذميم المشنوء، واحذروا دواعي الفتن، وعواقب الإحن، وما

---

1) سبق التعريف به، ص٢٦.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٣٢٤، وينظر النص في: الأصفهاني، العماد، خريد القصر، ق٤، ج٢، ع٣٦٢، وقارة، حياة، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين)، ص٩٠.

3) ينظر: البَّر جالي، المهدي، أدب الجهاد في العدوتين، مجلة دعوة الحق، الرباط، ص٢٥٩، ١٩٨٦، ص١٠٩.

يَجُرُّ رَدَاءُ الضمائر، وفساد السرائر، وعمى البصائر، ووخيم المصائر، وأشفقوا على أديانكم وأعراضكم"[١].

ويبدو أن تلك الحزازات والأحقاد بين بعض أفراد المجتمع الأندلسي قد ظهرت في أكثر من مدينة أندلسية، بدليل وجود رسالة أخرى صادرة عن أمير المسلمين علي بن يوسف –أيضا- كتبها الوزير الكاتب أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة[٢] (ت ٥٠٨هـ) يوصي فيها أهل إحدى المدن الأندلسية بالتلاحم، والتكاثف، ونبذ الخلاف، إذ جاء فيها: "لا ينطوي بعضكم لبعض على حزازات ولا حرارات أحقاد"[٣].

وقد جاء في الرسالة نفسها ما يشير إلى معاندة بعض الأندلسيين لولاة أمورهم من المرابطين، حتى في الأمور التي فيها صيانة لبلادهم وسدّ لثغورها، فقد جاء فيها: "وأن تكونوا لواليكم أبي فلان – أبقاه الله وأعزه بتقواه - على طويات سليمة، وطريقة له في الانصياع والاقتداء به قويمة، فيما ذهب إليه مما فيه حماية حوزتكم، وصيانة حريمكم، وشد أطرافكم، وسدّ ثغوركم، فوالوه على توليه، ولتكن أيديكم مع يده على سَنَنٍ واحد فيه ولا تنكلوا[٤] في حد من حدود ذلك عنه، ولا تتسللوا لِوَاذاً منه، ولن تزالوا – ما سلكتم هذه السبيل، وتلوتم هذا الدليل - على حال ترضي أولياءكم، وتشجي أعداءكم، إن شاء الله"[٥].

وقد ألحَّ أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في رسائله المختلفة على ضرورة طاعة ولاة الأمر[٦]؛ لأن في ذلك وحدة في الصف وجمعا للكلمة لحماية الأندلس، وهذا يؤكد حرص أمير المسلمين علي بن يوسف على معالجة أي خلل اجتماعي في المجتمع الأندلسي، وسعيه الدائم لسد الثغرات فيه، ليتمكن كلاهما (المجتمع الأندلسي والعُدْوة المغربية) من الاستمرار في المواجهة والمقاومة والصمود.

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٤.

2) هو: الوزير الكاتب أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي، المعروف بابن القصيرة، قدَّر ابن زيدون موهبته، فقدَّمه لدى المعتضد، وازدادت مكانته علوا عند المعتمد، وسفر بينه وبين أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، وبعد خلع ملوك الطوائف بمدة اشتمل عليه بلاط كل من يوسف بن تاشفين ثم ولده علي بن يوسف، توفي ابن القصيرة (٥٠٨هـ) ينظر ترجمته في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٢٣٩-٢٦٨، وابن سعيد، المغرب، ١/٣٥٠، وابن الأبار، إعتاب الكتاب، ط١، حققه صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١، ص٢٢٢، وابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص٥١٦-٥٢١.

3) مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة، ص٦٧.

4) أنْكَلْت الرجل عن حاجته إذا دفعته عنها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نكل.

5) مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة، ص٦٧.

6) نفسه، ص٦٦-٦٩، و٧٣.

كما أن تلك الرسائل تدل على أن الشعب الأندلسي "شعب شرود"[١]، وأنه بدأ يتطامح إلى حكم نفسه بنفسه، لا سيما بعد توالي الهزائم[٢] على المرابطين، مما أثّر على صورتهم في وجدان الأندلسيين. إضافة إلى شعور الأندلسيين بأندلسيتهم[٣].

أما الرسائل التي وصفت الثغور الأندلسية المنكوبة، فإن ذا الوزارتين الأمير أبا عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر[٤] (ت ٥٠٧هـ أو ٥٠٨هـ)، قد وصل إلى حدود الإحباط من الوضع الذي عاشته الأندلس أيام ملوك الطوائف؛ فقد بلغ التردي السياسي والاجتماعي في الأندلس آنذاك حدا كبيرا؛ مما جعله في معظم رسائله يقف عند حدود وصف الثغور الأندلسية،مكتفيا بذكر تفاصيل ما حل بساكنيها من قتل وتنكيل ونهب وأسر، دون أن يحضّ مباشرة على الجهاد[٥]، وكأنه فضّل اللجوء إلى طريقة غير مباشرة للحضّ على الجهاد؛ إذ إن وصفه للثغور الأندلسية وما يجري عليها من نكبات، ومن تدمير للأرض والإنسان، قد يحرك همّة نائمة، أو قوّة خائرة.

وقد استوقفت أبا عبد الرحمن محمد بن طاهر عدة أمور في أثناء وصفه للثغور الأندلسية منها: هول الأحداث الجارية على الثغور فقد ألحَّ في وصفها، وتضخيمها؛ ليضمن أكبر قدر من التأثير على السامعين أو القارئين، كما فصّل في الأثر النفسي للأحداث المؤلمة على نفوس الأندلسيين عامة والأدباء خاصة، لا سيما وأن المكاتبات بين بعض الحكام[٦] أو بين الأدباء – أيضا - كانت مستمـرة، فجميع رسائل أبي عبد الرحمن بن طاهر – في وصف الثغور - كانت رسائل جوابية.

---

1) مؤنس، حسين، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٣.

2) من ذلك –مثلا- سقوط سرقسطة عام (٥١٢هـ)، والهزيمة في موقعة (كتندة) عام (٥١٤هـ)، والفشل في مواجهة الحملة الاختراقية عام (٥١٩هـ).

3) ينظر –مثلا- رسالة أبي مروان بن أبي الخِصَال في تقريع جند المرابطين بعد هزيمتهم أمام ابن رذمير في بلنسية، مؤنس، حسين، نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، ص٢٣، ٢٤، وقد جاء فيها "يا فرقة خبثت سرايرها، وانتكثت مرايرها، وطايفة انتفخ سحرها، وغاص على حين مرة بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم، وللأقدام أن تطأ مفارقكم...".

4) سبق التعريف به، ص ٤٦.

5) أبو رقيق، محمد حسين، أدب الحرب في عهد الطوائف في الأندلس، ص٨٩.

6) من ذلك –مثلا- رد ابن طاهر إبان حكمه لمرسيه على رسالة المعتصم بالله صاحب ألمرية، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٨٦، وابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٧٣، ١٩٤، والنصوص نفسها في: الأصفهاني، العماد، الخريدة، ص٣١٤، ٣٢٤.

ومن ذلك رسالة جوابيه له، يقول فيها: "استوضحت جميع تلك الأحوال التي وصفتها، والأحداث التي قصصتها، فأكبرت وقوعها، ثم عرفت للأيام صروفها وصدوعها، وتألمت لما يجري على المسلمين من نكد فاضح، وتلف فادح"(١).

وفي أخرى يقول: "كتابي بعد أن وقفت على كتاب فلان الذي أودعه ما ودع من حياة، ولم يدع مكانا لمسلاة، فإنه للقلوب مؤذٍ، وللعيون مقذٍ، وللظهور قاصم، ولعرى الحزم فاصم"(٢).

ويكاد الأسى ينطق من كلماته وهو يصور وطنه إنسانا يحتضر، إذ يقول: "فليت شعري، أين البصائر؟ وحتّام تدور هذه الدوائر! على رمق الجزيرة وقد أشفى؟"(٣).

وقد خصَّ أبو عبد الرحمن بن طاهر مدينة (بَرْبَشْتَر) بحسرة عظيمة، وأسى ملتاع، فالذي جرى فيها هو الحادث الأشنع، والخطب الأبقع(٤)، موضحا أن سبب معاناة الأندلسيين؛ تكمن في تفرُّقهم وانقسام كلمتهم، فهو يقول: "ورد كتابك بالخطب الأبقع، والحادث الأشنع، الجاري على المسلميـــن – نصر الله مقانبهم(٥)، وجمع على الائتلاف مذاهبهـــم – في مدينة بَرْبَشْتَر"(٦).

أما الحزن والألم لما أصاب أهل (بَرْبَشْتَر) من عذاب فلم تسعه الرِّقاع، وكانت دموعه عليها: "ما شئتَ من دمع مسفوح مراق، ونفس متردده بين لهاة وتراق، وأسى قد قرع حُصيات القلوب فَرضَّها، وعدل عن المضاجع بالجُنُوب فأقضَّها، ومآل تستك من سماعه الأسماع، وتضيق عن إيراد حقيقته الرقاع، فالله يدرأ في نحر ما فدح من الخطوب الكبار و يدفع، وإليه نلجأ فيما ألظَّ(٧) من عقيم الدواهي ونفزع، فمنه الغوث والانتصار، وعادة الإقالة إذا جد العثار"(٨).

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٨٥، ٨٦.

2) نفسه، ق٣، م١، ص٨٦، وينظر النص في: ابن خاقان، قلائد العقيان، ١/١٧٣، وفي الأصفهاني، العماد، خريدة القـــصر، ق٤، ج٢، ص٣١٤، ٣١٥.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١، ص٨٦.

4) الأبقع: الباقعة الداهية، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة بقع.

5) مقانب: جماعة الخيل والفرسان، من مِقْنَب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قنب.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٨٧.

7) لظ: لظ بالشيء لزمه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لظ.

8) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١، ص٨٧.

وقد وسَّع أبو عبد الرحمن بن طاهر من دائرة أندلسيته، إذ ذكر الإسلام، وأراد معاناة أهله[١] من النكبات والمصائب، وإخال أن ذكره للإسلام مندغما بالأندلس وكأنه هي؛ لأنه هو القاسم المشترك الذي يجمع حوله الأندلسيين مهما كانت أصولهم، إضافة إلى أن العامل الديني لدى الأندلسيين والإسبان، كان عاملاً أساسيا ومؤثراً في حروبهما؛ لذا حاول أبو عبد الرحمن بن طاهر أن يهز المظلة المشتركة لكل الأندلسيين محذرا من تناقصها واضمحلال وجودها، إذ يقول: "فليندب الإسلامَ نادب، وليبك له شاهد وغائب، فقد طُفِئ مصباحه، ووطِئ ساحه، وقُصَّ جناحه، وهِيضَ عضده، وغِيضَ ثَمدَه[٢]"[٣].

لقد ضعفت الأندلس وعجز ملوكها عن الجهاد والدفاع عن حدودها، وغدا الإسلام الذي يجمعهم ويؤلف قلوبهم قتيلا، وقامت عليه النوادب، فعزَّة الدولة الأندلسية الموحدة قد ولَّت إذ يقول أبو عبد الرحمن بن طاهر: "فلتقمْ على الدِّين نوادبُهُ، فقد جُبَّ سنامهُ وغاربه، ولتفضْ عليه مدامعُهُ وعبراتُهُ، فقد غَشيهُ حِمامُهُ وغَمراتهُ، وكان منيعَ الذُّرى، بعيداً عن أنْ يُلْحَظَ أو يُرى تحميه المناصلُ البُتْرُ، والذَّوابلُ السُّمرُ، والمُسوَّمةُ الجُرْدُ"[٤].

ومع أن أبا عبد الرحمن بن طاهر قد وقف على حدود الوصف متألما، إلا أنه عندما رأى عزماً من بعض المستنفرين على الجهاد من الأندلسيين، حضّ عليه بقوة، وعدَّ الجهاد واجباً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، بعد أن تيقن العدو من ضعف الأندلسيين، إذ يقول: "وإن الملأ الكريم – تكفل الله به - ورد وقد امتطى العـــــزم ظهرا، واستشعر النصيحة سراً وجهراً، ووسع نطاق البيان، وندب إلى ما فيه ثبات الإيمـــان، وأعرب عما رأيته ورآه، من في طاعتك من جموع المسلمين – وفقهم الله - من الاستنفار لأمر هذا العدوِّ الذي قد سحبَ في الجزيرة أذيالهُ، وفَوَّقَ للاستيلاء على حدودها نصاله، لمّا تحققَ له أن العزائمَ عن مقارعته ناكلة، والبلادَ من أعداءٍ تقاومهُ عاطلة، فبانتْ أصالتك وتفرُّدُ جَدِّك، وتجدِّد الحفاظ والإنقاذ لملة الإسلام بجهدك"[٥].

وهذا يدل على أن الأندلسيين لم يكن بعضهم يتوانى عن المقاومة والجهاد والدفاع عن حدود بلادهم الممزقة الأوصال، المتفرقة الكلمة، قليلة العدة والعديد إبان القتال؛ لذا تعين الجهاد على كل الأندلسيين – كما يقول أبو عبد الرحمن طاهر - بل لا يحل لهم التمتع بالحياة، وهناك

---

1) أبو رقيق، محمد حسين، أدب الحرب في عهد الطوائف في الأندلس، ص٨٩.

2) الثَّمْد والثَّمَد: الماء القليل الذي لا ماد له، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ثمد.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٨٦.

4) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٩٤، وينظر النص في: الأصفهاني، العماد، خريدة القصر، ق٤، ج٢، ص٣٢٤.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٨٧، ٨٨.

من أسر أو قتل من إخوانهم الأندلسيين، بل وعدَّ القعود عنهم ظلما، وقبحا، إذ يقول في الرسالة نفسها: "وقد تعيَّن البدارُ على كلِّ رئيس ومرءوس، ولزم الجهادُ كلَّ شريفٍ ومشروف، وقبيحٌ على المسلم أن يحلَّ إزاراً، ويسوَّغ من الكَرى غِرارا، وأخوتُهُ المسلمون بين مشدود بالإسار، أو جَزَر النيوبِ والأظفار، تالله ما في النّصَفِةِ أن تُسكَن الظلال، وأطواقُ حَمَلَة القرآن الأغلال، والله تعالى يصيّر الأيدي في الدفاع يدا، ويعيدُ العدو المستأسِد مهتَضَماً مضطهدا"[١].

وجاءت نكبة بَرْبَشْتَر[٢] لتهز الضمير الأندلسي من الأعماق؛ مع أنها لم تكن الأولى، فقد سقطت قبلها قلاع منيعة – أيضا - مثل "سُرْته" و "قُورِية"[٣] ولكن ما حصل فيها؛ كان الأفظع كمّاً ونوعا[٤]، لا سيما وأن (الأردمانيين) قد جاءوا من خارج دائرة الصراع التقليدية بين الأندلسيين والقوى الإسبانية من قشتاليين، وارغونيين، وقطلونيين. كما أن الوحشية التي عومل بها سكان "بَرْبَشتر" لم يسبق لها مثيل، وعدد القتلى، والأسرى، والسبايا كان كبيراً بل أكبر وأكثر مما يحتمله المجتمع الأندلسي الممزق، الرازح تحت حكم ملوك الطوائف؛ لذا سعى الأدباء للقيام بدورهم في الحضِّ على الجهاد، فذكَّروا الغافل وشجَّعوا المتردد، ومدحوا السِّباق، وقرَّعوا المتخاذل، كل ذلك لاستنهاض الهمم، ولشحذ العزائم، ولايقاظ الحمية في النفوس، فقد أنطقت معاناة أهل "بَرْبَشْتَر" غير واحد من أدباء الأندلس آنذاك، وكان منهم أبو محمد عبد الله بن أبي عمر بن عبد البَّر [٥] (ت ٤٥٨هـ)، وأبو حفص عمر بن الحسن الهوزني[٦] (ت ٤٦٠هـ).

فقد كتب أبو محمد بن عبد البَّر رسالة بل منشوراً[٧]، تحدث فيه بلسان حال أهل "بَرْبَشْتَر"، فنطق بمعاناتهم، وتألم لعذاباتهم، وحضّ مسلمي الأندلس على تخليصهم واسترجاع مدينتهم.

---

1) نفسه، ق٣، م١، ص٨٨.

2) لتفاصيل نكبة "بَرْبَشْتَر" ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩-١٩٠، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٣/٢٢٥، ومجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص٧٦، والمقري، نفح الطيب، م٤/ ٤٥٤و٤٤٩.

3) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢، ٦٥٥.

4) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، مؤتة للبحوث والدراسات، م١٠/ع٢/١٩٩٥، ص٣١٤.

5) سبق التعريف به، ص ٢٨.

6) سبق التعريف به، ص ٢٥.

7) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٥.

أما أبو حفص عمر الهوزني (ت ٤٦٠هـ) فقد جرى قلمه بلسان حاله التي ضاقت بأحوال الأندلس، بعد أن ركدت ريحها، وفتّ عضدها نتيجة انقسامها وتشرذمها دولا وطوائف.

وكلاهما قد كتب رسالته بعد نكبة "بَرْبَشتر"، وقد أحسّا بمسؤوليتهما تجاه المجتمع؛ فوصفا الواقع المرير وأطالا؛ مما اضطر ابن بسام لاقتضاب رسالتيهما[١]. وقد استنهضا فيهما الهمم الخائرة المتوانية عن الدفاع والمقاومة، وقرّعا المتقاعسين المتخاذلين، وحضّا من في الأندلس على الجهاد فيها؛ فقد كان الخطر في بدايته، ولم يستشرِ بعدُ إلى الثغر الأوسط (طُلَيْطُلة).

وقد استهدف أبو محمد بن عبد البَّر في رسالته سكان الأندلس عامة[٢]، وهو بذلك قد عمم المستنجَد بهم، فشمل جميع فئات المجتمع الأندلسي، وفي الوقت نفسه خصصها للأندلسيين داخل الأندلس إذ يقول: "إلى من بالأمصار الجامعة، والأقطار الشاسعة، بجزيرة الأندلس من ولاة المؤمنين، وحماة المسلمين، ورُعاة الدِّين، من الرؤساء والمرءوسين"[٣].

أما أبو حفص الهوزني فقد خصَّ المعتضد حاكم مملكة إشبيلية برسالة ضمنها شعراً، حضّه والعامة على الجهاد، واحتاط فيها لنفسه بمدح المعتضد[٤]، ليأمن غائلة غضبه؛ فقد كان أبو حفص جريئا، شديدا في حضّه له على الجهاد[٥]، وفي تحميله مسؤولية الدفاع عن المدن والقلاع؛ فالمعتضد هو القادر على حمايتها[٦]، فقد خاطبه الهوزني قائلاً: "فانتهزْ فرصتها فقد بان من غيرك العجز، وطبِّق مضاربها، فكأنْ قد أمكنك الحزُّ، ولا غرو أن يُستمطرَ الغمامُ في الجدب، ويُستصحبَ الحسامُ في الحرب، فالسهامُ تطيش فتختلف، والرماحُ تلينُ وتنقصف"[٧].

ولقد سدَّ الهوزني أي منفذ لأي عذر يمكن أن يعتمده المعتضد إذ خاطبه قائلاً: "فإن المعادن لا تؤتي غير معهود فلزِّها، كما لا تصح الدوائر إلا على نقطة مركزها، فمن طلب النبل في غير معادنه، واستثار الخير من غير مكامنه، أعجزه من مَطلبهِ مَرامُهُ، وطاشت في سُهمتهِ

---

1) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣، ق٢/م١/٨٣.

2) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، ص٣١٥.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٤٧.

4) جرار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص١٥٧.

5) ينظر: نفسه، قراءات في الشعر الأندلسي، ص١٥٥، ١٥٦.

6) ينظر: ابن سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلامية في الأندلس، ص٨٧.

7) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٦.

أقلامُهُ، بل قد ضلَّ قصدَ السبيل، واعتسف الفلاةَ بغيرِ دليل، فسقط العشاءُ به على سِرْحان[١]، وأفضى القضاءُ به إلى الطّوفان، وإنما هو الفجرُ أو البحر[٢]"[٣].

وبغض النظر عن مدى فهم المعتضد لقصد الرسالة الهوزنية من توريط[٤] عسكري، أو تخيَّر له بين خذلان أمته أو نصرتها، بمعنى أن يكون مع أمته أو مع نفسه فقط، فمن المؤكد أن المعادن لم تؤت معهود فلزِّها، وأن الهوزني قد استثار الشر من مكمنه؛ فسقط العشاء به على سِرْحان.

ولا يمكننا تجاهل الطابع الديني في رسائل الحضِّ على الجهاد، لا سيما في ربط هول المصائب الجارية بالقلاع والمدن، بالإسلام[٥]، وكأن الحديث عن الإسلام (الدِّين) هو حديث عن الأندلس (الوطن)؛ فقد اندغم الشعور الوطني بالشعور الديني[٦].

فأبو حفص الهوزني يقول عن مصيبة "بَرْبشتر": "طمَّت حتى خيف على عُروة الإيمان الانفضاض، وطمَتْ حتى خُشِي على عمود الإسلام منها الانقضاض، وسمت حتى تُوقِّع على جناح الدِّين الانهياض"[٧].

ويستغيث ابن عبد البَّر بالأندلسيين عامة، لإغاثة من يشاركونهم الإيمان بأركان الإسلام، ويصور ردة فعلهم المتأمَّلة فيهم، بصور حية نابضة بالحركة ويحضُّهم على الجهاد امتعاضاً لعباد الله وانتقاما من أعدائهم، إذ يقول: "فيا ويلاه، ويا ذلاه، ويا كرباه، ويا قرآناه، ويا محمداه، ألا ترى ما حل بحملة القرآن، وحفظة الإيمان، وصوَّامِ شهرِ رمضان، وحجاجِ بيتِ الله الحرام، والعاكفين على الصلاة والصيام، والعاملين بالحلال والحرام، فلو شهدتم – معشر المسلمين - ذلك لطارت أكبادكم جَزَعا، وتقطعتْ قلوبكم قطعا، واستعذبتم طعمَ المنايا، لموضع

1) مثل يُضرب في طلب حاجة تؤدي بصاحبها إلى التلف، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١/٣٢٨، رقم ١٧٦٤.

2) قول لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ويضرب الفجر والبحر مثلاً لغمرات الدُّنيا ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فجر.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

4) إحسان، عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٥.

5) ينظر: خضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، ص١٠٤.

6) ينظر: عيسى، فوزي سعد، الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري، الهيئة العامة للتأليف، فرع الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص١٧٨.

7) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٤.

تلك الرَّزايا، ولهجرت أسيافكم أغمادَها، وجَفَتْ أجفانكم رُقادها، امتعاضا لعبدِة الرحمن، وحفظةِ القرآن وضعفةِ النساء والولدان، وانتقاما من عبدة الطغيان، وحَمَلةِ الصُّلبان"[١].

وقد استحضر كل من أبي محمد بن عبد البَّر، وأبي حفص الهوزني مشاهد من يوم القيامة – كما وردت في القرآن الكريم - ليصفا أهوال نكبة "بَرْبَشتر" بصورة حركية تثير العاطفة الدينية[٢]، وتحرك الضمائر، تلك الضمائر التي اجتمعت على الإسلام، وتفرقت في دويلات عديدة، فأبو محمد بن عبد البَّر يحضُّ قائلا: "فما ظنكم – معشر المسلمين - وقد سيقت النساء والولدان، ما بين عارية وعُريان، قوْداً بالنواصي إلى كل مكان، طورا على المتون، وطورا على البطون، ومشيخة الرجال، مقرَّنين في الحبال، مصفَّدين في السلاسل والأغلال، مقتادين بشعور السِّبال[٣]، إن استرحموا لم يُرْحَمُوا، وإن استطعموا لم يُطْعَمُوا، وإن استسقوا لم يُسقَوا، وقد طاشت أحلامهم، وذهلت أوهامهم، وسخنت أعيانهم، وتغيّرت ألوانُهم"[٤].

واستحضر الهوزني بعض مشاهد يوم القيامة، فالخوف والهلع لما يجري وبما يجري يجعل شعر الأطفال يشيب. فكأنه رصد فيها الطبيعة بما ومن فيها؛ لهول ما حدث، فقد كانت الإبادة في "بَرْبَشتر" شاملة للإنسان والمكان، وكانت إبادة مقصودة ومتعمدة، فها هو يقول: "وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد، كما يغبرّ لورودها وجه الصعيد، بدؤها ينسف الطريف والتالد، ويستأصل الوليد والوالد، تَذَرُ النساء أيامى، والأطفال يتامى، فلا أيِّمة إذا لم تبق أنثى، ولا يتيم والأطفالُ في قيد الأسرى، بل تعمُ الجميع جمّاً جما، فلا تخصُّ، وتزدلف إليهم قُدُما قُدُما، فلا تنكص"[٥].

ولقد ذكَّر ابن عبد البَّر الأندلسيين بأخوة الإسلام التي تجمعهم؛ وتوجب عليهم نصرة إخوانهم، فالجهاد وإن كان فرض كفاية إلا أنه يصبح فرض عين إذا نزل العدو ببلد من بلاد المسلمين، فعليهم واجب إغاثة إخوانهم في الدِّين والنفير إليهم[٦]؛ لذا يقول ابن عبد البَّر بلهجة

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٧.

2) ينظر: السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين بالأندلس، ص٣٠٩.

3) السِّبال: اللحية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سبل.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٦.

5) نفسه، ق٢/م١/٨٤.

6) ينظر: التنوخي، سحنون بن سعيد، المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رُشد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج١/ ٣٧٤، وللمزيد عن فضل الجهاد ينظر: أبي عمر يوسف بن عبد البَّر النمري الأندلسي، الاستذكار، حققه وعلق عليه حسان عبد المنان، ود. محمد أحمد القيسية، ط٤، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ٢٠٠٣، م٥، ص ١٢٩-٣١٧.

المُبلِّغ: "وننبئكم – معشر المسلمين - بعض ما نابنا في ثغورنا، عسى أن تكونوا سببا لنصرتنا، فالمؤمنون إخوة، والمسلمون لُحْمَةٌ، والمرء كثير بأخيه، وإلى أمته يلجأ اللهفان، وإلى الصوارم تفزعُ الأقران"[١].

ولا يكتفي بذلك بل يذكر ثواب المجاهدين وعذاب المتخاذلين قائلا: "وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير آية من الكتاب، يضيق عن نصها الخطاب، ترغيبا وترهيبا، فوعد المطيعين جزيل ثوابه، والعاصين أليم عقابه، والرواية عنه – عليه السلام - في فضل الجهاد، وما يجازي فيه رب العباد، أشهر من أن تُذكر، وأكثر من أن تحصر، فالله الله في إجابة داعينا، وتلبية منادينا، قبل أن تُصْدَع صفاتنا كصَدْع الزجاج، فهناك لا ينفع العلاج"[٢].

وهو بذلك يرغّب في الجهاد، ويبين جزاء المجاهدين، وعقاب العاصين ليحفز النفوس نحو الجهاد[٣]، ويحذر المتراخين والمتقاعسين تركهم لنصرة إخوانهم، سالكا سبيل الوعظ والإرشاد لتوجيه مواطنيه لعزّة دينهم ونجدة إخوانهم[٤].

ولقد استهجن أبو حفص الهوزني موقف الأندلسيين المستكين والخانع لما أصاب "بَرْبشتر"، لأنه يتنافى مع ما عُرِف عن هذه الأمة من العزّة والإباء، والتصدي لكل اعتداء؛ لذا جاء تقريعه وزجره لهم[٥] قويا، شديدا، وقد نبه وذكَر[٦] فيه وحَذّر من قابل الأيام، إذ يقول: "كأن الجميع في رقدة أهل الكهف، أو على وعد صادق من الصرف والكشف، ... ومن أين لنا دفعهم بالكفاية أو كيف؟ ولم نمتطِ إليهم الخوف، ونساجلهم السيف، بل لما يُرْأب من صدوعهم ثلم، ولا دووي من جراحهم كَلْم، ولا رُدَّ في نحورهم سهم؛ إن حاربوا موضعا أرسلناه، أو انتسفوا قطرا سوَّغناه، وإنّ هذا لأمرٌ له ما بعده"[٧].

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/ م١/ ١٧٤، ١٧٥.
2) نفسه، ق٣/م١/١٧٧، ١٧٨.
3) ينظر: الخنين، ناصر بن عبد الرحمن، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٦، ص٢٢، ٢٣.
4) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، ص٣١٠.
5) ينظر: ابن محمد، علي، النثر الأدبي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ج١/٤٦٦.
6) ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٣.
7) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٤.

أما أبو محمد بن عبد البَّر، فيتعالى على ألمه، ويدفع بالأندلسيين نحو التفاؤل، فالأيام دول، وإن كان للباطل الجولة الآن؛ فإن للحق دولة، إذ يقول: "ولا بد للحق من دولة، وللباطل من جولة، والحرب سجال، والدَّهر دول"(١).

ثم لم يقف ابن عبد البَّر على حدود الحضّ على الجهاد، وطلب النُّصرة والتضامن فحسب، بل انتقد الواقع الأندلسي الممزق المفكك، وفتش عن أسباب التخاذل والانكسار الذي عاشه المجتمع الأندلسي، فحصرها في سببين هما: الذنوب وكثرتها، والتفرق وآفاته، ويأتي تحذيره من كثرة الذُّنوب والمعاصي المقترفة في سياق عدِّها الداء لمصيبة عامة(٢). ولقد عدَّ أحد الباحثين الحديث عن الذنوب تفسيرا ساذجا سلبيا للنكبات، حتّى وإن كان مقبولا من معاصري ابن عبد البَّر (٣)، وهذا رأي متعجل لا يلائم ظروف النص وإلا فكيف يمكن أن يكون ساذجا وفي الوقت نفسه مقبولا لمعظم مؤرخي ذلك العصر وأدبائه، مع شمول ثقافتهم وتقدمها آنذاك! علما بأن كثرة الذنوب –غالبا- قد تجعل المسلم متراخيا أمام مواطن الجهاد، وأنانيا مهتما بتحقيق مآربه فقط.

إنّ عدم تماسك أجزاء الأندلس، أدى إلى أفول عزَّة الأندلسيين، وكدَّر عيشهم، وأضعف قوتهم وروّع آمنهم، وأذل طوائفهم، هذا ما يؤكده أبو محمد بن عبد البَّر حيث يقول: "ولولا فرطُ الذنوب، لما كان لريحهم علينا من هُبوب، ولو كان شملُنا منتظما، وشعبنا ملتئما، وكنّا كالجوارح في الجسد اشتباكا، وكالأنامل في اليد اشتراكا، لما طاش لنا سهمٌ، ولا سقطَ لنا نجم، ولا ذلّ لنا حزِب، ولا فلَّ لنا غَرْب، ولا رُوّع لنا سِرب، ولا كُدِّر لنا شِرْب، ولكُنَّا عليهم ظاهرين، إلى يوم الدِّين"(٤).

لذا خَوَّفَ أبو محمد بن عبد البَّر من المآل الذي ستؤول إليه الأنْصاف؛ إن فُرِطَ بالأطراف، إذ يقول: "وأنه إن استلبت الأطراف، لم تتعذر الأنصاف، والبعض للبعض سبب، والرأس من الذنب، غير أنا دنونا وبعدتم، وشقينا وسعدتم، ورأينا وسمعتم، وليس الخبر كالعيان"(٥).

---

1) نفسه، ق٣/م١/١٧٨.

2) ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٤.

3) ينظر: حميدي، خميس، الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عباد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ٨٣/٨٤، ص٤٢٢.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٨.

5) نفسه، ق٣/م١/١٧٩.

ويبدو أن ابن عبد البَّر كان واعيا لدوره كأديب في مجتمعه، فها هو يحذر من القادم، إن بقيت الأمور في الأندلس متردية، بتخاذل الأندلسيين عن نصرة ثغورهم؛ فإن الهوان سيصلهم ويصليهم العدو بأصناف العذاب، فعليهم نصرة أنفسهم وإلا كانت العاقبة وخيمة، فهو يقول: "فالحذر الحذر! فإنه رأس النظر، من بركان تطاير منه شرر مُلهب، وطوفان تساقط منه قطر مرهب، قلما يؤمن من هذا إحراق، ومن ذلك إغراق، فتنبهوا قبل أن تُنَبَّهوا، وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم، قبل أن يجاهدوكم في دوركم"[١].

لقد استطاع الأندلسيون استرجاع مدينة "بَرْبَشتر" عام (٤٥٧هـ)، ولم تذهب رسالة ابن عبد البَّر ، ولا الرسالة الهوزنية كلاما يزجى[٢]، بل ساهمتا – إلى حد ما - في حفز الحكام والعامة على تحريرها، وإعادتها إلى حمى الإسلام[٣].

ومع ذلك، فما برحت الأوضاع تزداد سوءا في الأندلس، نتيجة لتزايد التناحر والتقاتل بين ملوك الطوائف[٤]، مما مكَّن الإسبان – لا سيما القشتاليين - من رصِّ صفوفهم، وزيادة قوتهم الاقتصادية والعسكرية؛ فاستمروا في الإغارة على الأراضي الأندلسية، ونهب خيراتها، فسقطت بعض القلاع والمدن الحصينة؛ فأيقن الأندلسيون أنهم – وحدهم - لا يستطيعون رد تلك القوة العنصرية، التي لا قِبل لهم بها؛ عندها تطلعت عيونهم إلى العُدْوة المغربية، مستنجدة حاضَّة لمن فيها على الجهاد، وغدا الاستنصار بالعُدْوة المغربية ضرورة وجود للأندلسيين، لا سيما بعد تيقنهم من نهوض دولة فيها، أقيمت على أساس ديني إصلاحي، وسعت للدفاع عن قيم الإسلام[٥].

وقد بدأت الوفود الأندلسية والرسائل الديوانية، تصلها مستنجدة، فهذا أبو حفص عمر المتوكل بن الأفطس[٦] (ت ٤٨٨هـ - وقيل ٤٨٧هـ) حاكم مملكة (بَطَلْيوس)، ومحمد بن عبَّاد

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٨.
2) ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص١٤٦.
3) ينظر خبر استرجاعها في: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩-١٩٠، وابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٥، والحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤١، ومجهول، الحلل الموشية، ص٧٦، والمقري، نفح الطيب، ٤/٤٤٩.
4) ينظر – مثلا – في: الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص٣٤، ٥٧، ٥٨، ٧٧.
5) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٣، وابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية، أعمال الأعلام، ص٢٤٣.
6) سبق التعريف به، ص١٤.

المعتمد[١] (ت ٤٨٨هـ) حاكم مملكة (إشبيلية)، يرسلان الرسائل إلى أمير المرابطين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين (ت ٥٠٠هـ)؛ يستنجدونه ويحضّونه على الجهاد في الأندلس.

أما رسالة أبي حفص عمر المتوكل فقد كتبها وزيره أبو عبد الله محمد بن أيْمن[٢]، حيث كان لماحا في إرساله بإشارات مضيئة صريحة وواضحة، لأمير المرابطين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين لإقناعه بالإسراع للجهاد في الأندلس – مع أن دولة المرابطين لم تكن وصلت إلى سبته بعد[٣] - وقد احتاج ابن أيمن إلى أن يضع تلك الإشارات؛ لأن رسالته هذه لم تكن الأولى إلى أمير المرابطين، بل كانت الثانية أو الثالثة، فهو يقول فيها: "ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك –أيدك الله - بالنازلة في مدينة قُوْرية، - أعادها الله - وأنها مؤذنة الجزيرة بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالجلاء"[٤].

أما أول تلك الإشارات فهو ذِكر ابن أيمن صفات مدح[٥] لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين، تتضمن إلزام له بالنُّصرة والجهاد، فالنجدة غدت به منوطة، وفي الرسالة ما يدل على استطلاع الأندلسيين، ومنهم المتوكل، لأخبار العُدْوة المغربية؛ لا سيما بعد أن ضاقت بالأندلسيين الأرض بما رحبت، فقد كتب ابن أيمن قائلا: "لما كان نور الهدى – أيدك الله - دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تُستَدْعَى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء"[٦].

وثاني هذه الإشارات أن الأندلسيين قد تحملوا الكثير من المعاناة والعذاب من أعدائهم، أولئك الذين نهبوا خيرات الأندلس، وجردوها من قوتها الاقتصادية، تمهيدا للإجهاز عليها عسكريا، ومع أنها كانت سياسة مكشوفة للأندلسيين وحكامهم، إلا أن الحكام كانوا يتواكلون

---

1) سبق التعريف به، ص١٥.

2) هو: أبوعبد الله محمد بن أيمن، تولى الوزارة لأبي حفص عمر المتوكل، حاكم "بَطَلْيوس"، بعد أن صُرف أبو الوليد بن الحضّ رمي عنها، ينظر ترجمة ابن أيمن في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٢، وابن سعيد، المُغرب، ١/٣٦٦.

3) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٦، ٦٥٧.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.

5) القيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص١٨٢.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٣، ٦٥٤.

ويقولون: "من هنا إلى أن تتم الأموال وتهلك الرعايا – بزعمهم - ، يأتي الله بالفرج وينصر المسلمين!" [١].

ويشير ابن أيْمن للضعف الاقتصادي والعسكري الذي تعانيه الأندلس، فقد قلَّت مواردها، وضعف حالها، وتمزَّقت صفوفها، وشفى العدُّو برماحه من دماء أبنائها. ويصف ابن أيمن ذلك قائلاً: "فقد كانت طوائف العدوِّ المطيفةُ بها – أهلكهم الله - عند إفراط تسلُّطها واعتدائها، وشدَّة كَلَبها واستشرائها، تُلاطَفُ بالاحتيال، وتُستنزَلُ بالأموال، ويُخْرَجُ لها عن كلِّ ذخيرة، وتُسترضى بكلِّ نفيسةٍ خطيرة، ولم يزلْ دأبها التشطُّطَ والعناد، ودأبُنا الإذعانَ والانقيادَ، حتى استُصْفِيَ الطريفُ والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، وأيقنوا الآن بضعف المِنَن، وقويتْ أطماعُهْم في افتتاح المدن، واضطرمتْ في كلِّ جهةٍ نارهم، ورَوِيَتْ مِنْ دماء المسلمين أسنَّتهُم وشفارهم، ومن أخطأه القتلُ منهم، فإنما هم بأيديهم أسرى وسبايا، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا، وقد همُّوا بما أرادوه من التوثُّب، وأشرفوا على ما أمَّلوه من التغلُّب"[٢].

وأمام هذا الوضع المتردي، واستفحال آفات الضعف والتخاذل والتدابر فيما يمكن تسميته بالضعف السياسي؛ سقطت قلاع عظيمة ذات مواقع مهمة، إذ يقول ابن أيمن: "ثم ما زال ذلك التخاذُل يتزايدُ، والتَّدابرُ يتسانَدُ، حتى تخلَّصت القضية، وتُعُجِّلَت البليَّة، وحصلت في يد العدوِّ – قصمه الله - مدينة سُرُتَه، وعليها قلعةٌ تجاوزت حدَّ القلاع، في الحصانة والامتناع"[٣].

لذا كان لا بدَّ من الاستغاثة وطلب العون والنجدة من القادرين على ذلك، وقد حرص ابن أيمن على إثارة غيرة المرابطين الدينية عندما قال: "فيا لله ويا للمسلمين!! أيسطو هكذا بالحقِّ الأفكُ، ويغلب التوحيدَ الشركُ، ويظهر على الإيمان الكفرُ، ولا يكتنفُ هذه الملَّة النصرُ؟! ألا ناصر لهذا الدِّين المُهْتَضَمْ؟! ولا حاميَ لما استبيحَ من حِمَى الحرم! وإنَّا لله على ما لحق عَرْشَه من ثلٍّ، وعِزَّه من ذلٍّ، فإنها الرزيَّةُ التي ليس فيها عزاء، والبليةُ التي ليس مثلها بلاء"[٤].

وهذه إشارة واضحة صريحة، للحضّ على الجهاد، فالجهاد يحمي البلاد، ويعزُّ الدولة وساكنيها، ويُظهر الإسلام على مخالفيه، ولم يعد الوقت يتسع للانتظار، ولم تعد الأندلس تحتمل المزيد من الاعتداءات الإسبانية، فقد بلغ الضَّعف أوجه، فإما إسراع إلى النفير والجهاد لإنقاذ

---

1) الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص٧٣.
2) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٤.
3) نفسه، ق٢/م٢/٦٥٥.
4) نفسه، ق٢/م٢/٦٥٤.

الأندلس، وإما ضياع للأندلس وزوال لذكر الله فيها إلى ما شاء الله، فابن أيْمن يقول: "وما هو إلا نَفَسٌ خافت، ورَمَقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالا، وتتداركوها ركبانا ورجالا، وتنْفروا نحوها خِفافا وثقالا، وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى، ولا أحرِّضكم على التَّسرع إليه بما في حديث رسوله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى"[١]. وأظن أنّ ابن أيْمن قصد قول رسول الله – عليه الصلاة والسلام - بعد فتح مكّة: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استُنْفِرتم فانفِروا"[٢].

ومما لا شك في أن سقوط مدينة (طُلَيْطِلة) عام (٤٧٨هـ) بيد (ألفونسو السادس)[٣] (ت ٥٠٢هـ)، قد شجعه على اقتطاع المزيد من المدن والقلاع الأندلسية[٤]؛ لذا اشتدت مضايقته لملوك الطوائف[٥]؛ وأحسَّ المعتمد بن عبَّاد[٦] (ت ٤٨٨هـ)، حاكم مملكة إشبيلية بالخطر الذي يُهدد الوجود الأندلسي المسلم في الأندلس[٧]؛ فسارع إلى مكاتبة أبي يعقوب يوسف بن تاشفين[٨] (ت ٥٠٠هـ) برسالتي استنجاد وحضّ على الجهاد[٩]، إحداهما من إنشائه[١٠] والأخرى من إنشاء كاتبه أبي القاسم بن الجدّ[١١] (ت ٥١٥هـ).

وقد انطلقا – كلاهما - من رؤية واحدة، لأنهما صادرتان عن ملكٍ وكاتبه، وتمثلان الاتجاه نفسه في طلب الغوث من مسلمي العُدْوة المغربية، ومن المرابطين تحديداً، وفيهما النظرة ذاتها للأندلس وحالها، الذي يزداد ضعفا، وتهاوياً.

ومع ذلك فثمة فروق تفصيلية بينهما، فقد ردّ المعتمد بن عباد في رسالته إلى يوسف بن تاشفين، ضعف الأندلس عن مواجهة عدوها الشرس (ألفونسو السادس) إلى ضعف العصبية

---

1) نفسه، ق٢/م٢/٦٥٥.

2) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق، ج١٣/م٥/٨.

3) سبق التعريف به، ص ١٣.

4) ينظر: الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص١٠١، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١١/٣٨١.

5) ينظر: الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص١٠١، ١٠٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٧/١١٥.

6) سبق التعريف به، ص١٥.

7) ينظر: الأمير عبد الله بن بلكين، مذكرات الأمير عبد الله، ص١٠٢، وابن الكردبوس، تاريخ ابن الكردبوس ووصفه، لابن شباط، ص٨٩.

8) سبق التعريف به،ص١٤ .

9) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٥، ٤٦.

10) رسالة المعتمد مؤرخة عام (٤٧٩هـ)، قبيل معركة (الزَّلاقة) بأشهر، ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٥.

11) سبق التعريف به، ص٢٦، وقد ذكر مؤلف الحلل أن الكاتب هو أبو بكر بن الجد، ورجح المحقق أن المقصود أبو القاسم بن الجدّ؛ لتأخر وفاة أبي بكر، ورد الخطأ إلى تصحيف الناسخ، ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٦.

العربية القبلية للعرب في الأندلس التي اندثرت في الأندلس بعد تمازج العناصر البشرية المختلفة فيها[١].

وبيّن أنّ تفرق كلمة ملوك الأندلس، وعدم تعاضدهم، قد أطمع عدوهم فيهم؛ لذا شَعَر المعتمد بالإحباط والحزن[٢] لمآل الأندلس والأندلسيين، إذ يقول: "إنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تلفت قبائلنا، وتفرَّق جمعنا، وتغيَّرت أنسابنا، بقطع المادة عنا من معيننا، فصرنا شعوبا لا قبائل، وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر، فقلَّ ناصرنا، وكثر شامتنا، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين أذفنش، وأناخ علينا بكلكله، ووطئنا بقدمه، وأسر المسلمين، وأخذ البلاد والقلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس، ليس لأحد منا طاقة على نُصرة جاره، ولا أخيه، ولو شاؤوا لفعلوا، إلا أن الهوان منعهم عن ذلك، وقد ساءت الأحوال، وانقطعت الآمال"[٣].

أما ابن الجَدِّ فقد تكلم عن ضعف الإسلام في الأندلس وأنه غدا منكوبا، مهموما، ومصابا بمساجده ومحاريبه وقد وقع الإسلام بين يدي عدوّ لا يرحم؛ بعد اختلاف كلمة الأندلسيين وتشتت قواهم، وضعفهم، وعجزهم عن مواجهة عدوهم القوي ذي السّعة والطول، واستمالة العدوّ للمسلمين بالدَّعة، وقد ألحَّ ابن الجَدِّ على البُعد الديني؛ لإثارة العاطفة الدينية؛ وليكون أثر الرسالة قويا[٤]، بل ومحركا للنفوس على الجهاد، وحافزاً للمخاطَب – وهو أمير المرابطين يوسف بن تاشفين - على التحرك لنجدة الأندلس والجهاد فيها، إذ يقول: "وقد طرأ على الإسلام حادث أنسى كل همٍّ، وهمَّت النكبات بوقوعه وهمّ، وذلك عدو أطمعه في البلاد شتات وبين، واختلاف سببه لم تطرق له في الدعة عين، يقوى ونضعف، ويتفق ونختلف، وننام مطمئنين من آفات الزمان، وتناسخ الأمان، وقد جاءنا إبرامه وإرعاده، ووعده وإيعاده، لنُسلِّم له المنابر والصوامع، والمحارب والجوامع، ليقيم بها الصلبان، ويستنيب بها الرّهبان، ومما يطمعه استمالته إيانا بالدَّعة، واملاؤه في الرحب والسعة"[٥].

---

1) ينظر: أبي رقيق، محمد حسين، أدب الحرب في عهد دول الطوائف في الأندلس، ص١١٣، وينظر – أيضاً – في: بن عبود، امحمد، تقييم دور العلماء ومكانتهم في المجتمع الأندلسي خلال عهد الطوائف، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع٣٦، ١٩٨٦/ ص٨٥.

2) المصدر نفسه، ص١١٣.

3) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٥، ٤٦.

4) ينظر: حميدي، خميس، الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بن عباد، ص٤٢٠.

5) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

ومن ناحية أخرى كان حضّ المعتمد لأبي يعقوب يوسف بن تاشفين على الجهاد حضّاً مباشراً ومشجعاً، للجواز إلى الأندلس، لإنقاذ الإسلام الذي بات في وضع خطير، فهو يقول: "ونزعت بهمتي إليك، واستنصرت بالله ثم بك، واستغثت بحرمكم، لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر، وتحيوا شريعة الإسلام، وتذبُّوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم، والأجر الجسيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"(١).

أما ابن الجدّ فإنه اعتمد للحضِّ على الجهاد، على إغراء المرابطين وأميرهم يوسف بالأندلس وخيراتها فهي جنة الله على الأرض، وهي موطن للجهاد، والقتال ساحته مفتوحة مع أعداء الدِّين، والشهادة جزاؤها جنة الآخرة، فهو يخاطب أمير المرابطين قائلا: "وقد وطَّد الله لك مُلْكًا شُكْرُ اللهَ عليه، جهادُك، وقيامُك بحقه واجتهادك، ولك من نصر الله خير باعث، يبعثك إلى نصر مناره، واقتباس نوره وناره، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته، ويحضر الحربَ بآلاته، فإن شئت الدُّنيا ، فقطوف دانية، وجنات عاليه(٢)، وعيون آنية(٣)، وإن أردت الأخرى فجهاد لا يفتر، وجلاد يحزُّ الغلاصمَ(٤) ويبتر، هذه الجنة ادّخرها الله لظلال سيوفكم، وإجمال معروفكم، نستعين بالله وملائكته، وبكم على الكافرين، كما قال الله سبحانه، وهو أكرم القائلين: "قَاتِلُوهم يُعذبهم اللهُ بأيديكم ويخزهم ويَنْصُركم عليهم، ويَشْفِ صُدورَ قَومٍ مُؤمنين"(٥) والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها، ونعمة الإسلام نشكرها، ورحمة الله نتحدث بها وننشرها"(٦).

ولعلّ ابن الجَدِّ قد سلك هذا المسلك لتدين أمير المرابطين وقومه من ناحية، وبافتقار صحرائهم لخيرات(٧)، ومنجزات حازتها الأندلس دون غيرها، فإن كان أمير المرابطين محبا للدنيا لبَّى النداء للاستيلاء عليها، وإن كان محبا للآخرة جاء للجهاد فيها، والذبِّ عن حوزة الدِّين، وأخال أن أبا يعقوب يوسف كان ممن يحبون الآخرة، وإلا لاتخذ الأندلس مسكناً له – مثلا - بعد خلع ملوك الطوائف عنها.

---

1) نفسه، ص٤٦.

2) ينظر الاقتباس في: سورة الحاقة، الآية ٢٢، ٢٣.

3) ينظر الاقتباس في: سورة الغاشية، الآية ٥، وقد وردت في الآية الكريمة "وعيون جارية".

4) الغَلاصم: مفردها الغَلْصَمة وهي اللحم الذي بين الرأس والعنق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غصم.

5) سورة التوبة، الآية ١٤.

6) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧، ٤٨.

7) ينظر: نفسه، ص٨٢.

وتبدو صورة المعتمد في رسالته إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين صورة ملك حزين، محبط لمآل الأندلس ومآل مُلْكه – أيضا - ، وقد انقطع عنه العون، واستضعف أمام قوة تهدد وجوده ولا يستطيع ردَّها، وهو في الوقت نفسه عروبي معتزٌّ بعروبته، حزين لتفكك عُراها في الأندلس، فهو يخاطب أمير المرابطين بتذكيره بـــ "إنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تَلِفَتْ قبائلنا، وتفرق جمعنا، وتغيرَّت أنسابنا"[١].

كما نَسَبَ المرابطين إلى حِمير للتذكير برابطة العروبة التي تجمعه بهم إذ قال: "وأنتَ أيَّدك الله، مَلِكُ المغرب أبيضه وأسوده، وسيد حمير، ومليكها الأكبر، وأميرها وزعيمها"[٢].

وقد حاول المعتمد في تلك الرسالة أن يوازن بين نفسه وأمير المرابطين أبي يعقوب يوسف؛ فهو خطاب من حاكم لحاكم؛ لذا حرص ألا يُظهر يوسف بن تاشفين بصورة الحاكم القاهر الجبَّار، بل في صورة الحاكم القوي القادر على حماية المُستجيرين به؛ لأنه يريد منه حماية الأندلس لا السيطرة عليها.

لكن صورة أبي يعقوب يوسف بن تاشفين عند ابن الجَدّ، كانت أقوى وأجرأ، فقد خاطبه كملك قادر وقوي وقاهر لأعدائه، وينتمي لقوم "أولي بأس شديد"[٣]، فهو مؤهل بملكه، وجيشه، المُعد، والمُستعد لخوض أعتى المعارك، لتغيير مجرى الأحداث في الأندلس لصالح المسلمين، وإغاثة الإسلام والمسلمين فيها، لأنه أمير المسلمين وناصر الدين[٤]، فابن الجَدِّ يقول: "فإن الله سبحانه أيَّد دينه بالاتفاق والائتلاف، وحرَّم مسالك الشتات، ودواعي الاختلاف، وأنعم على عباده بأمير جديد "وقَومٍ أولي بأسٍ شديدٍ"[٥]، وتطول علينا بمعلوم جَدّك ومشهور جِدّك، وقد جعلك رحمة يُحيي غيثها ربوع الشريعة، وخلقك سُلّمًا[٦] إلى الخير وذريعة"[٧].

---

1) نفسه، ص٤٥، ٤٦.
2) نفسه، ص٤٦.
3) سورة الفتح، الآية ١٦.
4) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.
5) سورة الفتح، الآية ١٦.
6) السُلَّم: السبب إلى الشيء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سلم.
7) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

وبهذه الدعوات فُتِحَ بابٌ للجهاد، كان ملوك الطوائف قد سدوه من قبل[1]، واستجاب أمير المرابطين لندائهم، وتدفّق الجيش المرابطي إلى الأندلس، فكانت معركة (الزّلاقة) عام (٤٧٩هـ)، التي ذاق فيها ألفونسو السادس[2] (ت ٥٠٢هـ) طعم الهزيمة المر.

وما انفك المرابطون بعد خلع معظم ملوك الطوائف عام (٤٨٤هـ) يصدون كثيراً من الهجمات القشتالية والأرغونية وغيرهما، على الثغور الأندلسية التي شهدت حروبا مستمرة بل حروب استنزاف متواصلة، ففي عام (٥٠٨هـ) – مثلا - هاجمت أساطيل البيزيين والجنويين وحلفائهم الجزر الشرقية (مَيُورْقة ومنورقة ويابسة)، واستولوا على جزيرة (يابسة)، وحاصروا (مَيُورْقة)، واستولوا عليها، وأعملوا السيف في سكانها[3].

وعندما سمع أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٢هـ) بما حصل في (مَيُورْقة) من قتل، وسبي، وتدنيس للمساجد، كتب رسالة ضمنها شعرا[4]، بعثها لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (ت ٥٣٧هـ)، يستنجد به، ويحضُّه على الجهاد، لاسترجاعها إلى حمى الإسلام.

وقد وصف فيها قلقه واضطرابه، لسقوط (مَيُورْقة) المروِّع، وما جرى على أهلها من مصائب إذ يقول: "وإنّي – أقرَّ اللهُ عينكَ - لأترَدَّدُ وقد قصَّرَ عن تململي السَّليم، وأتجلَّدُ وفي نفسي المُقْعَدُ المُقيم، بهذا الصَّادم الهادم، والنَّبأ القاصم، الذي أطفأ نورَ الحياةِ وأخباهُ، وأوجبَ أنْ يُنادي كلُّ مؤمن: واحرَّ قلباه! أمرُ مَيُورْقة – رَأبَ اللهُ بصَرْفها صَدَعَ الجزيرة، وجَبَرَ بجَبْرها من جناح الإسلام كسيره، وثقف – بغْوث دمائها- اضطراب مُنآده، وأعادَ بتلافيها ما غِيضَ من نصره ومن إجلاده"[5].

ويبدو وصف ابن عطية للحدث بعد وقوعه متكلّفا فلا نشعر بحرارة الانفعال والمشاركة الوجدانية فيه، كما أن وصفه جاء خالياً من الاندفاع والحماسة، المرافقة لآنية الحدث؛ لذا جاء

---

1) ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، ص٩٠.

2) سبق التعريف به، ص ١٣.

3) للمزيد من التفاصيل عن حصار (ميورقة) وسقوطها عام (٥٠٨هـ)، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٨، ١٨٩، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢، ومكي، محمود، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٥٥، وسيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية، ص٢٧٢-٢٩٠، وابن الكردبوس، تاريخ ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، ص١٢٢.

4) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ٣/٦٦٦-٦٦٩.

5) نفسه، ص٣/٦٦٧.

وصفه أقرب للتفجع والأسى والحزن[1] على ما جرى وكان، وهذا لا يعني أن ابن عطية لم يحاول التأثير على أمير المسلمين علي بن يوسف (ت ٥٣٧هـ) بتفجعه وإظهار حزنه وذلك بحضّه على الجهاد لاستعادة (مَيُورْقة)، فقد ربط بين الطبيعة وقد تغيرت معالمها في (مَيُورْقة) بعد سقوطها، وتغيُّر رموز الدين الإسلامي فيها، وذلك لإثارة حفيظة الأمير وغيرته على دينه، وربط ذلك بالزمن وتغيُّره بين الأمس واليوم فكتب: "فيالله لِما كانَ فيها من إعلان توحيدٍ عاد همسا، ويوم إيمانٍ آضَ أمسا، وبارقةِ كُفْرٍ طَلَعتْ شمسا، وصباح شَرْعٍ أظلمَ بدياجي الشِّرك وأمسى. ونجوم أصبح حَرَمُها منتهبا، وفرَّقتها يدُ الغَلَبة أيدي سَبَا، ولخَفراتٍ أذال الشَّركُ صِباها، ولإخوةٍ عقَّر منهمُ القتلُ سواعدَ وجباها، ومزَّقهم السيفُ كلَّ ممزَّق، فللهِ أرحامٌ هناك تُشقَّقَ رحمهم الله ماتوا كراما"[٢].

ويبدو أن ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) قد كثف عاطفته في الشعر المرفق بالرسالة، فجاء شعره معبراً، ومتوجعا، وحاضّاً للمرابطين وأميرهم على الجهاد[3]، وقد ساعدت هذه الرسالة – وربما غيرها مما لم يصلنا - ساعدت في إثارة عزيمة أمير المسلمين وقائد المرابطين علي بن يوسف فأرسل أسطولا مرابطياً استطاع استرجاع (مَيُورْقة) عام (٥٠٩هـ).

ومع اشتداد الحروب ودورانها مداً وجزراً بين المرابطين والقوى الإسبانية في الأندلس، استنزفت قوة المرابطين، وقضت معظم قياداتهم العسكرية المحنكة في ساحات القتال[٤]، لا سيما في الثغر الأعلى، وقاعدته (سَرَقُسْطة) المدينة البيضاء[٥]، وذلك لأن الثغر الأعلى كان الدرع الواقي للأندلس، المواجه لأعدائهم، القريب منهم، البعيد عنهم – ولو إلى حين -، ذلك أن (ألفونسو الأول) الملقب بالمحارب[٦] (ت ٥٢٩هـ) والمعروف في المصادر العربية باسم ابن رذمير، لم يكف عن سياسته التوسعية لالتهام المزيد من الأراضي الأندلسية وقد كان مصراً على إخضاع (سَرَقُسْطة) لسلطانه، وضمها لمملكته، فحاصرها عام (٥٠٣هـ)، واستطاع المرابطون

---

1) ينظر: ابن سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلامية في الأندلس، ص١٥٧.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٣/٦٦٧.

3) ينظر: الفصل الأول من هذه الدراسة.

4) من ذلك: استشهاد القائد محمد بن الحاج (٥٠٣هـ)، في سرقسطة، واستشهاد عبد الله بن مزدلي فيها عام (٥١٢هـ)، واستشهاد الأمير أبو يحيى بن إبراهيم بن تيفلويت عام (٥١٠هـ)، للتفاصيل ينظر: ابن عذاري، البيان المُغرب، ٤/٦١، ٦٤، ابن الأبّار، الحلة السِّيراء، ٢/٢٤٨، وابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، أعمال الأعلام، ص١٧٥، وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢، العمايرة، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، ص٢٠٥-٢١٤.

5) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٦.

6) سبق التعريف به، ص٥٠.

فك حصارها وتولي أمورها[1]، وفي عام (٥١٠هـ) استشهد واليها أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تيفْلويت[2]، فتولَّى أمرها عبد الله بن مُزْدَلي واستشهد في رجب من عام (٥١٢هـ)، فغدت دون والٍ[3]؛ فانتهز (ألفونسو الأول) المُحارب الفرصة واستمد من حلفائه المدد: "فأتوا في أمم كالنمل والجراد، فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها"[4].

واستمر الحصار لعدة أشهر[5]، عندها كتب قاضي سَرَقُسْطة المُحاصَر أبو القاسم ثابت بن عبد الله[6] (ت ٥١٤هـ)، بلسان جمهورها، رسالة لأمير المرابطين في الأندلس أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين[7] (ت ٥٢٠هـ)، يستنجد به، ويحضُّه على الجهاد، ليخلصهم من عذاب الحصار والجوع والخوف، وفي الوقت نفسه يحذره بل ويثور عليه فيها، فيما يمكن عدّه الشرارة الأولى لثورة الأندلسيين على المرابطين، وذلك قبل قيام الثورات الأندلسية عليهم بعد ذلك[8].

ومن الملاحظ أن خطاب القاضي أبي القاسم ثابت بن عبد الله (ت ٥١٤هـ)، كان مباشراً، وصريحاً، وجريئا، فقد ربط الطاعة بالنجدة، لا سيما بعد أن عمَّ البلاء في سَرَقُسْطة وشمل الخاص والعام، فالكرب شديد والجهد عظيم، كما أن القاضي أبا القاسم ثابت بن عبد الله حرص على أن تكون مقدمة رسالته مختصرة وقصيرة ومعبّرة؛ لاختزال الألم والضيق وتكثيفه، فهو يقول فيها: "من ملتزمي طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله وجماعة سرقسطة من الجمهور فيها من عباد الله، أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل، لحرم الإسلام يمنعه، من كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه"[9].

---

1) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٦١-٦٤، والناصري، الاستقصا، ٢/٦٦-٦٧.

2) سبق التعريف به، ص٣٩ .

3) ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٢.

4) المصدر نفسه، ص١٦٣.

5) ذكر الحميري أن الحصار استمر تسعة أشهر، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٧، وذكر القاضي ثابت بن عبد الله أنها سبعة أشهر، وهو الأصح، ينظر: مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٦.

6) هو: ثابت بن عبد الله بن ثابت بن سعيد بن ثابت العوفي، من أهل سرقسطة، وقاضيها، يُكنى أبا القاسم، روى عن أبيه، خرج عن وطنه حين تغلب العدو عليه، توفي بقرطبة سنة (٥١٤هـ)، ينظر ترجمته في: ابن بَشكوال، الصِّلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩، ج١/٢٠٥.

7) سبق التعريف به، ص ٤٦.

8) من ذلك – مثلاً – ثورة ابن قسي (ثورة المريدين)، وثورة ابن حمدين بقرطبة، عام (٥٣٩هـ)، للتفاصيل ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٢، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٤٨-٢٥٤.

9) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين، ص٤٤.

وقد حرص القاضي أن يقف بالأمير أبي الطاهر تميم ويصف له أموراً عديدة قبل حضّه على الجهاد، فقد وصف له أولاً: البلاء العظيم الذي كان يتجرُّعه السرقسطيون، ثم علت صيحته بالندبة والاستغاثة إذ يقول: "كتابنا أيدك الله بتقواه، ثم وفقك لاشتراء دار حسناه، بمجاهدة عداه، يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان[١]، عن حال قد عظُم بلاؤها، وادلهمت ضراؤها، فنحن في كرب عظيم وجهد أليم، قد جل العزاء وعظُم الخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فيا غوثاه! ثم يا غوثاه!" [٢].

ثم هو – ثانيا - يشتد في استغاثته وتوجُّعه؛ لازدياد إحساسه بأن سَرَقُسْطة ربما يستولي عليها الأرغونيون؛ لذا استرسل في وصف ما سيكون عليه حال سرقسطة إن هي سقطت، فقد خبر الأندلسيون ما يحصل بالمدن والقلاع بعد سقوطها، ومن الملاحظ أن القاضي ثابت بن عبد الله قد انصبَّ تحسره، وخوفه، وقلقه على شيئين اثنين هما: الدِّين والعِرض فهما رمزان لحرية الإنسان الأندلسي ولكرامته. فلا يمكننا تجاهل البعد الديني في الحروب وفي الحصار – أيضاً - آنذاك كما أن قلق الأندلسيين على نسائهم أثناء الحصار والحروب أمر مسوّغ وطبيعي في ظل وجود نظام الرّق آنذاك كما أن المرأة تشكل نوعاً من الحرم المصون، الذي يجب الحفاظ عليه، وفي هذا توافق مع الدِّين والعُرف الاجتماعي[٣]، إذ كتب متألما: "ويا لله! ويا للإسلام! لقد انتهك حماه، وفضت عراه، وبلغ المأمولَ من بيضته عداه، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك! طالما عَمرت بالإيمان، وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان، ويا ويلاه على مسجد جامعها المُكرّم! وقد كان مأنوسا بتلاوة القرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤمِّلون أن يدنسوه بقبيح آثامها، ... ثم يا حسرتاه! على نسوة مكنونات عذارى، يَعُدْنَ في أوثاق الأسارى، وعلى رجال أصبحوا حيارى بل هم سُكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذي دهمهم شديد، والضرّ الذي مسهم

---

1) تؤيد الباحثة تخطئة حسين مؤنس من قبل جمعة شيخة في أن الرسالة كتبت في ١٧ شعبان سنة (٥١٢هـ-٩، وليس سنة (٥٢٣هـ)، كما ذكر د. حسين مؤنس في الثغر الأعلى الأندلس في عصر المرابطين، ص٤٤، وينظر: شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ص١٣٠، ولعل بين كتابة هذه الرسالة (رسالة ثابت بن عبد الله) وسقوط سرقسطة ستة عشر يوماً، فقد سقطت سرقسطة في الرابع من رمضان سنة (٥١٢هـ)، ينظر: العمايرة، محمد، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، ص٢٠٧.

2) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٤.

3) ينظر: عيد، يوسف، الشعر الأندلسي وصدى النكبات، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٢ و٣٣.

عظيم جهيد، من حذرهم على بنيات – كن من الستر نجبار[١] الوجوه - أن يروا فيهن السوء والمكروه... وعلى صبية أطفال قد كانوا نُشِّئوا في حجور الإيمان، يصيرون في عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان"[٢].

والقاضي ثابت بن عبد الله –ثالثا- يحذر الأمير المرابطي أبا الطاهر تميم بن يوسف بلهجة شديدة، وحاسمة، وجريئة، من مغبة التواني والتواكل عن نصرتهم، ويشير أثناء ذلك إلى حادثة تاريخية، هي مرور الجيش المرابطي بقيادة الأمير أبي الطاهر تميم نفسه، بالقرب من سَرَقُسْطَة أثناء حصارها، وابتعاده عنها، وعدم إنقاذها[٣]!، لذا نجد القاضي يعرّض بشجاعة المرابطين، ويصفهم بالجبن، لكنه يحاول في الوقت نفسه إثارة مكامن إيمانهم وحبهم للجهاد، وإثارة نخوتهم عن طريقين: الطريق الأولى هي تقليله من شأن العدو، عددا وعُدة، والطريق الثانية هي تعظيم مكانة سرقسطة وأهميتها، في حماية بقية المدن الأندلسية فهي درعها الواقي وسدّها المنيع، إذ يقول محذراً: "فيا لله ويا للإسلام! لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام! إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام، ونكصت عن لقاء عدوه وهو في فئة قليلة، وأمة رذيلة، وطائفة قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون بشعائر الإسلام، وكلمة الله هي العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى... فما هذا الجبن والفزع؟ وما هذا الهلع والجزع؟ بل ما هذا العار والضبع[٤]؟ أتحسبون يا معشر المرابطين، وإخواننا في ذات الله المؤمنين، إن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر، أنكم تبلعون بعدها ريقا، وتجدون فيساير بلاد الأندلس – عصمها الله - مسلكاً من النجاة أو طريقا؟ كلا! والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفرارا، وليخرجنكم منها دارا فدارا! فسرقسطة – حرسها الله - هي السد الذي إن فتق فتقت بعده أسداد، والبلد الذي إن استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد"[٥].

ويمكن أن نلمس من كلام القاضي أبي القاسم ثابت وعيه بعصبيته الأندلسية، أمام المرابطين الذين انحصر دورهم ووظيفتهم في الأندلس – كما يرى القاضي ثابت - بحمايتها

---

1) هكذا وردت في الأصل، وصوّبها المحقق بـــ "مُخدرات" أو "نجيبات" ينظر: مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلس في عصر المـــرابطين، ص٤٥.

2) مؤنس، حسين الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٥.

3) للمزيد عن سبب ارتداد الأمير تميم بن يوسف عن سرقسطة، ينظر: شيخة، جمعة، الفتن والحـــروب وأثرهـــا في الـــشعر الأندلـــسي، ج٢/١٢٣-١٣٣.

4) الضَّبْع: الجَوْرُ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضبع.

5) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٦، ٤٧.

والدفاع عنها، وقد لجأ القاضي إلى حضّ المرابطين وأميرهم في الأندلس تميم بن يوسف على الجهاد، بإثارة همتهم، وتذكيرهم بثواب المجاهدين، وبإذكاء الشعور الديني، والحمية الإسلامية في قلوبهم[١]، فيكتب: "فالآن أيها الأمير الأجل! هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنية ولا الدنية! والنار ولا العار! فأين النفوس الأبية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطية؟ فلتقدح عن زنادها بانتضاء حدّها، وامتطاء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضَمِن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، فما هذا أيها الأمير الأجلّ؟ ألا ترغب في رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحربه"[٢].

ولم يتوان القاضي ثابت بن عبد الله (ت. ٥١٤هـ) عن تهديد الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بسوء العاقبة، وقبح الذكر، إن هو توانى عن نجدتهم، بل هو يخيره بين الإسراع بإنقاذهم مع الذكر الجميل، والبراءة من دم أهل سَرَقُسْطة أمام الله وعباده، أو - على الأقل - الاقتراب من المدينة لينضمَّ السرقسطيون لهم، وإلا فالله هو الغني الحميد، والمرابطون مطالبون بدماء السرقسطيين وأموالهم. ويمكن أن نلمس الحرية في التعبير، في المساحة المعقولة من الجراءة التي سمح بها المرابطون، ويغدو التحقق مما يشاع عنهم من قمع للحريات قابلاً للبحث.

فلننظر إلى قوله: "ولن يسعك عند الله ولا عند مؤمن عذر في التأخر والارعواء، عن مناجزة الكفار والأعداء، وكتابنا هذا أيها الأمير اعتذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد، وعند سائر العباد، في إسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والإلحاد، ونحن مؤمنون بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، ... فدفاعك إنما هو في ذات الله وعن كلمة الدِّين وربّه، ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدُّنيا ، ومورث لك عند الله المنزلة العليا، فكم تحيي من أمم، وتُجلي من كروب وغمم! وإن تكن منك الأخرى، وهي الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك، فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة –عصمها الله- ليخرج الجميع عنها، ويبرأ إلى العدو - وقمه الله منها -، ولا تتأخر – كيفما كان - طرفة عين، فالأمر أضيق، والحال أزهق، فعد بنا عن المطل والتسويف، قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا، والمسئولون عن صبيتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا، وتثبطكم عن إجابة ندائنا،

---

1) ينظر: السُّيوفي، مصطفى محمد أحمد، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٢٤، ٤٠٥.

2) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٧.

وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها ... وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الإسلام، وعند الله لنا لطف خفي، ومن رحمته ينزل (الصنع) الحَفِيّ، ويغنينا الله عنكم، وهو الحميد الغني!"[١].

وقد أرسل أمير المسلمين من العُدْوة عشرة آلاف مجاهد لإنقاذها[٢]، لكنهم وصلوا متأخرين فقد سقطت سَرَقُسْطة صلحا عام (٥١٢هـ)، ولا نبالغ إذا عددنا سقوط سرقسطة بداية السُلَّم الموصل إلى سقوط الدولة المرابطية[٣]، ويحق لنا أن نتساءل: ألم يكن في الأندلس ذاتها جيش يستطيع فك حصار سَرَقُسْطة؟! فإن لم يك بعدده وعدته كافيا لفرض معركة متكافئة مع ألفونسو المحارب، فلم تأخر المدد من العُدْوة المغربية؟ وهل يمكن إرجاع سبب التأخير إلى المتاعب التي أثارها ظهور المهدي بن تومرت في السوس الأقصى[٤]؟

ألم يكن لافتقاد المرابطين للعديد من قياداتهم المحنكة الشجاعة[٥] أثر في هذا التأخير، وفي الهزائم التي ستلاحق المرابطين بعد ذلك؟! كما لا يمكننا تجاهل تنامي الشعور المبغض للمرابطين من قبل الأندلسيين، ويمكن الإحساس به في رسالة القاضي ثابت بن عبد الله – مثلا – وقد كان لكل ذلك دور في قصر مدة حياة دولة المرابطين في الأندلس.

ومع ذلك، فلا بد من الإشارة إلى اهتمام الدولة المرابطية بالاستعداد الروحي إلى جانب الاستعداد المادي[٦] في حروبها، وهذا يدل على غلبة الروح الدينية عليها[٧] فقد كانت دولة حربية دينية[٨]، فقد كتب أبو عبد الله بن أبي الخِصَال[٩] (ت ٥٤٠هـ) عن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[١٠] (ت ٥٣٧هـ) إلى الأندلسيين عامة في سنة (٥٠٧هـ) يستنفرهم للدعاء له ولجنده بالنصر والتمكين، فقد استعد الاستعداد المادي للجواز؛ لنصرة الإسلام، ومنع جانبه من أن يضام، لكنه يريد الدعاء منهم للاستعداد الروحي، ومما ورد في كتابه: "ونحن إن

---

1) نفسه، ص٤٧، ٤٨.

2) ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٣.

3) ينظر: سلطاني، الجيلاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، ص٢٧.

4) ينظر: ابن الخطيب، القسم الثالث من أعمال الأعلام، ص٢٥٥، ومجهول، الحلل الموشية، ص٨٧.

5) للمزيد عن قادة المرابطين، ينظر: حركات، إبراهيم، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، ص١٦٠-١٧٧.

6) مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٢٣.

7) نفسه، ص٣٩، وينظر – أيضاً-: دندش، عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحديث، ص١٤٢.

8) ينظر: إسماعيل، عثمان عثمان، عمارة المرابطين الحربيّة في نطاق فلسفتهم الجهادية، مجلة دعوة الحق، ع٢/السنة ٢٣، ١٩٨٢، ص٧٤.

9) سبق التعريف به، ص٢٥ .

10) سبق التعريف به، ص٢٦.

كنا قد بالغنا في الاحتشاد والاستعداد، واستنهضنا من الأجناد والأمداد، ما يُرْبي على الحصى والتعداد، فإنا نعتقد اعتقاد يقين، بقول رب العالمين، في كتابه المبين لرسوله الأمين "قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم"[١]، إن استنفار الدعاء، واستفتاح أبواب السماء بخالص الثناء –من أنفع الأشياء، وأنجع الدواء فيما أعضل من الأدواء؛ ... ولذلكم ما رأينا مخاطبتكم مستنفرين دعاءكم وأدعية من وراءكم من خيار المسلمين وصالحي المؤمنين، لأن يمدنا الله بالنصر والتمكين والملائكة المؤمنين، ويقطع بكل من يريد القطع بنا عن حماية الدِّين"[٢].

وهذا يدل على أن الأندلسيين لم يكونوا – في معظم المعارك - يشاركون الجيش المرابطي في الجهاد، ولم ينتظموا فيه جنوداً، بل كان منهم بعض المتطوعة، لذا كان العبء الأكبر في الدفاع والهجوم لقتال الإسبان ومجاهدتهم يقع على عاتق المرابطين، لكننا نجد الوضع قد اختلف بعد عام (٥٣٨هـ) أي في السنوات الحرجة للدولة المرابطية، فقد أرسل أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف[٣] (ت ٥٣٩هـ) إلى أهل بلنسية يوصيهم بوصايا دينية مختلفة، منها ما يبعث بنفوسهم نحو الجهاد، ويبين لهم ما أعد الله للذين يقاتلون في سبيله من جنان وأجر[٤]، وهذا يدل على ضعف القدرة الدفاعية للدولة المرابطية في آخر عهدها وقبيل سقوطها عام (٥٤٠هـ)، كما يدل على أن الجهاد ما برح ديدنها حتى آخر رمق فيها، إذ ورد في الكتاب قوله: "وانتدبوا واندبوا مَنْ قِبَلَكُمْ للجهاد، الذي هو من قواعد الإيمان والرشاد، أمرُ الرحمن، وفرضٌ على الكفاية والأعيان، واتصال الهدى بفضل الله وللأمان، وقد جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القايم الصايم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام"[٥]"[٦].

1) سورة الفرقان، آية: ٧٧.

2) مكي، محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٦١.

3) سبق التعريف به، ص ٢٧.

4) للمزيد عن آيات الجهاد في القرآن الكريم، ينظر: الخنين، ناصر بن عبد الرحمن، النظم القرآني في آيات الجهاد، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٦، ص٢١-٢٣.

5) ورد نص الحديث في: أبي عمر يوسف بن عبد البَّر ، الاستذكار، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، رقم ١١٦٤، م٥/١٢٩، عن أبي هريرة، أنّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: "مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القائم الدائم، الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام، حتى يرجع"، وقد وردت بدل كلمة الدائم جملة (القانت بآيات الله)، وبعد كلمة يرجع المجاهد (في سبيل الله) في: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت. ٥٨٢هـ)، الجمع بين الصحيحين، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، ط١، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩، ج٣/١٦٧، رقم الحديث ٣٢٥٨.

6) مؤنس، حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠، ص١٩.

ومن الجدير ذكره أن معظم الأندلسيين لم يدخروا وسعا في محاولة حماية بلدهم من خطر التمزق والتفتت، في عهد ملوك الطوائف؛ وذلك بالدعوة للوحدة والتكاتف، حتى وإن كلفهم ذلك حياتهم كالهَوْزَني – مثلا - أو حتى كلفهم مشقة الانتقال والسفر من مكان لآخر داخل الأندلس أو خارجها. فهذا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي[١] (ت ٤٧٤هـ) يجتهد متنقلا بين ملوك الطوائف داعيا إياهم للوحدة والتآلف[٢]، وإن كانت قلوبهم عنه نافرة، ووجوههم إليه مقبلة[٣]، فقد كان الحرص على المكتسبات المادية أغلى عندهم من الوحدة والجهاد، ولم يكن الباجي وحده في سعيه ذاك[٤]، بل كان هناك آخرون، تطرقت الباحثة لبعضهم في التمهيد.

ولا ريب أن الرحلة خارج الأندلس من أجل الحضّ على الجهاد، واستنفار المرابطين للجهاد فيها، كانت كثيرة ومقصودة، قام بمعظمها الفقهاء سواء أكانوا قضاة، أم وزراء، أم أدباء كالفقيه القاضي أبي عبيد الله بن أدهم[٥]، والفقيه القاضي أبي اسحاق بن مقانا، والفقيه القاضي أبي جعفر القليعي[٦]، والوزير الكاتب أبي بكر بن القصيرة[٧].

ولا ننسى أن المعتمد بن عباد[٨] (ت. ٤٨٨هـ) قد جاز بنفسه إلى العُدْوه المغربية[٩]، وقابل أمير المرابطين يوسف بن تاشفين[١٠] (ت. ٥٠٠هـ) وقد كتب شعراً في ذلك يقول فيه[١١]:

تُراهم نَسُوا حِينَ جُزْتَ القِفَارَ	حَنيناً إليهمْ وخُضتَ البِحَارا
بعَهدٍ لُزومٍ لِسُبْلِ الوَفَا	إذا حَادَ مَنْ حَادَ عَنْها وَجَارَا

---

1) سبق التعريف به، ص٢٦.

2) ينظر: ابن الأبّار، الحلة السِّيراء، ج٢/٩٨.

3) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٤-٩٧.

4) للمزيد عن دور العلماء والأدباء في الرحلة للحضّ على الجهاد، ينظر: الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص٣٢٥-٤٠٣.

5) سبق التعريف به، ص١٤.

6) هو: أبو جعفر القليعي قاضي غرناطة، تحدث الأمير عبد الله بلكين عن دوره في الاستنجاد بالمرابطين وخلع ملوك الطوائف، ينظر ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة، م١/١٤٧، وبُلكين، عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، ص١١٦-١١٩.

7) سبق التعريف به، ص٦٨ .

8) سبق التعريف به، ص١٥.

9) ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م٤/٣٥٠، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٧/٣٤١.

10) سبق التعريف به، ص ١٤ .

11) ابن عباد، المعتمد، ديوان المعتمد بن عباد، ملك إشبيلية، جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥، ص١٥٩.

وقلبي نزوعٌ إلى يوسفٍ   فلولا الضُّلوعُ عليهِ لطارا

ويومَ العَرُوبةِ ذدْتَ العدى   نَصرتَ الهُدى وأبيتَ الفِرارا

ولا يمكننا تجاهل رحلات الرُّسل حاملي الرسائل الديوانية إلى خارج الأندلس، لا سيما للعُدْوة المغربية، وقد كُلّف بعضهم بمهام إضافية سوى إيصال الرسائل لمقاصدها، فمن ذلك ما أشار إليه ابن أيْمن[١] في ختام رسالة المتوكل أبي حفص عمر بن الأفطس[٢] حاكم (بَطَلْيَوس) (ت ٤٨٧هـ) إلى يوسف بن تاشفين فقد قال: "وكتابي هذا جُملةٌ: الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها، ومشتمل على نكتة هو يوضحها ويبينها، فإنه لما توجَّه نحوك احتسابا، وتكلَّف المشقة إليك طالبا ثوابا، عوّلت على بيانه، ووثقت في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه"[٣].

إذن فقد كان يعتمد على الرُّسل في نقل تفاصيل الحدث، والتأثير على المُخاطَب لإنجاز الهدف، وإتمام المهمة، فقد كُلِفَ بذلك أيضاً حاملو رسالة قاضي (سَرَقُسْطة) ثابت بن عبد الله[٤] فهو يقول في ختامها: "ومن متحملي كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقف من كُنْهِ حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب، ولا استوعبه الإطناب بمنه، وله أتم الطَّول في الإصغاء إليهم، واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٥].

ولا يمكننا – أيضا - تجاهل العديد من الجنود المجهولين من الخاصة والعامة من الأندلسيين الذين رحلوا وفودا أو فرادى إلى بلاط المرابطين، لاستنفارهم للجهاد فيها أو لاصلاح شؤونها، سواء في عصر ملوك الطوائف[٦] أم في عصر المرابطين[٧].

ولا يمكننا إنكار دور الأندلسيين العائدين من الرحلة للمشرق في محاولاتهم لإصلاح ما فسَدَ من أحوال الأندلس سياسيا واجتماعيا، بل وحضّهم على الجهاد كجزء من الإصلاح الشامل لأحوال بلدهم، فقد زادهم الترحل حبا للأندلس، وتصميما على مداوة جراحها، ومن هؤلاء –

---

1) سبق التعريف به، ص٧٩.

2) سبق التعريف به، ص١٤.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.

4) سبق التعريف به، ص٨٧.

5) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٩.

6) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٣٣، ٣٦، ٣٨، وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م١١/٣٨٢، والمقري، نفح الطيب، م٤/٣٥٩، ٣٦٠.

7) من ذلك – مثلا – رحلة محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد بن رشد (الجد) يكنى أبا الوليد، إلى مراكش بعد الحملة الاحتراقية لألفونسو المحارب على الأندلس (٥٢٠هـ)، ينظر في هدف الرحلة من بسط شأن الجزيرة الأندلسية ووصف حالها بعد غدر المعاهدين فيها للمسلمين، مكي محمود علي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص٦٠.

مثلا - أبو الوليد الباجي[١] (ت ٤٧٤هـ) وأبو حفص عمر الهوزني[٢] (ت ٤٦٠هـ) وحسين بن محمد الصدفي[٣] (ت ٥١٤هـ)، وابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله[٤] (ت ٥٤٣هـ)، وغيرهم ممن ذُكروا في كتب التراجم لتلك الحقبة[٥].

ولا أظن أننا نجانب الصواب إن قلنا بأن النثر الأندلسي قد أدّى دوره المنشود في مواجهة التحديات، التي عصفت بالكيان الأندلسي آنذاك، فقد خاطب العقول واستمال النفوس، وبعث الهمم، ووصف الأحداث، وحضّ على الجهاد، وقد استوعب فنا الخطابة والرسائل ذلك وآزر الرحالة الأندلسيون فرادى وجماعات في إيصال صوت استنجاد الأندلس إلى ابنائها الأندلسيين وإلى اخوانهم المسلمين خارجها، حاملين الرسائل أحياناً ومعبرين شفاهاً أحياناً أخرى.

---

1) سبق التعريف به ص ٢٦.

2) سبق التعريف به ص ٢٥.

3) سبق التعريف به ص ٢١.

4) سبق التعريف به ص ٢٢.

5) للمزيد عن دور الفقهاء في عصر ملوك الطوائف، ينظر: عوض الله، رحاب صبري، دور الفقهاء في الحياة العامة في عصر الطوائف، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣، ص ٢٤-٣٧، و٥٧-٦٥.

الفصل الثالث

الدراسة الفنيّة

يرمي هذا الفصل إلى دراسة الأداة الفنية التي عبّر بها الأدباء الأندلسيون عن مضامين أدبهم في الحضّ على الجهاد، وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى عنوانات فرعية شاملة لأقسام الدراسة الفنية.

أولاً: الشعر:

- **بناء القصيدة:**

ما فتئت مطالع القصائد الشغل الشاغل للشعراء؛ إذ يُعتمد عليها وعلى مقدمة القصيدة في تهيئة المتلقي، وتشويقه، واستمالته للسماع، وبالتالي إقناعه بالأفكار الواردة فيه، لذا اهتم النقاد والشعراء بما يسمى بـــ "حُسن الابتداء"[١] أو "براعة الاستهلال"[٢].

ولا نبالغ إن وصفنا مطلع القصيدة وكذلك مقدمتها بالمغناطيس الذي يجتذب المتلقي للنص، فيكوِّن الإنطباع الأولي الفعّال الذي يشوق للإصغاء حتى آخر كلمة[٣].

فالمطلع هو الرائد[٤] الذي يتقدم قومه، ويُنتَظر منه ألا يخذلهم.

وقد حرص الشعراء على ملاءمة مطالع قصائدهم ومقدماتها لأغراض قصائدهم، ولحال الخطاب – أيضاً – من حيث الجو النفسي للمخاطبين[٥].

لذا اختار بعض شعراء الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين قصائد المديح؛ لتحريك نخوة الممدوحين للجهاد، علّهم يسارعون لإنقاذ مدينة محاصرة أو استرجاع حصون تهاوت أمام قوة الإسبان[٦].

---

1) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله، تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات، مخطوط، الجامعة الأردنية، مركزالوثائق والمخطوطات، رقم الشريط ٦٥٠، ص١٧.

2) ابن مالك الأندلسي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين، المصباح في علم المعاني والبديع، المطبعة الخيرية، بالقاهرة، ١٣٤١هـ، ص١٢٤.

3) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤، ص٩٠و ٩١.

4) ينظر: القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٨٦.

5) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية، لأساليب البلاغة العربية، ص ٩٦، ٩٨.

6) ينظر: الموسى، فيروز، قصيدة المديح الأندلسية بين التجديد و التقليد، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، ١٩٩٢، ص ١٢٤.

ويعدُّ المديح من أكثر الأغراض الشعرية المؤازرة قربا لغرض الحضِّ على الجهاد، وقد تشابكا معاً في بعض القصائد "تشابك السداة باللحمة"[١]. وشكّل المديح مطلعاً مناسباً لقصائد حماسية تحضُّ على الجهاد، والأمثلة على ذلك كثيرة[٢].

أما الأغراض الشعرية الأخرى التي آزرت الحضّ على الجهاد، مثل الرِّثاء، والنقد الاجتماعي والسياسي، فقد تنوّعت مطالعها بين التقليد[٣] أو الارتباط بالجو العام لموضوعها الأصلي[٤].

ولكن هل اهتم الشعراء الحاضُّون على الجهاد ببناء مقدمات غزلية لقصائدهم؟ وهل كان المقام مناسبا لذلك المقال؟ وهل كانت الأجواء العامة المحيطة بالصراع المحتدم بين الأندلسيين والإسبان تسمح بذكر سُعدى أو تذكر ليلى، أو حتى بالوقوف على طلل دارس أو مخاطبة طيف قد أرّق صاحبه؟!

لا أعتقد ذلك، فقد تجاوز الشعراء الذين حضُّوا على الجهاد المطالع والمقدمات التقليدية، وانقضُّوا على الموضوع مباشرة؛ ليضعوا المتلقي أمام مسؤوليته تجاه وطنه ودينه، وليشعر بفداحة الخطب المُعاش، كما يمكن أن تعدَّ تلك المقدمات والمطالع خروجا على الجو الانفعالي الذي تتسم به قصيدة الحضّ وقد يفقدها ذلك الأثر، وقد يكون لتأزم الوضع وخطورته دور في تجاهل الشعراء لتلك المطالع والمقدمات[٥].

ولا ننسى أن لسيطرة عاطفة الغضب والثورة بل والرفض للواقع المعاش آنذاك دوراً مؤثراً في ذلك التجاهل أيضاً.

إذن لقد كان من المناسب – حقاً – خلوّ قصائد الحضّ على الجهاد من المقدمات والمطالع التقليدية، والدخول مباشرة دون تقديم فيما يمكن عدّه انقلابا مبكرا على بعض تقاليد القصيدة العربية التقليدية، مع أن معظم شعراء الحضّ على الجهاد كانوا من أنصار التيار

---

1) بهجت، منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٧٧.

2) ينظر – مثلا –:ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، الصفحات، ١٨٤، ٢٠٧، ١٠٢، ٣٣، ٢٥١، والأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، الصفحات، ١١٢، ١٠٠، ٢٠٠، ٢٠٨، وابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، و ق٤/م١/٣٧٦، وابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٤٠٢، وابن عذاري، البيان المغرب، ج٤/٨٩، وابن الخطيب، الإحاطة، م٢/٣٩٣.

3) ينظر – مثلا: قصيدة ابن الجد في انتقاد ملوك الطوائف: ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ اسبانيا الإسلامية)، ص٢٤٢.

4) ينظر – مثلا – : قصيدة ابن العسال في سقوط بربشتر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٤٠، وينظر رثاء مجهول لطُلَيْطلَة: المقَّري، نفح الطيب، ج٤/٤٨٣.

5) ينظر: بن سلامة، الربعي، أدب المحنة الإسلامية في الأندلس، ص ٢٩٤.

المحافظ، فمعظمهم من الفقهاء المحافظين على تراث الأمة ودينها، لكن يبدو أن ظروف عصرهم وإحساسهم بتناقض المجتمع من حولهم، وخوفهم من المجهول، ومن محو وجود المسلمين في الأندلس، جعلهم يقاومون، بل ويحضُّون ويقاتلون، ويتخلون عن مطلع ومقدمة يعيقان تدفق أمواج اللهفة والغضب العاتية الكامنة في صدورهم، ولتخرج عواصف السخط المتأججة في دواخلهم، علّها تثير عاصفة في مجتمع ساكن أو تحرك نخوة نائمة في نَفْسٍ محبطة.

ولهذا لجأ معظم شعراء الحضّ على الجهاد إلى ما يمكن تسميته بالأسلوب التقريري الخطابي الذي يُدْخِل المتلقين في عالم النصّ مباشرة دون معاناة في البحث والتنقيب[١]، مما أغنى عن وجود المطالع والمقدمات التقليدية.

ومن أمثلة ذلك أن أبا حفص الهَوْزني، قد استعاض عن المطلع التقليدي في إحدى قصائده التي يحضّ فيها على الجهاد، بمطلع مرتبط بالجو العام لغرضه، فقد استهل قصيدته بمطلع مناسب للحضِّ على الجهاد، وبدأ بتحذير الأندلسيين من شر سينزل بهم إن لم يتداركوه، ويكفوا خطره، حيث بدأ قائلا[٢]:

بَيّتِ الشَّر فلا يُستـــــــــــــــــــزلُّ	طَرَقَ النَّوّامَ سِمْـــــــــــــــعٌ أزَلُّ
فَتَيَبَّوا واخشوشِنُوا واحزئلُّـــــــــوا	كُلُّ ما رُزْءٍ سِوى الدِّينِ قُـــــــــلُّ

أما رسالته إلى المعتضد التي حضَّه فيها على الجهاد، فقد استفتحها بالشعر، وجاء في مطلعها مناديا ومستغيثا بالمعتضد، منبها إياه على عظم مصائب الأندلسيين، ومستغربا من تراخي الهمم وفتورها إزاء تردي الأوضاع وضياع البلاد، حيث يقول[٣]:

أعبَّادُ جلَّ الرُّزْءُ والقومُ هُجَّـــــــــعُ	على حالةٍ مِنْ مِثْلِها يُتوقَّـــــــــــعُ

وبدأ أبو محمد بن عبد الغفور قصيدته التحريضية لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، لإغاثة سَرَقُسْطة ببيتين اتحدا بحيث لا يستغنى عن أي منهما في ايصال المعنى المراد،

---

1) ينظر: بكّار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص١٥٦.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٨٩.

3) المصدر نفسه، ق ٢/م١/٨٣.

مادحاً وحاضاً الأمير المرابطي فهو القادر على إغاثتهم، وتضميد جراحهم، وكشف همهم وإزالة كربهم، إذ قال ابن عبد الغفور[١]:

ما إنْ لها ولكشفها من غُمـــــــــــةٍ   جثمت على أنفاس كـــــــلِّ موحِّدِ
أحدٌ سواك فحُلَّها بعزيمـــــــــــةٍ   كالسيف أو كالبارقِ المُتوقـــــــدِ

وعمد ابن عطية إلى النثر فبدأ به رسالته، واتخذه تمهيداً لأبياته الشعرية التي حضَّ فيها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على استرجاع (مَيُورقة)، وكأن النثر قد أغنى عن المطلع في التقديم والتمهيد، وبدأ قصيدته مباشرة، مستنهضا ومستنجدا بأمير المسلمين، داعيا إياه للجهاد ولاسترجاع (مَيُورقة)، حيث قال[٢]:

ونحوَ أميرِ المسلمينَ تطامَحَـــــــتْ   نواظرُ آمالٍ وأيدي رَغائـــــــبِ
من النَّاسِ تستدعي حَفيظَةَ عَدْلِـــــهِ   لِصدمةِ خَطْبٍ في مَيُورقَ ناصـــــبِ

إذن اتخذت المطالع أشكالاً عديدة[٣] منها: مخاطبة الممدوح باسمه كما فعل أبو حفص الهَوْزني[٤]، أو بصفة دالة عليه كما فعل ابن عطية[٥]، أو باستخدام ضمير الخطاب المفرد كما ورد في قصيدة أبي محمد بن عبد الغفور[٦].

أما التخلص في قصيدة الحضّ على الجهاد فلا نجده؛ وهذا طبيعي نظراً لوحدة الموضوع فيها، واستمرار المعاني فيها دون انقطاع – أيضاً – ولحرص الشعراء على أن يبقى المتلقي منسجما مع النص لضمان أكبر قدر من التأثير عليه، إذ لم تكن ثمة حاجة لواسطة بين "معنى منعطف فيه ومعنى منعطف إليه"[٧]؛ لأن المعنى كان واحداً وهو الحضّ على الجهاد، كما أن فداحة الخطب، وألم الفقد، وضرورة الجهاد لم تمكّن الشعراء من الالتفات إلى أي موضوع آخر.

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢/٤٧٦.
2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٦٧.
3) ينظر: بهنام، هدى شوكت، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٣٥.
4) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٨٥-٨٧.
5) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٦٨.
6) المصدر نفسه، ج٢/٤٧٦.
7) ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص ١٠٣.

وقد تناسب اختتام قصيدة الحضِّ على الجهاد مع غرضها، ففي الخاتمة منقطع الكلام[١]، وهي المسؤولة عن تكوين الانطباع الأخير والمؤثر في القصائد والمقطوعات.

وقد حرص شعراء الحضّ على الجهاد أن تكون خواتيم قصائدهم تحمل معاني التفاؤل والتبشير بنصر سيأتي بعد ركود، وبأمل يتجدد بعد سقوط، وبقوة تدول بعد ضعف، وبعزة بعد ذل، ويبدو هذا الأمل مبررا في عصر تزايدت فيه قوة الإسبان وعظم شأنهم.

ومن تلك الخواتيم ما ختم به ابن عطية قصيدته في حضِّ أمير المسلمين علي بن يوسف على الجهاد، إذ ختمها متفائلا[٢]:

فلا زالَ جيشُ النصر يَقدُمُ جيشَـــــــهُ   وتلقاهُ بالبشرى، وجوهُ العواقـــــــــبِ

أما أبو محمد بن عبد الغفور فاختار أن يختم قصيدته بالتأكيد على أهلية أمير المسلمين علي بن يوسف وقدرته على استرجاع سَرَقُسْطة، مذكراً إياه بأبيه يوسف بن تاشفين، مقيل الأندلس من عثرتها في معركة الزلاقة عام (٤٧٩هــ)، ختمها بقوله[٣]:

وبِمن نماكَ إلى المعالي فاهتـــــــــدِ   وبمن حماها بالعوالي فاقتـــــــــــدِ

ونرى الهَوْزني في خاتمة أبياته في الحضِّ على الجهاد، يقف مندهشاً ومتألماً مما آلت إليه الأمور في وطنه؛ مما جعله يرتد متمرداً إلى العصر الجاهلي مضمنا بيتاً لأحد الصعاليك، خاتما به قصيدته حيث قال[٤]:

عَجَبُ الأيَّامِ ليثٌ صمُـــــــــــــلٌ   ذَعرتْهُ نعجةٌ إذ تَصِـــــــــــــــلٌ

"خبرٌ ما جاءنا مصمـــــــــــــــئـلٌ   جلَّ حتى دقَّ فيه الأجـــــــــــلُّ"[٥]

وختم الهَوْزني أبياته في رسالته إلى المعتضد بأسلوب آخر، فقد مدحه ونبه إلى طيب أصله الذي سيدفعه حتما – كما ظن الهَوْزني – إلى التحرك لاستعادة (بَرْبَشْتر) والتصدي لهجمات الإسبان، حيث قال[٦]:

---

1) ينظر: القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، ص ٢٨٥.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٦٩.

3) المصدر نفسه، ج٢/٤٧٦.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق ٢/م١/٩٠.

5) المرزوقي، ديوان الحماسة لأبي تمام، ج٢/٥٨٦، رقم ٢٧٣. وهو بيت من قصيدة مُشْكِلة قيل إنها لتأبط شراً، وقيل إنها للشنفرى. ينظر: ذلك مقدمة محقق ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٨.

وقولُ رسولِ الله أعدلُ شاهـــــــــدٍ   فحكمته شرعٌ ومنطِقُهُ فَصـــــــــــلُ

يقول: بنو الدُّنيا معادنُ، خَيْرُهَـــــــــا   إذا ما زَكَوا من كان قِدماً له الفضــــلُ

- **الصُّورة الشعرية:**

الصورة الشعرية "تركيب لغوي خاص"[١]، يرسمه الشاعر بالكلمات[٢] بهدف إقناع المتلقين والتأثير فيهم[٣]، فهي الوسيلة التي يحاول بها الشاعر إيصال أفكاره وعواطفه إلى المتلقي[٤] في ثوب من الخيال الملونة خيوطه باستعارة أو كناية أو تشبيه أو تشخيص أو غيرها، فيما يمكن تسميته بطرق التعبير غير المباشر[٥] والتي تعد من خصائص الأسلوب الشعري[٦].

ولا يمكن النظر إلى الصورة الشعرية إلا ضمن وحدة العمل الفني المتكامل والمتفاعل بكل أجزائه[٧]، فالنص الشعري بنية متآلفة متماسكة، كلما اندغمت أجزاؤها معا، ازداد نجاحها وجمالها[٨].

وقد يكون التعبير غنيا بالدلالات المؤثرة، التي يكون تأثيرها – أحيانا – أقوى من تأثير الصور الشعرية بل وأقدر على إحداث الاستنفار[٩] النفسي المطلوب للتأثير على المتلقين.

ومن ذلك قول أبي حفص الهَوْزني حاضّا الأندلسيين على الجهاد[١٠]:

فثِبُوا واخْشَوشِنُوا واحزئلُّـــــــــوا   كُلُّ ما رُزْءٍ سِوَى الدِّينِ قُـــــــــلُّ

فقد حوى البيت السابق ألفاظا لها دلالات حركية، وصوتية، ولمسية (ثبوا، احزئلوا، اخشوشنوا)، وقد أسند الأفعال إلى واو الجماعة؛ لأنه يريد حركة أندلسية جماعية لتغيير الواقع المرير المعاش آنذاك، فاختار أفعالا موحية بالحركة بعد سكون (ثبوا)، وبالكثرة بعد القلة (احزئلوا)، وبالخشونة بعد اللِّين (اخشوشنوا)، حتّى وإن تكلَّفوا الخشونة.

---

1) البطل، علي الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٠.

2) ينظر: دي لويس، سبيسل، الصورة الشعرية، ترجمة الدكتور أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، مراجعة الدكتور عنان غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٢، ص٢١.

3) ينظر: عصفور، جابر أحمد، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، ١٩٨٠، الصفحات، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤.

4) ينظر: الشايب، أحمد أصول النقد الأدبي، ط٨، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٤٢.

5) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص١٨٦، ١٨٩.

6) المصدر نفسه، ص١٤٧.

7) ينظر: السيد، شفيع، التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٥٦.

8) ينظر: زكي، أحمد كمال، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٧٥.

9) ينظر: الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد، عضوية الخيال في العمل الشعري، ط١، ١٩٩٧، دون دار نشر، ص ٢٠٨.

10) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

ومع ذلك فقد مال معظم شعراء الحضِّ على الجهاد إلى استخدام الصورة الشعرية نظرا لقدرتها على إثارة الانفعالات الوجدانية وإقناع المتلقي بتبني موقف، أو فعل، أو سلوك[١] يهدف إليه الشاعر.

ومن ذلك لجوء أبي حفص الهَوْزني نفسه إلى التشبيهات التمثيلية[٢] في قصيدته التي حضّ فيها البلاد كافة على الجهاد، فقد شبه اقتراب خطر العدو بصوت ذئب يعوي والناس نيام حيث يقول[٣]:

بيِّتِ الشّرَّ فلا يُسْتَـــــــــــــــزَلُّ طَرَقَ النُّوامَ سِمْـــــــــــــــــعٌ أزلُّ

كما شبه بدء نذر الشر بالرهام، وشبه توالي نذره بتوالي دفقات المطر الشديد إذ يقول[٤]:

صَرَّحَ الشَرُّ فلا يُستَقَـــــــــــــــلُّ إنْ نَهلتمْ جاءكُمْ بَعْدُ عَـــــــــــــلُّ

بدءُ صعق الأرضِ نشءٌ وطَـــــــلُّ ورياحٌ ثم غيمٌ أبَـــــــــــــــــلُّ

واهتم ابن عبد الغفور في حضِّه للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، بتصوير الحالة التي يتوقعها، بل ويريدها منه لاسترجاع سَرَقُسْطة، متمثلا صورة الظمآن الملتهب الحشى، الذي لا يُطفِئ نار عطشه إلا وروده إلى أعذب مورد وهو سَرَقُسْطة، حيث قال[٥]:

فانهدْ لها لهفانَ مضطرمَ الحشــــــــــى تُبردهُ من نارٍ بأعذبِ مـــــــــــوردِ

واستخدم ابن سارة الإشبيلي الكناية، إذ أشار إلى الزُنَّار الذي يلبسه عادة رجال الدين النصراني، ولم يصرح بذكرهم، بل لمح عنهم وعن دورهم في تأجيج المعارك ضد المسلمين، ومشاركتهم فعليا في بعضها، وذلك في سياق حضِّه للأمير أبي بكر إبراهيم بن تيفْلويت على الجهاد بعد تسلمه لإمارة غرناطة حيث قال[٦]:

واحللْ عُرى تلكَ الجماجمِ إنَّهـــــــــا عَقَدَتْ على نقضِ الهدى زُنَّارهـــــــــا

---

1) ينظر: عصفور، جابر أحمد الصورة في التراث النقدي والبلاغي، ص٣٦٨، وينظر – أيضا: صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص١١٨.

2) للمزيد حول صور القصيدة وتحليلها ينظر: جرار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص١٥٩، وما بعدها.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢/٤٧٦.

6) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٥.

وفضل الأعمى التُّطيلي استخدام اللون الأسود؛ ليرمز به للعدو الإسباني الذي حاز طُلَيْطلَة، مؤكدا للأمير المرابطي أمير المسلمين علي بن يوسف بأن سبيل الجهاد هو الذي سيعيدها[١]:

فإنْ تُحرزْ طُلَيْطلَة اللَّيالـــــــــــــــي فَسيفُكَ يا عَليٌّ بها ضَمِيــــــــــــــنُ

واستهدف التُّطيلي في قصيدة أخرى إقناع المتلقين، وممدوحه الأمير أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين بفكرته وهي الجهاد، فلمَّح ورمز لبعض هزائم المرابطين بشيء حسي وهو الدَّين حيث قال[٢]:

أبا بكرٍ اقتضِ تِلكَ الدُّيُـــــــــــونَ[٣] فقدْ أيأسَ الدَّهرُ مِمَّا مَطَــــــــــــلْ

١٠٩

تَوخَّ العَلا في ظِلالِ الرِّمــــــــــــاحِ فقدْ أعوزَتْ في ظِلالِ الكِلَــــــــــلْ

وقد لجأ بعض شعراء الحضِّ على الجهاد إلى التشخيص، لتمثيل المعاني للمتلقين، لتنبض بالحياة أمامهم[٤]، فالاستعارة ضرورية لرسم الصورة الشعرية، ولبعث الحياة في الجماد[٥]، ومن ذلك قول الأعمى التُّطيلي مخاطبا الأمير المرابطـــــــــــي سير بن أبي بكر (ت ٥٠٧هـ) [٦]:

شَافهِ طُلَيْطلَةَ ماذا تُريدُ بِهَـــــــــــا بالعطفِ إنْ أشكلَ التَّوكيدُ والبَــــدَلُ

أمطرتَ ما حَوْلَها الموتَ الزُّؤَامَ فَهَــلْ مِنْ عَودةٍ أيُّهذا العَارضُ الهَطِــــــلُ

لقد شخَّص من (طُلَيْطلَة) امرأة تحدَّث إليها الأمير المرابطي مشافهة؛ عندما اقترب من أسوارها محاصراً، كما صور قهر الأمير للإسبان، بالمطر الذي حمل الموت لهم، وحمل الخير للأندلسيين، وفي الأبيات السابقة حضّ للأمير على العودة ثانية لمحق العدو.

1) الأعمى التُّطيلي: ديوان الأعمى التُّطيلي، ص٢٠٥.
2) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١٣٤.
3) الوزن مكسور في هذا الشطر، كما ورد في الديوان.
4) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص١٨٠-١٨٤.
5) ينظر: الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد، عضوية الخيال في العمل الشعري، ص٣٢، ٢٦، ٤٣.
6) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١١٥.

ومن الملاحظ أن (طُلَيْطلة) لم تبرح بصيرة التُّطيلي، إذ شخَّصها في قصيدة أخرى، امرأة تستغيث بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وتطلب عونه، بعد أن رأت استعداده للجهاد حيث يقول التُّطيلي[١]:

وكَيْفَ رَأَتْ طُلَيْطلَةُ العَوالِـــــــــي   بِحَيْثُ تغِيثُ باسمِكَ أو تُعيـــــــــنُ

وقد تعددت مصادر الصورة الشعرية في شعر الحضّ على الجهاد وكان الواقع الجهادي المعاش من أبرزها، فقد لوَّن الجهاد حياة الأندلسيين بلون خاص أثر فيهم فكرا ووجدانا[٢].

ذلك الواقع بتأثيراته امتزج في الصورة الشعرية، وأعطاها قوة داخلية جاذبة للمتلقي[٣]، فالصورة الشعرية وسيلة لنقل التجربة الشعرية[٤]، ولملامسة الواقع بشقية الملموس والمنتظر.

ومن أهم أدوات الواقع الجهادي الأندلسي (الجيش)، فهو العنصر الرئيس المُحدِّد لنتيجة المعركة، لذا اهتم شعراء الحضِّ على الجهاد بتصويره، ومن ذلك قول أبي بكر بن العطار اليابسي مخاطبا المعتمد بن عباد، وقد استعد والمرابطين قبيل الزلاقة لملاقاة العدو الإسباني حيث قال[٥]:

فَالأرضُ تَقْلَقُ مِنْ جيشٍ قَفِلْتَ بـــــــهِ   والجَوُّ يَعثرُ فيه مِنْ قَناً وظُبَـــــــــى

جيشٌ إذا ما قَتامُ النَّقعِ جلَّلــــــــــهُ   كانتْ سيوفُكَ ناراً والعِدى حطبــــــا

لقد اهتزت الأرض لقوة جيش المرابطين القادم وكثافته، لكن سيوف الأندلسيين كانت ناراً تأكل العدو حطبا ينتهي إلى رماد لا قيمة له، ويتضح في هذه الصورة توق الأندلسيين إلى الغلبة وإلى الفعل الجهادي.

أما ابن خفاجة فقد نطقت الطبيعة بين يديه، وامتلكتْ إحساساً بشريا، فالأرض ترتجف فزعا من وطء جيش المرابطين، المستعد عدداً وعدة للقاء العدو القشتالي، وقد أقبل النصر فرحا بعد احتدام المعركة، لثقته بقوة المرابطين وحسن جهادهم، وينطق ابن خفاجة قائلاً[٦]:

---

1) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

2) ينظر: باشا، جمانة رجب، الشعر الأندلسي بين طريقة العرب ومذهب المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، ٢٠٠٣، ص٢٣٩.

3) ينظر: صالح، بشرى موسى، الصُّورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص٤٩.

4) ينظر: الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ٢٠٠١، ص٢٦١.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/٣٧٧.

6) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٠٨.

وَثارَ يَطلُعُ نَقعُ الجَيش مُعتكِـــــــراً   بحيثُ يَطلُعُ وجهُ الفَتح مُقتَبِـــــــلا

مِنْ عَسكرٍ رَجَفَتْ أرضُ العَدُوِّ بِـــــهِ   حتّى كأنَّ بها مِنْ وَطْئِهِ وَهَـــــــلا

وقد تكون الصُّورة الشعرية في شعر الحضِّ على الجهاد مستمدة من البيئة الأندلسية، ومناظرها المختلفة، بحاراً أو صخوراً أو أنهاراً أو غيرها، ومن ذلك تصوير ابن سارة الإشبيلي لدروع جيش المرابطين اللامعة ببحيرة زرقاء، تتغذى من غبار المعركة الكثيف الناتج عن حركة الخيول، ذلك النقع هو بحار متسعة تغذي تلك البحيرة، ويرسم ابن سارة الإشبيلي هذه اللوحة للأمير المرابطي ابن تيفْلويت إذ يخاطبه قائلاً[١]:

واقذفْ نُحورَ المشركينَ بِجحفـــــلٍ   يمحو معالمَ أرضِها ومغارِهـــــــا

لجبٍ تظنُّ السَّابغاتُ به أضـــــــاً   زُرْقاً ونقعُ السابحاتِ بِحارُهـــــــا

ولا يخفى على قارئ الأبيات السابقة سريان العاطفة الدينية في أوصالها، وقد استعان الشاعر ببعض المفردات والصور القرآنية، ذات الدلالة الحركية القوية من مثل (اقذف)[٢] و (يمحو)[٣] و (السابحات)[٤].

وهذا يدل على استيعاب الشاعر لصور القرآن وألفاظه – كما معظم أدباء عصره – نتيجة ثقافته الواسعة، وقدرته الفنية في اختيار ما يناسب التعبير الشعري.

وقد تحوّلت الطبيعة المحيطة بالأعمى التُّطيلي إلى ساحة حرب نجومها الحرب الزبون، خيولها عواصف، وسحبها تحمل الموت للأعداء، إذ قال التُّطيلي مخاطبا أمير المسلمين علي بن يوسف[٥]:

سماءُ عُلاً تلوحُ بها المعالــــــــي   نجوماً نَوءُها الحربُ الزَّبـــــــونُ

وقد هبتْ عِتاقُ الخيلِ فيهـــــــا   عواصفَ لا يتاحُ لها سكـــــــونُ

وانشأتِ الحتوفُ بهِ سَحابــــــــاً   فنقعٌ راكدٌ ودمٌ هتـــــــــونُ

إنها صورة تمور فيها الحركة الموحية الغنية بالدلالات، التي امتزج فيها الواقع الحربي مع البيئة الأندلسية، وقد استطاع – أيضا - ابن العطار اليابسي، أن يرسم صورة مضيئة جمع

---

1) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/ص٢٧٥.

2) قال تعالى: "بل نقذفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدفعه"، سورة الأنبياء، الآية: ٢١.

3) قال تعالى: "ويمحُ الله الباطلَ"، سورة الشورى، الآية: ٤٢.

4) قال تعالى: "والسابحاتِ سبحا فالسابقاتِ سبقا"، سورة النازعات، الآية: ٧٩.

5) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص٢٠٣.

فيها أكثر من لون لأكثر من حاسة وذلك؛ لتنبيه حواس المتلقين وإثارتهم للجهاد، فالصورة الموجهه للحواس أركز في الفهم وأعمق تأثيرا في النفس من غيرها[1].

ويرى ابن العطار اليابسي أن ظلم الأعداء وظلامهم الذي عانى منه معظم الأندلسيين لا يمحوه إلا السيف، سيف يجمع المتناقضين الماء واللهب، الموت والحياة، ففي موت العدو حياة للأندلسيين، وأكمل اليابسي رسم لوحته بتشبيه اهتزاز السيف، بجدول تموج ماؤه لهبوب ريح الصَّبا فوقه حيث قال مخاطبا المعتمد[2]:

واجْلُ الظَّلامَ بوقَّادِ الفِرِنْدِ كـــــــأنْ ... في صفحتَيهِ جَمَعْتَ الماءَ واللَّهَبَـــــــا

يَروقُ مُضطرباً ماءُ الصِّقالِ بـــــــهِ ... كأنَّهُ جدولٌ هبتْ عليه صَبَـــــــَـــا

إن سقوط سَرَقُسْطَة كان بمثابة سقوط صخرة من الهموم على صدر كل مسلم، لا يستطيع إزاحتها بقوة وسرعة البرق أو السيف إلا أمير المسلمين علي بن يوسف، هذا ما قرره ابن عبد الغفور في قوله[3]:

ما إنْ لها ولكشفِها مِنْ غُمــــــــــةٍ ... جثمتْ على أنفاسِ كلِّ مُوحِّـــــــــدِ

أحدٌ سِواكَ فحلّها بعزيمـــــــــــــةٍ ... كالسَّيفِ أو كالبارقِ المُتوقّـــــــــدِ

ولم تغب صورة المرأة عن الواقع الجهادي، فالليالي الغُرّ امرأة جميلة، تبتسم بشفاه لعس وأسنان ناصعه، كسيوف المجاهدين العائدين من المعركة التي اختضبت بدماء الأعداء، هذا ما يصوره أبو بكر بن العطار اليابسي للمعتمد بن عباد قبيل الزلاقة حيث يقول[4]:

ولا تَرُدَّ حَديدَ الهِندِ ذا وَضَـــــــحٍ ... حتى يُرى بنجيعِ الكفر مختضبـــــــا

تفتُر عنهُ اللَّيالي الغُرُّ عَنْ لَعَـــــــسٍ ... تَخالُ إفرندهُ مِنْ فوقهِ شنبــَـــــــا

إن العاطفة الدينية في صور الحضِّ على الجهاد تُشكل التيار الشعوري المتدفق داخل القصيدة، وقوتها نابعة من نَفْس الشاعر وطبيعته، ويزداد أثرها في المتلقين بزيادة عمقها[5].

والخيال وسيلة تلجأ إليها العاطفة لتعبر عن ذاتها[1] كما تساهم العاطفة في تماسك الروابط في الصورة، وتساهم في مدها بالحرارة لتحدث أثرها في المتلقين وتحرك هممهم للتغيير.

---

1) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص١٠٢.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/٣٧٧.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢/٤٧٦.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٤/م١/٣٧٧.

5) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص١٩٧.

فالخيال وسيلة ضرورية لإثارة العاطفة[٢] الدينية، ومن المعلوم أن الثقافة الدينية تعد إحدى الروافد الأساسية للصورة الشعرية الأندلسية في الحضّ على الجهاد، فشعراء الحضّ قد نهلوا من ثقافة عصرهم الدينية والعلمية – أيضا – وقد كان بعضهم فقهاء كالهَوْزني وابن عطية.

ناهيك عن تديُّن الأندلسيين في الأصل، نتيجة تجذر مفهوم الدفاع عن الدِّين الإسلامي في نفوسهم[٣]، نظرا لصراعهم المستمر مع مخالفيهم في الدِّين منذ نشأة الدولة العربية الإسلامية في الأندلس.

لذا لا نستغرب من الهَوْزني أن يعدَّ الشريعة الإسلامية مرادفة للوطن بل للوجود الأندلسي كله، فنجده قد استعار لسقوط مدينة "بَرْبَشْتَر" المادي بيد النورمانديين، سقوط بنيان الدِّين، في صورة بصرية مفعمة بالحركة، والدلالات في الكلمات: (هدّ) و (مخبر) و (شاهد).

وقد اختار الهَوْزني أفعالا مضعَّفة (هدّ، جدّ) ليضاعف من تأثير الأبيات على المتلقين، لعلّه يثير همّة كامنة أو يحرك عزيمة خائرة، وذلك في قوله بعد سقوط (بَرْبَشتر) حاضّا المعتضد على الجهاد[٤]:

فَقَدْ جَدَّ أمرٌ هَدَّ شَرْعَ مُحمَّـــــــــــدٍ   وَمَا مُخْبرٌ عَنْ حالةٍ مثلُ شاهِـــــــــــدِ

ومن المعروف أن الصـــــورة الشعرية تحمل اهتمامات الشاعر[٥] ووجهة نظره ومشاعره – أيضا- ، فهذا ابن سارة الإشبيلي يحضُّ الأمير المرابطي (ابن تيفْلويت) مندفعا بعاطفة دينية متدفقة لا مهادنة فيها، ولا استسلام، فاستعار من الليل ثوبه الحالك للدلالة على الكفر وجعل الهدى إنساناً امتدت يده لشق إزار ذلك الليل (الكفر)، حيث يقول ابن سارة[٦]:

لا تـــرضَ منهم بالنُّفوسِ تحوزُهَـــــــا   سمرُ القَنا حتَّى تحوزَ ديارَهـــــــــــا

وترى بها عَيناكَ ليلَ ضَلالِهــــــــــا   ويدُ الهُدى فيها تشقُّ زرارَهـــــــــــا

وقد كانت الإشارات التاريخية لبعض الأحداث المؤثرة في الأندلس، مصدرا آخر من مصادر الصورة الشعرية في شعر الحضِّ على الجهاد، ومن ذلك تصوير ابن خفاجة لضخامة

---

1) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٣.

2) ينظر: الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد، عضوية الخيال في العمل الشعري، ص١٥.

3) ينظر: الداية، محمد رضوان، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، ص ٢٠-٢٢.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٨.

5) ينظر: اليافي، نعيم، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ت، ص٤٥.

6) الأصفهاني، خريدة القصرة، ق٤/ج٢/ص ٢٧٥، ٢٧٦.

استجابة المرابطين لنجدة الأندلسيين بها وسرعتهم، فهم يتتابعون لنجدة من استنجد بهم تتابع أمواج البحر الضخمة في صورة حركية تصاعدية، وقد اتكأ على حاسة السمع في دلالات الألفاظ: (الصريخ، أمواج بحر، زخَّار)، حيث يقول[١]:

يتتابعونَ إلى الصَّريخِ كأنَّهـــــــــــمْ   أمواجُ بحرٍ قَدْ طَمى زَخَّـــــــــــارِ

وقد استمر حضّ الشعراء للمرابطين على الجهاد قبل سقوط المدن أو القلاع أو الجزر وبعدها أيضاً، فقد كان المرابطون أمل النجاة وغوث الغريق بالنسبة للأندلسيين، بل هم القادرون على هزيمة المصائب التي تجسمت بشرا يكيد للأندلس، إذ يقول ابن عطية على لسان أهل (مَيُورقة) بعد سقوطها حاضّا ومستنجدا بأمير المسلمين علي بن يوسف[٢]:

هو الغَوثُ فليعطفْ علينا بنظَـــــــرةٍ   مِنْ الحَزْمِ تَحثُو في وجُوهِ النَّوائـــــبِ

واستطاع ابن سارة الإشبيلي أن يرسم صورة بديعة لشباب المرابطين المفعمين بحب الجهاد، ونصرة الدِّين الإسلامي مستخدما الألوان: (الأبيض، والأسود، والأحمر)، دافعا بالحركة (خضبوا تسري)، وبالعاطفة (تفاؤلا)، فظهرت صورة فتية المرابطين من المجاهدين أقماراً في ليلة شديدة السواد، وقد خضبوا سواعدهم تفاؤلا بأن تتلون سيوفهم بدماء الأعداء[٣]:

في فتيةٍ تَسْري إلى نَصرِ الهُـــــــدى   فَيظنُّهم سَدَفُ الدُّجى أقمارَهـــــــــا

خَضَبوا السَّواعدَ بالرِّقاقِ تفـــــــاؤلاً   أنْ سوفَ تخضبُ بالنَّجيعِ شِفارَهـــــا

ومن الغريب بعد ذلك كله، أن نجد من يرى في صور الشعر الحماسي الأندلسي عموما، مجرد بريق زائل، أو وميض خادع، أو تكلُّف واصطناع.

- **التأثر بالتراث:**

تباينت آراء الباحثين حول علاقة الأندلسيين بأدب المشرق، فرأى بعضهم أنها علاقة تقليد وتبعية[٤]، وظن بعضهم بالأندلسيين عقدة نقص أحسوا بها أمام أدب المشرق[٥]، ولا يمكن أن ننكر أن الأدباء الأندلسيين قد ترسموا خطوات المشارقة تقليدا وتبعية، وتمثلوا الثقافة

---

1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٣٨.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٣/٦٦٨.

3) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٢.

4) ينظر: عبد العظيم، علي، ديوان ابن زيدون ورسائله، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت. ص١٨، وينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٩، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠، ص ٣١٨، ٣٢٥، وينظر: عيد، يوسف، الشعر الأندلسي وصدى النكبات، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٥١.

5) ينظر: بهنام، هدى شوكت، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي، ص٣٣٣.

المشرقية أعمق تمثيل[١]، لكن الشخصية الأندلسية بدأت تتفتق عن تميز وإبداع، لا سيما في عصر الطوائف فقد ظهرت "الأنا" الأندلسية، ومال أدباؤها للاستقلال والتميز[٢].

إنّ علاقة الأندلسيين بالمشرق علاقة الجزء بالكل، جزء بعيد منقطع عن الكل، وكلما ازداد صراعهم مع عدوهم المخالف لهم في الدِّين واللغة والثقافة، ازداد شعورهم بالغربة وبالحاجة إلى الدفقات المشرقية[٣] التي تغذي القلب الأندلسي بالحيوية، وبقوة الصمود لمواجهة عدو متربص، يرمي لمحو الوجود الأندلسي في الجزيرة المنقطعة عن الجماعة.

ولقد تأثر الأندلسيون بالتراث العربي، واتخذ هذا التأثر عدة صور منها: تضمين[٤] أشعارهم لألفاظ منـــــه أو معانٍ أو صور أو حتى توظيف شطر بيت أو بيت أو عدة أشطر أو قافية – أحياناً – في خدمة نصوصهم المعبرة، عن أحوالهم المختلفة، ومنها الحضّ على الجهاد.

وقد كان أبو حفص الهَوْزني أحد شعراء الحضّ على الجهاد الذين ظهر في إنتاجهم الكثير من صور التضمين؛ نظراً لثقافته الواسعة والمتنوعة، إضافة إلى نخوة فيه، وحمية للدِّين والوطن وذات مبدعة استطاعت توظيف ثقافتها، وعلوم عصرها في خدمة أهدافها الأدبية، لإيقاظ الهمم وشحذها، وربط مواطنيه بتراثهم الثقافي ومد الجسور إليه.

ومن ذلك قول أبي حفص الهَوْزني مستنهضا الأندلسيين كافة على الجهاد، واصفا وقع خبر سقوط (بَرْبَشْتر) على أسماع الأندلسيين[٥]:

"خبرٌ ما جاءنا مصمئـــــــــــــــلٌ   جلَّ حتَّى دقَّ فيه الأجَـــــــــــــــلُّ"

وهذا البيت يذكرنا بقول تأبط شراً في رثاء ابن اخته الشنفرى – وقيل إنه للشنفرى في رثاء خاله تأبط شراً – يصف نبأ مقتله[٦]:

خبرٌ ما نابنا مصمئـــــــــــــــلٌ   جلَّ حتَّى دقَّ فيه الأجَـــــــــــــــلُّ

---

1) ينظر: ضيف، شوقي، شخصية الأندلس في تاريخ الشعر العربي، مجلة كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ع١، ١٩٦٩، ص١٣، ١٤، ٣١، ينظر: بهجت، منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ص٣٩.

2) ينظر: سلامة، علي محمد، الأدب العربي في الأندلس وتطور موضوعاته وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت. ص ٣٦٤، ٣٦٥، ينظر: أبو زيد، أحمد، حضّارة الأندلس، عالم الفكر، م١٢، ع١، ص٨، وينظر: كنون، عبد الله، الشعر الأندلسي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، م٣١، ١ كانون الثاني، ١٩٥٦، ج٣٩٦/١.

3) ينظر: عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٤، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ٤٧٥.

4) للمزيد عن التضمين وعلاقته بالتناص ينظر: الرباعي، ربى عبد القادر، البلاغة العربية وقضايا النقد المعاصر، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص١٠٤.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٩٠/١.

6) تأبط شرا، ديوان تأبط شراً وأخباره، ص ٢٤٨، ووردت كذلك: المرزوقي، أبو علي، شرح ديوان الحماسة، ج٥٨٧/٢.

وقد استبدل الهَوْزني لفظة (نابنا) بـــ (جاءنا) ربما سهوا وربما عمدا، فإن كان عامدا ربما قصد أن الخبر – عموماً – يصل للأسماع أولا ثم يتألم له وبه.

إن تأثر الهَوْزني بقصيدة تأبط شراً، يثير الدهشة؛ فتأثره لم يقف عند حد تنصيصه لبيت فيها فحسب، بل تعدّى ذلك إلى تأثره بلغتها، وبعض صورها، وموسيقاها، وقافيتها، ومن ذلك تأثره بصورة (السِمْع) [١] التي وظفها لترمز للعدو المتربص والمستعد لقتال من تفاجأ به، إذ أتى من حيث لا يتوقع قدومه، حيث يقول الهَوْزني[٢]:

بَيِّتِ الشَّرَّ فلا يُستـــــــــــــــزلُّ   طَرَقَ النُّوَّامَ سِمْـــــــــــــــــعٌ أزلُّ

ويمدح تأبط شراً الشنفرى قائلا[٣]:

مُسْبِلٌ في الحيِّ أحوى رِفَـــــــــــلُّ   وإذا يغزو فَسِمْـــــــــــــــعٌ أزَلُّ

ويختار أبو حفص الهَوْزني من القصيدة عينها ألفاظاً يصوغها بطريقته لخدمة أهدافه لحضِّ المسلمين على الجهاد، وتحريك هممهم إليه، وتشويق نفوسهم للارتواء من معينه، ويحذرهم كذلك من الاستخفاف بالعدو أو التقليل من شأنه، إذ يقول محذراً من امتداد بلائه واتصال وقائعه[٤]:

صرّح الشرُّ فلا يستقـــــــــــــلُّ   إنْ نَهلْتم جاءكمْ بعدُ عَـــــــــــلُّ

ويقول تأبط شراً مفتخراً بابن أخته الذي كان يوالي الوقعات ويمتد البلاء منه في الغارات[٥]:

ينهلُ الصَّعْدَةَ حتَّى إذا مَــــــــــا   نهلتْ كانَ لها منهُ عَـــــــــــلُّ

ولا أظن أن تأثر أبي حفص الهَوْزني بقصيدة تأبط شراً كان مصادفة أو سهواً، بل إنه قصد استحضّار تلك القصيدة بدليل بنائه لقصيدته على بحرها العروضي وهو المديد الذي يقال إنــــه من الأنماط الصعبة؛ لأن فيه صلابة ووحشيـــة وعنفاً[٦]، وتأثر الهَوْزني بقافيتها – أيضاً – وهي اللام المشددة المضمومة، وزاد بأن جعل مطلعه مصرّعاً بها، وكأنه أراد أن يبالغ ويشدد على الأندلسيين بضرورة التحرك، وضم الصفوف؛ لتدارك الوطن (الأندلس) قبل انهياره

1) السِّمع الأزلّ: هو ولد الذئب من الضبع، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سمع.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

3) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً وأخباره، ص٢٤٧.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

5) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص٥٩٣.

6) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠، ج١/٧٥.

وتصدعه، والبحر المديد يعطي بعض الراحة للنفوس الثائرة الحزينة[١] كنفوس الصعاليك، ونَفْس المتمرد الأندلسي (الهَوْزني).

ويبدو أن استحضّار الهَوْزني لصورة الصعاليك كان مقصوداً من خلال اختياره لقصيدة أحدهم، والصعاليك – كما هو معروف – اتخذوا رؤية خاصة بهم في الحياة والكون، وانفردوا عن قومهم، وأحسوا بالاغتراب والتمرد، وكأن الهَوْزني يرى نفسه خارج سرب المجتمع الأندلسي المنهك بانقساماته ومضاعفات تفككه.

لقد وجد الهَوْزني نفسه وحيداً غريبا عن مجتمعه، وكأنه صعلوك أندلسي، ثائر، رافض غاضب لحال المجتمع الأندلسي وأوضاعه، وهو يرى أبناء قومه سادرين في غيهم، وانقساماتهم لذا جاء تحذيره لهم قويا شديداً، واختار لهذا قصيدة تأبط شراً، وربما أراد أن يبث روح التصميم والإرادة التي اتقدّت في روح تأبط شراً ليبثها في الأندلسيين[٢].

فجاءت ألفاظاً "وعرة وغريبة لا تمثل البيئة الأندلسية"[٣] اللينة بل تنسجم مع الخشونة التي يفتقدها في أهل الأندلس لمواجهة أعدائهم وهو في الوقت نفسه يرثي ويندب حالة الضعف، والانقسام، والجبن التي يعيشونها، آملا أن يُحدِّث النص في المتلقين أثراً وتأثيراً انفعالياً يتناسب عكسيا مع فعل السقوط الذي يراه في مجتمعه.

ولم يكتفِ الهَوْزني بذلك، بل ضمَّن بيتين لشاعر جاهلي آخر أثناء مدحه للمعتضد في سياق حضِّه له على الجهاد فقال[٤]:

"وما يكُ من خير أتوهُ فإنَّمــــــــــا تَوارَثَهُ آباءُ أبائهم قبــــــــــــلُ"

"وهل يُنْبتُ الخطيَّ إلا وشيجُـــــــــهُ وتُغرس إلا في منابتها النخــــــــلُ"

وهو يتكئ على قول زهير بن أبي سلمى مادحاً[٥]:

فما كان من خير أتوه فإنمــــــــــا توارثه آباء آبائهم قبــــــــــلُ

وهل ينبتُ الخطيَّ إلا وشيجُــــــــهُ وتغرسُ إلا في منابتها النخــــــلُ

ويلاحظ أن الهَوْزني قد استبدل (فما كان) بـــ (وما يك) وكأن قد ترك الماضي لزهير (فما كان)، وأمسك هو بحاضر مجتمعه لذا جاء الفعل المضارع (وما يك).

---

1) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١/٧٥.

2) جرار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص ١٦٢.

3) جرار، صلاح، قراءات في الشعر الأندلسي، ص ١٦٢.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٨.

5) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص١١٥.

إن عمق ثقافة الهَوْزني اللغوية والدينية وتمكُّنه منهما، جعلاه قادراً على وضع النص المُضمَّن في مكانه المناسب مع تغيير كلمة أو كلمتين فيه، ربما إمعانا منه في تأكيد شخصيته الأندلسية بما يناسب أوضاعها.

لكن لمَ عاد بنا الهَوْزني إلى شاعرين من العصر الجاهلي بالذات؟ أ لأنه أديب فقيه واسع الثقافة وحسب، أم أنه ظن مجتمعه يعيش في جاهلية القرن الخامس الهجري؟ أم أنه الشوق والحنين لمنابع العرب الأولى، واستحضّاراً لقوة العرب وبلاغتهم المؤثرة التي تفجر فعلا وتغييرا على الأرض؟! وربما أراد أن يملأ الأفق الأندلسي بانفعال مؤثر خشن الألفاظ في دنيا الأندلس اللينة؟ وربمااعتمل كل ما ذكرناه في خاطره قبل بنائه لأبيات قصيدته أو أثناء ذلك.

ولم يقف الهَوْزني على حدود الشعر الجاهلي في تأثره، بل تجاوز ذلك إلى العصر الأموي، وذلك بتأثره بأسلوب مخاطبة ليلى الأخيلية[١] للحجاج بن يوسف الثقفي وقد وقفت مادحة له حيث قالت[٢]:

أحجاجُ لا تُعطِ العُصاةَ مُناهُمُ ... فلا وإلهي لا تصيبُ مُناها

والهَوْزني يخاطب المعتضد حاضاً ومادحاً[٣]:

أعبَّادُ، كُلاً قَدْ عَلوتَ فَضائِلاً ... تَقاصَرَ عَنْها كُلُّ أروعَ مَاجِدِ

وقد تكررت مناداته للمعتضد باسمه مرتين في موضعين آخرين[٤] في الرسالة الهَوْزنية ذاتها، وأظن أن أبا حفص الهَوْزني قد استحضّر موقف الأديب المثقف، المخلص لأمته وبلاده وقد وقف في وجه سلطة مستبدة، متسلطة، واضطر لمدحها وقد تمثلت تلك السلطة بشخصيتي الحجاج والمعتضد.

وممن تأثر بشعراء العصور العربية الأولى – أيضا – الأعمى التُّطيلي، الذي أعجبته صورة الشربة الثانية (علّ)، بعد الأولى أو الشرب بعد الشرب تباعا، فيما يرمز لتكرار

---

1) ينظر أخبار ليلى الأخيلية في: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ج١/١٧٩، ينظر: الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم، (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١، ج٧/٦٦.

2) ينظر: الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم، كتاب الفتوح، ج٧/٦٦.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٧.

4) المصدر نفسه، ق٢/م١/٨٥، ٨٦.

اعتداءات العدو على الأندلسيين مراراً وتكراراً حيث يقول التُّطيلي مادحاً وحاضّاً الأمير المرابطي أبا بكر بن علي بن يوسف لإنقاذ الأندلسيين بعد أن ذاقوا الويل والظلم من العدو[١]:

تَداركْ أبا بكرٍ المُسلميـــــــــنَ فَقَدْ نَهلَ الضَّيمُ مِنْهمْ وَعَـــــــلْ

ويبدو أن التُّطيلي قد أعجبته هذه الصورة كثيرا؛ بدليل تكرارها في القصيدة ذاتها حيث قال واصفاً الأمير المرابطي نفسه[٢]:

وتنهلُ أسيافُهُ في العُـــــــداةِ فإنْ ظمئتْ فعليهِ العَلَـــــــل

وهو بذلك يبدو متأثراً ببيت تأبط شراً[٣] السالف الذكر، وربما وصل لأسماع التُّطيلي – أيضاً – قول أبي تمام في مدح أحد القضاة[٤]:

أقرَّ عمودَ الدِّين في مُستقـــــــرهِ وقد نهلتْ منهُ الليالي وعلَّـــــــتِ

واستطاع ابن خفاجة أن يستلهم صورة ارتجاف أرض العدو فزعاً من جيش المسلمين من قول الصحابي عباس بن مرداس[٥] – رضي الله عنه – في جيش المسلمين قبل غزوة (حُنين) إذ قال[٦]:

تكادُ ترجفُ منهُ الأرضُ رهبتـــــه وفي مُقَدَّمه أوسٌ وعثمـــــــانُ[٧]

ويصف ابن خفاجة جيش المرابطين الذي استرجع بلنسية من يد العدو فيقول[٨]:

مِنْ عسكرٍ رَجَفَتْ أرضُ العدوِّ بـــــهِ حتَّى كأنَّ بها من وَطْئِه وَهَـــــــلا

هذا لا يعني أن الشعراء الأندلسيين الحاضّين على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين وقف تأثرهم على الشعر المشرقي في عصوره الأولى، بل تجاوزوا ذلك إلى التأثر بالشعراء العباسيين لا سيما بأبي تمام والمتنبي، ربما يعود ذلك لتشابه ظروف الصراع الديني بين المسلمين والنصارى في المشرق والمغرب، لذا حاول الشعراء الأندلسيون تمثّل روميات أبي

1) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١٣٥.

2) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١٣٤.

3) تأبط شراً، ديوان تأبط شرا وأخباره، ص٢٥٠.

4) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١، م١/١٧٤، رقم البيت ٢١.

5) لترجمة وأخبار الصحابي عباس بن مرداس، ينظر: عسيلان، عبد الله بن عبد الرحيم، العباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر، ط١، دار المريخ، الرياض، ١٩٧٨، مقدمة الكتاب.

6) ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها، مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، وضع فهارسها معروف زريق، ط١، دار الخير، بيروت، ١٩٩٦، ج٣/٦٦.

7) أوس وعثمان، قبيلا مُزينة، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٦٦.

8) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٠٨.

تمام والمتنبي، في أشعارهم الجهادية مع الإسبان، فيما يمكن تسميته "بالروميات الأندلسية"، لا سيما في عصر المرابطين وعلى يد كل من ابن خفاجة، وأبي عبد الله بن أبي الخِصال، وغيرهما كما سنرى لاحقاً؛ فقد نهل – مثلاً- أبو حفص الهَوْزني من معين أبي تمام عند تحذيره للأندلسيين من اللامبالاة ومن النفاق الذي مارسوه مع بعضهم ومع حكامهم، فقد قال أبو حفص[١]:

أُعيذكمُ أنْ تُدهِنوا فيمسّكـــــــمْ عِقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمـــــودُ

ومن قبله قال أبو تمام[٢]:

وثمودُ لو لم يُدْهِنوا في ربِّهـــــم لم تَدْمَ ناقتُه بسيفِ قُـــــدَارِ

ويبدع ابن خفاجة في وصفه لمعترك بجهة قرطبة أيام المرابطين، فيرسم صورة لسيف مضيء قادر على محو ظلام العدو وظلمه فيقول[٣]:

فانجابَ ليلُ الخطبِ عن أُفق الهُـــدى وتطلَّعَ الفتحُ المبينُ صَبَاحَـــا

وكأنه نظر إلى قول أبي تمام مادحاً[٤]:

أضاءَ سيفكَ لمّا اجتُثَّ أصلُهُـــمُ ما كانَ من جانبيْ تلكَ البلادِ دَجَـــا

وتجاوز ابن سارة الإشبيلي في حضِّه للأمير أبي بكر بن إبراهيم (ابن تيفُلْويت)، حدود التأثر إلى حدود الإبداع، إذ أتى بمعنى جديد، بعيد عن التكلُّف الذي نلمسه في البيت المتأثر به فقد نادى ابن سارة الأمير المرابطي قائلا[٥]:

أوَلِيَّ أمةِ أحمدٍ، أبهجتهـــا مُذْ صرتَ من جَورِ الحوادثِ جَارهـــا

وكأنه سمع بقول أبي تمام[٦]:

أوَلِيَّ أمةِ أحمدٍ ما أحمَـــدٌ بمُضيعٍ ما أوليتَ أمّة أحمـــدِ

ويرسم ابن خفاجة صورة شعرية لجيش المرابطين الكثيف وقد سار ليلاً، وهو مجهز بالعتاد، وقد لمعت أسنته الحادة ببياض أضاء حلكة الليل حيث يقول[٧]:

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٣.

2) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/٣٧٥، رقم البيت ٤٣.

3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٥٣.

4) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/١٩٠، رقم البيت ٨.

5) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٤.

6) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/٢٨٣، رقم البيت ١٩.

7) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٥٢.

مَلأوا ضُلُوعَ اللَّيلِ زُرْقَ أسنَّـــــــــةٍ   سَالتْ على أعطَافِهِ أوْ ضَاحَـــــــــا

وهذه الصورة قريبة الشبه بقول المتنبي[١]:

يشقُّ بلادَ الرُّومِ والنقعُ أبلـــــــــقٌ   بأسيافهِ والجوُّ بالنقع أدهـــــــــمُ

وما دمنا في جوِّ الروميات لا سيما في عصر المرابطين، فالمعارك بينهم وبين الإسبان كانت على أشدها، وقد اتقدت شعلة الجهاد، ووقف أبو عبد الله بن أبي الخِصال مادحاً وحاضّاً الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف، في نهج واحد من الصيغة الفعلية، فقد أمره بأحد عشر أمراً في بيت واحد حيث يقول[٢]:

فعُدْ وقُدْ واعتمد وأحمد وسُدْ وأبـــــدْ   وقُلْ وصُلْ واستطلِ واستولِ وانتهـــك

فيما يبدو متأثراً بقول المتنبي[٣]:

أقِلْ أنِلْ اقطعْ احمِلْ علِّ سَلِّ أعِـــــدْ   زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أدْنِ سُرَّ صِـــــلِ

وقد استحضّر بعض الشعراء الأندلسيين مواقف مرَّ بها شعراء مشارقة، ولامست الواقع الأندلسي، ونطقت بمشابهته، ومن ذلك معارضة أبي عبد الله بن أبي الخِصال لقصيدة أبي تمام في فتح عمورية بمخمسة[٤]، يحمس فيها الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف بن تاشفين على جهاد العدو، وفيها نزع ابن أبي الخِصال استحضّار موقف أبي تمام أمام الخليفة العباسي أبي إسحاق المعتصم واتباعه، وربطه بموقفه أمام الأمير المرابطي أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بعد فتح "قَلْمْرِيَّة"، لا سيما وأن كليهما يحمل الكنية نفسها، كما أن كليهما فتح قلعة حصينة، ونصر الإسلام على أعدائه، فكأنّ أبا عبد الله بن أبي الخِصال قد استحضّر الشخوص، والأبطال والمكان وطبيعة الصراع الديني، استحضّر ذلك كله من التراث قبل نظمه لمخمسته، فقد وقف أبو تمام بعد فتح عمورية مادحاً[٥]:

لم يغزُ قوماً ولم ينهدْ إلى بلـــــــــدٍ   إلا تقدَّمهُ جيشٌ من الرُّعـــــــــبِ

---

1) البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠، ج٤/٢١١.

2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢/٣٩٤.

3) البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، ج٣/٢٠٩، وللمتنبي أبيات مشابهة في ج٣/٢١٢، ٢١٣.

4) المقصود بالمخمسة: "أن يبني الشاعر قصيدته على روي قصيدة لغيره، بحيث يكون الشطران الأخيران من كل مخمس في قصيدته مضمنين من تلك القصيدة ويحتفظ لنفسه بالثلاثة الشطور الأولى"، بكار، يوسف، في العروض والقافية، ط٢، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠، ص١٨٨.

5) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/٤٢، رقم البيت ٣٩.

ويخاطب أبو عبد الله بن أبي الخِصال الأمير إبراهيم قائلاً[١]:

فاصمدْ إليها وثِقْ بالواحدِ الصَّمـــــدِ لا تَخْشَ مَطْلاً وناجِزْها يداً بيَـــــدِ

فما تُصاولُ أُسد الغابِ بالنَّقَـــــدِ[٢] وانهدْ[٣] فجيشُكَ لم ينهدْ إلى بلـــــدِ

إلا تقدّمهُ جيشٌ من الرُّعبِ

أن أبا عبد الله بن أبي الخِصال قد اطلع على قصيدة فتح عمورية قبل أن ينظم مخمسته؛ فقد تعمد وقصد إلى تضمين بعض أبياتها في مخمسته، لكنه في الوقت نفسه لم يُلزم نفسه بتضمين جميع مخمسته أبياتاً منها، فنجد كثيراً من أشطر مخمسته خالية من ذلك التأثر، ربما أراد أن تظهر العبقرية الأندلسية بصبغتها الخاصة دون أن يترك تعلقه بالمشرق، لا سيما وأن الأندلسيين يعدون المعارضة الأدبية محكاً للجودة ووسيلة للتفوق[٤].

ولنتابع النظر في مخمسة ابن أبي الخِصال وهو يقول محمّسا الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف للجهاد قائلاً[٥]:

خاصِمْ بدعوتِه المنصورةِ الحُجَـــــج وكُنْ مِنَ النَّصرِ والعُقْبى على ثَلَـــجِ[٦]

وافْرجْ بها كُرَبَ الإسلامِ تنفـــــرج واقرعْ بها كلَّ بابٍ مُبهمٍ تَلِـــــجِ

فنعمَ مفتاحُ بابِ المعقلِ الأشِبِ[٧]

ويقابله قول أبي تمام[٨]:

من بعدِ ما أشبُوها واثقين بِهَـــــا واللهُ فتَّاحُ باب المعقلِ الأشِـــــبِ

وحين يقول ابن أبي الخِصال من المخمسة ذاتها[٩]:

---

1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٤٣.

2) النقد، جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، وقيل غنم صغار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نقد.

3) الهد: صمد وشرع في قتاله، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نهد.

4) عبد القادر، قرش، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين، دكتوراه الدولة، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، ٩٢/٩٣، ص٦٥.

5) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٤٥.

6) ثلج: الفرح وانشراح الصدر، ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة ثلج.

7) أشب: محكم الحماية، ينظر: نفسه، مادة أشب.

8) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/٤٣، رقم البيت، ٤٢.

9) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٤٨.

وانهضْ نهوضَ أبيِّ النَّفسِ مُعتـــــــزمٍ واسلكْ سبيلَ أبي إسحاقَ مُعتصـــــــمِ

١٢٤

وخُذْ بثأرك في البيضاءِ واحتكـــــــــم يا غيرةَ اللهِ قد عاينتِ فانتقمـــــــــــي

بغزوِ مُحتسبٍ لا غزوِ مُكتسبِ

يضمن الشطر الثاني من بيت أبي تمام الذي يقول فيه[1]:

هيهاتَ! زُعزعتِ الأرضُ الوقورُ بـــهِ عن غزوِ محتسبٍ لا غزوِ مكتســـــبِ

لقد اختار شعراء الأندلس الحاضّون على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين من الأحداث التاريخية الإسلامية والشخوص التراثية ذوات الأثر في وجدان المسلمين.

فمن الأحداث فتح عمورية، وحروب الردَّة، ومن الشخوص التي لها أثر في صراع الإسلام مع مخالفيه في العقيدة، المعتصم بالله الخليفة العباسي، والصحابي خالد بن الوليد – رضي الله عنه -، والصحابي حنش بن عبد الله الصنعاني[2] – رضي الله عنه – الذي يقال إنه دفن في (سَرَقُسْطة)[3].

ومن الملاحظ أن تلك الشخصيات جميعها قد أنهت معاركها لمصلحة الإسلام، وامتازت بنخوتها، وشجاعتها، وحبها للجهاد، وسرعة استجابتها لندائه؛ لذا ذكر أبو عبد الله بن أبي الخِصال في مخمسته اسم الصحابي حنش بن عبد الله، فهو يعلم التزام المرابطين بالدِّين وحبهم للنبي – عليه الصلاة والسلام – وصحبه؛ لذا خاطب الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف مستنهضاً إياه حماية قبر الصحابي بسَرَقُسْطة والدفاع عنه وعنها حيث يقول[4]:

وارمِ العدوَّ بسهمٍ منكَ لم يطـــــــشِ وانعشْ بحزمِكَ ذاك الثَّغرَ يَنْتَعـــــشِ

وارغبْ بتابع أصحاب الهُدى حَنَـــشِ عَنْ كُلِّ رِجْسٍ لحرِّ الجمرِ مُفتـــــرشِ

وأربأ بأعظُمِهِ عَنْ ذلكَ اللَّهبِ

ويشجع أبو حفص الهَوْزني الأندلسيين على الحزم، والتعاضد، والوحدة لقهر الكفار، ويذكّرهم بحزم خالد بن الوليد والتزامه بنصرة الإسلام، وكأنه يضع الأنموذج في تقديم الدِّين

---

1) التبريزي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، م١/٤٦، رقم البيت٥٢.

2) هو التابعي المجاهد حنش بن عبد الله الصنعاني، دخل الأندلس مجاهداً وبنى مسجد سَرَقُسْطة ووضع محرابه، وفيها كانت وفاته سنة ١٠٠هـ، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٧.

3) ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٧.

4) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٤٨.

على الدُّنيا؛ ومكاسبها لذا قدّم نموذج الصحابي خالد بن الوليد للمعتضد ليحذو حذوه فينصر المسلمين في (بَرْبَشْتر) وغيرها، فيقول الهَوْزني[1]:

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٩.

وَنصرٌ لِمنْ واليتَ يُردِي عَـــــــدوّهُ ردى أهلِ جَوٍ[١] في وقيعة خالـــــــــد

وقد مال بعض شعراء الحضِّ على الجهاد لاستخدام الأمثال العربية في أشعارهم، فالأمثال هي إحدى خيوط النسيج الثقافي الأندلسي العربي والمسلم، وبها يزداد اتصالهم وتواصلهم مع المشرق ومع أنفسهم، وقد وظفها الشعراء الأندلسيون لتأكيد أفكارهم؛ ولإقناع المتلقين بتلك الأفكار، فابن خفاجة – مثلاً – يرى أن السيف وحده هو القادر على ردّ لوم اللائمين بعد فشل استرجاع بلنسية، فيقول مشجعاً قادة المرابطين على محاولة استرجاعها[٢]:

تَظلُّ تَدرأُ بالإسلامِ عَنْ دمِهــــــــا وهبَّةُ السَّيفِ فيها تَسْبِقُ العَـــــــــذَلا

ففي عجز البيت تحوير لمثل من أمثال العرب المشهورة وهو: "سبقَ السيفُ العَذَلَ"[٣]، ويقال لعدم فائدة اللوم على فعل بعد حدوثه.

واتكأ التُّطيلي على المثل السابق عينه في مدحه للأمير المرابطي أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، إذ هبَّ يسابق العذل بالمشرفي حيث قال التُّطيلي[٤]:

هببتَ إليها مع المشرفـــــــــــــــيِّ وكنتَ أحقَّ بسبقِ العَـــــــــــــذَل

إن تكرار استخدام هذا المثل، قد يدل على إحساس الشعراء بتفاقم الأمور في الأندلس لدرجة لا ينفع فيها ولا بعدها أي لوم، وأن الاعتماد على الفعل لا القول.

ولم يتوان الشعراء الأندلسيون عن توظيف بعض المصطلحات النحوية في سياق الحضِّ على الجهاد، فهذا الأعمى التُّطيلي يحضُّ الأمير المرابطي أبا يحيى سير بن أبي بكر على حصار طُلَيْطِلَة ثانية بعد أن فشلت محاولته الأولى، فإن لم يستطع تأكيد فتحها أو إبداله بفتح آخر فليعطف عليها ثانية، عطفا بمعنى الكرّ وبمعنى الشفقة – أيضا – عليها من بقائها تحت حكم الإسبان، فقد حضَّ الأمير قائلا[٥]:

شَافِهْ طُلَيْطِلَةَ ماذا تُريدُ بِهَــــــــا بالعَطْفِ إنْ أشكَلَ التَّوكِيدُ والبَـــــدَلُ

ويظهر مما سبق تأثر شعراء الحضِّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين بالمشرق وأدبه، واحتذاءهم إياه بوعي، وباستقلال، وبتميز أندلسي، فهم وإن كانت أعينهم على

---

1) جوٍ: اليمامة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جوٍ.
2) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٠٩.
3) الميداني، مجمع الأمثال، ج١/٣٢٨.
4) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١٣٣.
5) نفسه، ص١١٥.

المشرق، فإن قلوبهم كانت على الأندلس، كما أن إعجابهم بأدب المشارقة لم يمنعهم من الإضافة والابتكار، بل صبغوا أدبهم بروح أندلسية معبّرة عن آلامهم وصراعهم المرير مع أعدائهم.

- **الأسلوب:**

الأسلوب طريقة التعبير عن التجربة الشعورية[١]، فإن كانت اللغة رداء الفكرة، فالأسلوب فصالها وطراز ردائها[٢].

وقد تميّز الشعر الأندلسي ببعض المزايا الموضوعية والبديعية[٣]، فالمحسنات البديعية تغني التجربة الشعورية بتشكيلاتها التعبيرية المختلفة[٤]، وهي تحمل جمالا خارجيا، وإيقاعاً داخلياً مؤثراً، مادام المعنى هو الأصل[٥] وهو الذي يطلب المحسّن البديعي لا العكس، وهذا ما يمكن تسميته بحسن التعامل مع اللغة[٦].

وقد حرص الشعراء الأندلسيون في عصري الطوائف والمرابطين على توظيف المحسنات البديعية في خدمة أفكارهم وعواطفهم، وجعلوها دفقات تسري في حنايا التركيب الشعري.

ولكن هل استطاعوا امتلاك أسلوب الصنعة، وهل أحسنوا التعامل مع اللغة، بحيث لا يتصنّعون فيها ولا يتكلفون؟ وهل تم التوافق بين الإيقاع ودلالات الألفاظ[٧]، بحيث تثير الانفعال المناسب وتحدِث الأثر المرمي إليه؟

لقد استطاعوا في معظم الأحيان ذلك فعلاً، فقد استخدموا المحسّن البديعي دون إكثار أو تكلّف، وقد ساعدتهـــــم طبيعة الموضوع - وهو الحضّ على الجهاد – على ذلك، فلا يخوض فيه – غالباً – إلا من كانت عاطفته صادقة، ونفسه منفعلة متأثرة بضعف المسلمين وتخاذلهم، وبالتالي لا تصمد أمام تلك العواطف المتأججة والنفوس الجريئة زينة ولاتكلّف أو تصنُّع؛ لذا

---

1) ينظر: الشابب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص٢٥٤.

2) ينظر: هوف، غراهام، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، ع١، كانون الثاني، ١٩٨٥م، ص٩-١١١.

3) ينظر: كنون، عبد الله الشعر الأندلسي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج١/م٣١، كانون الثاني، ١٩٥٦م، ص ٣٧١-٣٩٦.

4) ينظر: الداية، فايز ، جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٩٩٠، ص١٩.

5) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص٤-١٠.

6) ينظر: أبو الرضا، سعد، في البنية والدلالة، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص٣٩.

7) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٤١.

وردت المحسنات البديعية في بعض قصائدهم وروداً غير مقصود لذاته، بل جاءت عفو الخاطر، وجاءت في قصائد أخرى مقصودة.

ومن تلك المحسنات الطباق الذي "يجمع في الكلام بين متضادين"[١]، ويثري ذلك التضادّ حركة المعاني داخل ألفاظها[٢]، كما يزيد من تماسك النص الشعري، ويساهم في تنويع موسيقاه الداخلية[٣].

وممن وظّف الطباق في أشعاره الأعمى التُّطيلي وذلك في مدحه وحضّه لأمير المسلمين علي بن يوسف، حيث قال[٤]:

بِعينيْهِ سَمَا للكُفْرِ يَومـاً فغصَّ بهِ السُّهولةُ والحُـزُونُ

فقد طابق بين السهل والحَزْن وهو (ما غلظ من الأرض)، ونجده يطابق أيضاً في أرجوزته التي خاطب فيها الأمير نفسه فطابق بين التمهل والعجلة حيث يقول[٥]:

أنت مُوافٍ فاتئد أو فاعجلِ

ونجد الطباق – أيضاً – في قصيدة ابن سارة الإشبيلي حاضّاً الأمير المرابطي (ابن تيفْلويت) على الجهاد وعلى حلّ ما انعقد من رؤوس الأعداء عن أجسامهم، (الحلّ والعقد) حيث قال[٦]:

واحللْ عُرى تلكَ الجمَّاجمِ إنَّهـا عَقَدَتْ على نقضِ الهُدى زُنَّارَهَـا

ووظّف الهَوْزني الطباق في حضّه للمعتضد، ليقنعه بأن بُعد مملكته عن الكائنة التي حصلت بـ (بَرْبَشْتر)، لا يعني ابتعاد الخطر عنه، فبلاد الأندلس وحدة واحدة، لا بد من الدفاع عن أي مدينة فيها، وقد طابق الهَوْزني بين (شرق وغرب) في قوله[٧]:

أعبَّادُ ضَاقَ الذرعُ واتّسع الخَـرْقُ ولا غربَ للدنيا إذا لم يكن شَـرْقُ

---

1) ابن مالك الأندلسي، بدر الدين محمد بن جمال الدين، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، ص٨٧.

2) ينظر: أبو الرضا، سعد، في البنية والدلالة، ص٤٢.

3) ينظر: بكّار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص١٩٧.

4) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص٢٠٢.

5) نفسه، ص١٥٣.

6) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٥.

7) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٥.

إن ميل شعراء الحضّ على الجهاد لتوظيف الجناس نابع من جرس الألفاظ المجنَّسة، ووقعها على السمع، الناشئ من تأليف الأصوات حروفا وحركات، ومدى توافق هذا مع مدلول اللفظة ومدى ما تحدثه من إيقاع داخلي[1]، يضفي ظلالاً نفسية في المتلقي[2]، مما يثير انتباهه وانفعاله[3]؛ فتقارب اللفظين صوتيا، وافتراقهما في الدلالة[4]، يوفر إيقاعاً موسيقياً داخلياً في النص، له بعد مؤثر في المعاني، وفي تأكيد النغم ورنته، وفي إضفاء الانسجام بين المعاني العامة[5].

وممن وظّف الجناس من شعراء الحضّ على الجهاد أبو محمد بن عبد الغفور، في حضّه لأمير المسلمين علي بن يوسف على الجهاد، إذ خاطبه قائلا[6]:

وكما اجتباكَ اللهُ حائطَ أمـَّـةٍ فاحتطْ لها فِعلَ الموفقِ وانجدِ

فقد جانس الشاعر بين حائط[7] وهو الجدار الذي يحوط ما فيه، وبين الفعل (احتط)[7] بمعني صُن واكلأ وارعَ.

وجانس ابن خفاجة – أيضاً – في تحريضه للأمير المرابطي أبي الطاهر تميم بن يوسف فقال[8]:

وسْمهُمْ أنْ يَغضُّوا أو يَعضُّوا بعَقْبِ الحربِ أنمُلَة الحَرِيبِ[9]

فكان الجناس بين يغضُّوا[10] ويعضُّوا[11] وبين الحرب والحريب، في سياق إرغام الأعداء بعد المعركة بين غضّ الطرف ندماً وذلاً، أو عضِّ الأنامل ندماً على ما سُلب منهم بعد الحرب.

1) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٤١.
2) ينظر: دعرور، أشرف علي، الصورة الفنية في شعر ابن درّاج القسطلي الأندلسي، الناشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د.ت، ص ٢٢٤.
3) ينظر في، ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٤١.
4) ينظر: أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص٥٣.
5) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠، ج٢/٦٦٢.
6) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٧.
7) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حوط.
8) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٩٣.
9) الحريب: الذي سلب حريبته، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حرب.
10) غضّ: غضيض ذليل، وعضّ طرفه: كفّه وخفضه وكسره، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عضّ.
11) عضَّ: الشد بالأسنان على الشيء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ع ض ض.

وجانس أحد الشعراء في تهنئة الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف بعد انتصاره بمعركة الزلاقة الثانية حيث يقول[1]:

أمَّا وبيضُ الهندِ عَنكَ خُصُـــــومُ ... والرُّومُ تبذلُ ما ظُباكَ تَـــــرومُ

فجانس الشاعر بين جنس القوم (الرُّوم) وبين الفعل (تروم) أي تريد.

ونجد جناساً – أيضا – في قصيدة ابن سارة الإشبيلي المدحية المتدافقة بالحضِّ على الجهاد، إذ خاطب الأمير المرابطي (ابن تيفْلويت) قائلاً[2]:

وكأنني بكَ قد ثللتَ عُروشَهـــــمْ ... وسلبتَ بيضة مُلكِه جبّارَهـــــا

وقتلتَ بين نِجادها أنجادهـــــا ... وصرعتَ في أغوارِها أغوارَهـــــا

لا ترضَ منهم بالنُّفوسِ تحوزُهـــــا ... سمرُ القَنا حتّى تحوزَ دِيارَهـــــا

فقد جانس ابن سارة بين (أغوارها) الأولى والمقصود بها ما انخفض من الأرض[3]، وبين (أغوارها) الثانية بمعنى أبطالها[4]، كما جانس بين (نجادها) وهو ما غلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى[5]، وبين (أنجادها) وهو الرجل شديد البأس الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره[6].

ويعدُّ التقسيم محاولة من الشاعر لاستقصاء جميع ما بدأ به[7]، وقد لجأ إليه ابن سارة الإشبيلي في خطابه للأمير المرابطي (ابن تيفْلويت) فعدَّد مكاسب الأندلس بوجود المرابطين، لا سيما أثناء إمارة الأمير الممدوح، فقسّم قائلاً[8]:

أصْفَى مواردَها، أزاحَ سقامَهـــــا ... أحيا خواطَرها أقالَ عِثارَهَـــــا

وقد لعبت واو العطف دوراً رئيساً في التقسيم لدى ابن خفاجة فأحاط بالمدح والوصف والفخر بواسطتها، وذلك في مدحه للأمير المرابطي أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف، بعد معركة "قُورية" حيث قال[9]:

1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤/٨٩.
2) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٥.
3) ابن منظور، لسان العرب، مادة غ و ر.
4) نفسه، مادة غ و ر.
5) نفسه، مادة ن ج د.
6) ننفسه، مادة ن ج د.
7) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وآخرون، منشورات جامعة الموصل، طبع بمطبعة مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢م، ص١٤٧.
8) الأصفهاني، خريدة القصر، ق٤/ج٢/٢٧٤.
9) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص١٠٣.

بمِثْلِ تَصدِّيهِ دُونَ الهُـــــــــــــــدَى تُصَدُّ العِدَى ويُسدُّ الخَلَـــــــــــــــلْ

وتُدْمَى الشِّفارُ وتُحنَى القَنَـــــــــــــى وتُحمى الذمارُ وتُرْعَى الهَمَـــــــــــــلْ

وتُملأُ رُعباً صُدورُ العِـــــــــــــدَى وتُرْعَفُ بَأساً أنوفُ الأسَـــــــــــــلْ

أما أبو محمد بن عبد الغفور، فلم يغفل عن دور واو العطف في فن التقسيم، وفي إيصال معانيه مع إيقاع موسيقى جذّاب، وهو في تحريضه لأمير المسلمين علي بن يوسف، يستعجله إغاثة سَرَقُسْطة حيث يقول(١):

وَصِلْ السُّرى وانفِ الكَرى واعصِ الهَوى مِنْ مرشدٍ لكَ في الحقيقةِ مُرصـــــــدِ

إن انفعال الشعراء مع الأحداث جعلتهم – أحياناً – يميلون إلى صفة المبالغة، لتَوافقِ هذه الصفة – إلى حد ما – مع الانفعالات الشديدة، وذلك بعد سقوط بعض المدن أو القلاع المنيعة، ومايتبع ذلك من قتل وتنكيل بالأندلسيين.

وقد لجأ بعض الشعراء إلى المبالغة لتشويق المخاطَبين على الجهاد وحضِّهم، لإثارة نخوتهم وحميتهم للجهاد؛ لاستعادة ما يسقط من مدن أندلسية.

ومن ذلك قول الأعمى التُّطيلي مخاطباً الأمير علي بن يوسف؛ لإغرائه باستعادة (طُلَيْطلة)؛ فهي في شوق إليه أشربته منذ تكوينها الأول، حيث يقول(٢):

وَلو كانَ الخِيارُ إلى رُباهـــــَــــــــا دَعتكَ وروضُها تَرِفٌ ولِيـــــــــــــنُ

وَلو عَلمتْ بكَ الرِّممُ الخَوالـــــــــــي وَقَدْ خَلَتِ اللّيالي والقُـــــــــــــرونُ

لَهبَّ إلى ذُرَاكَ بِهَا سُــــــــــــــرُورٌ بقُربكَ أشربتْهُ وَهْيَ طِيـــــــــــــنُ

أما ابن خفاجة فقد بالغ في تصوير علو المعقل المحمي بالمجاهدين، وكأنه النجم بعداً وامتناعاً في قوله(٣):

ولا النَّجمُ نأياً غيرَ ذِروَةِ مَعْقـــــــــــلِ تَذُودُ العِدَى عَنْ جَانبيْهِ وَتَمْنَـــــــــــعُ

- **الألفاظ**:

لقد نهل شعراء الحضّ على الجهاد من معين الثقافة الدينية الإسلامية، فكانت تلك الثقافة مصدراً رئيسا تأثر به شعراء عصري الطوائف والمرابطين؛ ليس لكونهم مسلمين وحسب، بل لأن صراعهم مع الإسبان اتخذ طابعاً دينياً، كما أن ثقافة العصر – آنذاك – كانت ترتكز على

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٧.

2) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص٢٠٤.

3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٨٧.

قاعدة دينية إسلامية، عدا عن أن معظم الأدباء الذين طرقوا موضوع الحضّ على الجهاد كانوا من الفقهاء.

لذا لا نستغرب تأثر شعراء الحضّ على الجهاد بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وبمعانيهما، وصورهما، فاقتبسوا من معينهما الذي لا ينضب.

ومن ذلك ما نظمه أبو حفص الهَوْزني في سياق تحذيره لقومه من الخطر القادم، مشبهاً قومه بقوم عاد الذين رجوا سحاباً ماطراً يحمل الخير لهم، فإذا هو عذاب وعقاب، بل وسبب لزوالهم، حيث يقول الهَوْزني[١]:

قَدْ رَجَتْ عادٌ سحاباً يُهـــــــــــــلُّ   فإذا ريحٌ دَبُورٌ مِحـــــــــــــــــلُّ

وهذا مستمد من قوله تعالى على لسان قوم عاد: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٢].

وقد اقتبس الهَوْزني – أيضاً – صورة النفاق المؤدي إلى العذاب كالذي ذاقته ثمود، فحذر قومه من عقاب الله لهم إن هم نافقوا حكامهم، وخدعوا أنفسهم، ولم يقاوموا التفكك والإنقسام، والفساد من حولهم، إذ قال الهَوْزني[٣]:

أعيذكُمُ أنْ تُدهِنُوا فيمسُّكـــــــــــــــمْ   عِقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمـــــــــــــودُ

وهو ينظر إلى قوله تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾[٤]، وكذلك يشير إلى عقاب ثمود في قوله تعالى: ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾[٥].

ويقتبس ابن سارة الإشبيلي مشهد الأرض، وهي تحدِّث أخبارها يوم القيامة، لسيوف المرابطين وقد جُرِّدت للقتال، فحدَّثت أخبارها بشجاعتهم، وذلك في سياق خطابه للأمير المرابطي (ابن تيفْلويت) حيث قال[٦]:

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٠.

2) الأحقاف: ٢٤.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٣.

4) القلم: ٩.

5) الذاريات: ٤٣، ٤٤.

6) الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢/ق٤/٢٧٦.

صمتتْ سيوفكَ في الغمودِ وجُـــرِّدتْ   يومَ النِّزالِ فحدَّثتْ أخبارَهَـــــــــــا

وهذا مستمد من قوله تعالى في وصف الأرض يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[١].

وقد استمد ابن عبد الغفور صورة انحناء المجاهدين فوق خيولهم لزيادة سرعتها، مع نحول أجسامهم؛ لمواصلتهم الجهاد دون راحة أو تمتع بالحياة، ربط ذلك بنحول عروق التمر وضمورها، حيث قال في مخاطبة الأمير يحيى بن سير بن أبي بكر[٢]:

وشُنَّ غَاراتِها عليهـــــــــــــــــمْ   مثلَ العراجينِ من ضمُـــــــــــــــور

وكأنه تذكر قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [٣].

كما تأثر شعراء الحضّ على الجهاد، ببعض ألفاظ القرآن الكريم، ومن ذلك قول ابن خفاجة[٤]:

فانجابَ ليلُ الخَطْبِ عَنْ أُفُقِ الهُـــدى   وتطلَّع الفتحُ المبينُ صَباحَـــــــــــــا

وهو في ذلك ينظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[٥].

أما قول الأعمى التُّطيلي في أمير المسلمين علي بن يوسف[٦]:

طَليعةُ جيشِكَ الرُّوحُ الأميـــــــــــنُ   وظلُّ لوائكَ الفتحُ المبيـــــــــــــــن

فقد تأثر فيه بقول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [٨].

وقد تأثر شعراء الحضِّ على الجهاد ببعض المواقف المذكورة في القرآن الكريم، ومن ذلك تهديد ابن خفاجة لألفونسو المحارب (ابن رذمير)، وتحذيره له من قوة المرابطين بقيادة الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، حيث يحذره قائلاً[١]:

---

1) الزلزلة: ٤، ٥.
2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٢/٤٧٢.
3) يس: ٣٩.
4) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٥٣.
5) الفتح: ١.
6) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص٢٠٠.
7) الشعراء، ١٩٣.
8) الفتح: ١.

فَقُلْ لابنِ رُدْميرَ مَهما تشِــــــــزْ يُقَوِّمْ صَغَاكَ[٢] الأميرُ الأجَــــــــلْ

وَحِدْ رَغبةً عن عُبابٍ طَمَـــــــــى وَلُذْ رَهْبةً بصَياصِي جَبَـــــــــلْ

ويبدو أن ابن خفاجة قد نظر إلى قولـه تعالى على لسان ابن نوح –عليه الصلاة والسلام– الذي ظن قمم الجبال تنجيه من عذاب الله: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[٣].

وقد استرفد شعراء الحضِّ على الجهاد من الركن الثاني في الشريعة الإسلامية، فاغترفوا من نهر النبوة، فكان الحديث الشريف مصدراً مؤثراً عليهم، ومن ذلك قول الأعمى التُّطيلي مخاطباً الأمير علي بن يوسف بن تاشفين[٤]:

وجهادُ العدوِّ أولى زمانيـــــــكَ بطيبِ الغُدوِّ والآصـــــــــال

وهذا مستمد من القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [٥]، وقال عليه الصلاة والسلام -: "لغدوةٌ في سبيلِ اللهِ أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها"[٦].

وفي موشحة لأبي بكر محمد بن الأبيض يمدح فيها أميراً مرابطياً، استخدم ابن الأبيض لفظاً للرسول الكريم، وهو "حميَ الوطيس" حيث يقول ابن الأبيض[٧]:

لكَ بالعلياءِ وَسْــــــــــمٌ عندما يَحْمى الوطيـــــــــسُ

وكان الرسول – عليه الصلاة والسلام – أول من استخدم هذا التعبير في غزوة حُنين، إذ ورد في السيرة النبوية عبارة: "هذا حِين حمي الوَطِيس" [٨].

وتأثر شعراء الحضِّ على الجهاد – أيضاً – ببعض الصور والمواقف التي وردت في السُّنة الشريفة، ومن ذلك قول الهَوْزني [١]:

---

1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص١٠٤.

2) صغاك: صغا صغواً: مال، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ص غ و.

3) هود: ٤٣.

4) الأعمى التُّطيلي، ديوان الأعمى التُّطيلي، ص١٠٣.

5) النور: ٣٦، ٣٧.

6) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ط١، حققه الشيخ عرفات حسونه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٦/٥٠٨، كتاب الإمارة.

7) ابن الخطيب، جيش التوشيح، ص٤٧.

8) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٦/٣٧٧، كتاب الجهاد والسير باب غزوة حُنين.

يدُنا العُلْيا وَهُمْ وَيكَ شُـــــــــــــــلُّ　　　فَلِمَ استرعَى الأعَـــــــــــــزَّ الأذلُّ

ويذكرنا هذا بقوله – عليه الصلاة والسلام – "اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى" [٢]، ويذكرنا كذلك بموقف (عبد الله بن أُبي) زعيم المنافقين في المدينة المنورة، إذ قال بعد كيده للرسول الكريم: "ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ [٣]".

ولقد وردت العبارة نفسها في القرآن الكريم في سورة المنافقين قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤].

إن تذكر الهَوْزني لمعاني العلو والعزة في الأرض، جاء بعد أن تردى أمراء الطوائف في وحل الذل والسقوط، ويذكرنا قول ابن البقيرة في مدحه للمرابطين حيث قال [٥]:

وهمُ إذا رفعَ الصَّريخُ بدعـــــــــوةٍ　　　حَفظوا أعنتَهُ إلى الهيجَـــــــــــاءِ

بقول رسول الله – عليه الصلاة والسلام -: "من خير معاشِ النَّاس لهم، رجلٌ ممسكٌ عنانَ فرسهِ في سبيلِ الله يطيرُ على متنهِ، كلَّما سَمِعَ هَيْعةً أو فزعةً طارَ عليه"[٦].

واستطاع الهَوْزني صياغة جزء من حديث نبوي شريف شعراً، وذلك أثناء حضَّه المعتضد على الجهاد، مادحاً إياه بالفضل والخير حيث قال[٧]:

وقولُ رسولِ اللهِ أعدلُ شاهــــــــــدٍ　　　فحكمتُهُ شَرعٌ ومنطقَهُ فَصــــــــــــلُ

يقولُ: بنو الدُّنيا معادنُ، خيرُهَــــــــا　　　إذا ما زكوا مَنْ كانَ قِدماً لهُ الفضـــــلُ

وقد قال – عليه الصلاة والسلام -: "الناسُ معادنٌ كمعادنِ الفضةِ والذَّهب، خيارُهم في الجاهليةِ خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[٨].

وقد استفاد بعض الشعراء من بعض المواقف التي وردت في السيرة النبوية الشريفة، إذ استمد ابن عطية موقف الرسول – عليه الصلاة والسلام – من المترصدين به عند هجرته من مكة، فأخذ حفنة من تراب في يده، ونثرها في وجوههم[١].

---

1) ابن بسّام، الذخيرة، ق٢/م١/٩٠.
2) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٤/٣٥٩، كتاب الزكاة.
3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٢٨.
4) المنافقون: ٨.
5) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٤٠٣.
6) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٦/٥١٧، كتاب الإمارةن باب فضل الجهاد والرِّباط.
7) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٨.
8) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٨/٢٣٤، كتاب البر والصلة والآداب.

وفي غزوة حنين – أيضاً – قبض عليه السلام قبضة من التراب، واستقبل بها وجوه الكفار قائلاً: "شاهتِ الوجوهُ، فولوا مدبرين"[٢].

ويريد ابن عطية من الأمير علي بن يوسف أن يحثو التراب في وجوه النوائب التي أحاطت بالأندلس، حيث قال[٣]:

هُوَ الغَوثُ فليعطفْ علَينا بِنَظْـــــرَةٍ　　　مِنَ الحزمِ تَحثُو في وُجُوهِ النَّوائِــــــبِ

ويتأثر ابن أبي الخِصال بكلا المصدرين القرآن والسُّنة في مخمسته حيث يقول[٤]:

فاصمُدْ إليها وثِقْ بالواحدِ الصَّمَـــــدِ　　　لا تَخشَ مَطْلاً وناجِزْها يداً بيَـــــدِ

فما تُصاولُ أُسدُ الغابِ بالنَّقَـــــدِ　　　وانهدْ[٥] فجيشُكَ لم ينهدْ إلى بلــــدِ

إلا تقدّمَهُ جيشٌ من الرُّعبِ

فهو في الشطر الأول من أبياته ينظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٦]، وفي الشطر الخامس اتكأ وأبي تمام على بعض كلامه - عليه الصلاة والسلام – حيث قال: "فَضلتُ على الأنبياءِ بستٍ: أعطيتُ جوامعَ الكَلِمِ، ونُصرتُ بالرُّعبِ، ..."[٧].

وقد كانت الألفاظ المتصلة بالثقافة الإسلامية، رئة النص فقد عبّرت عن ثقافة العصر وعن طبيعة الصراع بين الحضّارتين، ومن ذلك استخدام الشعراء لكلمات لها دلالات دينية مثل: علوج الروم، الكفر، الصليب، الرباط، الفتح، الحق، الباطل، اهتدِ، اقتدِ، حريم المسلمين، حريم المشركين، ليل الضلال، يد الهدى وغيرها مما يدور في الفلك نفسه.

ومن ذلك قول ابن خفاجة حاضّاً الأمير أبا الطاهر تميماً، في قوله[٨]:

وبَدِّدْ شملَ آمال الأعَــــــادي　　　وَطَأْ تِيجانَ أربابِ الصَّليــــــبِ

فإنّكَ والرِّباطُ إلى اغتبَـــــاطٍ　　　كفيلُ السَّعدِ بالفتح القَريــــــبِ

---

1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٩٦.

2) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٦/٣٨٤، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حُنين.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ٣/٦٦٨.

4) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٤٣.

5) انهد: الصمود والشروع في القتال، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نهد.

6) الإخلاص: ١، ٢.

7) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج٣/٣٣٠.

8) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٩٣.

وقوله أيضاً وقد تناجت النفوس متفائلة باسترجاع بلنسية[١]:

1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢٠٩.

كَأَنَّني بعُلُوج الرُّوم سَـــــــــــــادِرةً   وَقَدْ تَضعْضعَ رُكْنُ الكُفْر فاستَفَــــــلا

ومن ناحية أخرى، يمكننا القول بوجود علاقة بين الحالة النفسية للتوتر الدافع في نفس الشاعر[١]، وبين النغمة الموسيقية المختارة، فهناك انسجام بين الإيقاع العام للقصيدة – الموسيقى الخارجية – وبين حركة النفس والإيحاءات النفسية التي تتضمنها[٢].

ولا يمكن بطبيعة الحال قصر وزن معين على غرض ما من أغراض الشعر العربي، فالأمر لا يعود إلى اختيار الشاعر، بل للحالة الإنفعالية التي يعيشها، ودرجة توتره النفسي الذي يدفعه للإبداع[٣].

ومن إحصاء الباحثة لبحور الشعر التي نُظم عليها شعر الحضِّ على الجهاد، تبين ميل الشعراء للبحور الطويلة، فاحتل البحر الطويل المرتبة الأولى منها ثم البحر الكامل، فالبسيط، في حين وردت البحور الأخرى كالوافر والرجز والمتقارب في المرتبة الأخيرة.

ولعلّ اختيار شعراء الحضِّ على الجهاد للبحور الطويلة المركبة المتجاوبة[٤] (الطويل والبسيط) أمر مثير للدهشة، لا سيما وأنَّ الظن الغالب أن النظم إبّان الإنفعال النفسي يميل إلى اختيار البحور القصيرة، ونظم المقطوعات[٥].

ولكن هذا لم يصدق على شعر الحضّ على الجهاد؛ فمعظم ذلك الشعر قد نظم إبّان الانفعالات وعلى البحور الطويلة – غالباً –.

ولا ننسى أن البحر الطويل فيه إيقاع بطيء يناسب عاطفة الحزن المعتدلة[٦] كما أنه يتسع للمعاني الكثيرة ويستوعب الحماسة[٧] أما إذا نشطت عاطفة الحزن فيحتملها البحر الكامل[٨]، وهو بحر صاف فيه جلجلة وحركة، وتتلون فيه الموسيقى الفخمة الجليلة[٩].

---

1) ينظر: سويف، مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، بمصر، ١٩٥١، ص٢٨٠.

2) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٤١، وينظر – أيضا – في: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط٤، دار القلم، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٩٥.

3) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٥٩.

4) ينظر: بكّار، يوسف، في العروض والقافية، ط٢، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠، ص٦٣، ٩٣.

5) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ص١٩٧،١٩٦.

6) ينظر: خربوش، حسين يوسف، دراسة الجانب الفني في المرثية الأندلسية، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية، السنة ١٨، العدد ٢١٦، شباط، ١٩٨٠، ص ١٠٦، (٩٩-١١٥).

7) ينظر: بكّار، يوسف، في العروض والقافية، ص٣٢٢.

8) ينظر: خربوش، حسين يوسف، دراسة الجانب الفني في المرثية الأندلسية، ص١٠٦.

9) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج١/٢٤٦.

والبحر البسيط بالإضافة إلى طوله وعظمته فهو رصين وجزل[١]، ناهيك عن قدرة البحور الطويلة عموماً على التجاوب مع شعراء الحضّ على الجهاد؛ لجدّية الموضوع، وقدرتها على استيعاب أحزانهم، وآلامهم، وانفعالاتهم، وتأثرهم بما يجري حولهم من انهيارات للوطن الأندلسي.

ثانياً: النثر:

لم تبرح الأندلس قلوب أدبائها، حتى إذا اشتدت الأزمات بها وبهم، دفعوا عنها بالسيف وبالكلمة، فكان بعضهم – كما ذكرنا في فصل سابق – فرساناً لهذا ولتلك، وقد ساعدهم على ذلك امتلاكهم لناصية الكلمة معنى ومبنى؛ لأنها الجسر الذي يُحمِّله الأديب تجربته وانفعالاته، وهي الأداة التي يبثها لتوجيه المجتمع وتغييره نحو الأفضل[٢]، في عصر شهد من الجدليات المتناقضة الكثير لا سيما في عصر أمراء الطوائف[٣]، لذا تفاعل الأدباء مع أحداث عصرهم تفاعلاً عميقاً ومؤثراً[٤]، فعبّروا عن الـــ "نحن"[٥].

واستطاع أدباء عصري الطوائف والمرابطين، توجيه حركة المجتمع الأندلسي الذي أنهكه الضعف والتفكك، فحاولوا توجيهه لاستعادة قوته وعافيته، فهُم – مثلاً – قد دعوا الأندلسيين للوحدة ونبذ التفرق، ثم حضّوا المرابطين على دخول الأندلس وتوحيدها والجهاد فيها، بعد أن تيقنوا من ضعف أمراء الطوائف وتخاذلهم أمام الإسبان، وحاولوا – دوماً – استنهاض الهمم الخائرة، للدفاع عن الوجود العربي المسلم بالأندلس.

يبدو أن النثر – في الحضِّ على الجهاد – غدا ديوان الأندلسيين في عصري الطوائف والمرابطين؛ فقد تربّع على قمة الأدب آنذاك، مقللا من مساحة شعر الحضّ على الجهاد، وهي ظاهرة تحتاج إلى تفسير، ربما كان أحد أسبابها أن النثر أطوع وأسرع في الاستجابة لعوامل

---

1) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج١/٢٤٦.

2) ينظر: القيسي، نوري حمودي، الأديب والالتزام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٦٧، ٨٨.

3) ينظر: شيخة، جمعة، عصر ابن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤، ص ٣٢٨.

4) ينظر: السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص ٣٢٧.

5) سويف، مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ص٣١٢.

التطور الأدبي لا سيما وأنه يُعدُّ لغة العقل والفهم والإدراك، كما أنه أقدر على الشرح والإيضاح والتعليل والإقناع[١].

ويبدو أن النثر يناسب موضوع الحضّ على الجهاد[٢]، وذلك أن النثر يتيح المجال للأديب تقليب أوجه الموضوع لإقناع المتلقي بشتى الطرق، ويكفل له حرية التعبير دون التزام بوزن أو قافية، لا سيما وأن بعض المادة النثرية في الحضّ على الجهاد، كانت أقرب إلى المناشير[٣].

والأمر يعود – أيضاً - للأديب ولطبيعة الموضوع في تحديد الشكل أو القالب الذي سيصبّ فيه المضمون، فالنص بناء لغوي تجتمع فيه إمكانات اللغة، لتجسد مشاعر الأديب وأفكاره[٤].

وقد كانت مسألة المفاضلة بين الشعر والنثر من المسائل المثيرة للنقاش بين الأدباء والنقاد الأندلسيين، وقد فضّل بعضهم النثر على الشعر[٥]، فالنثر: "أسلم جانباً وأكرم حاملاً وطالبا"[٦].

- **البناء الفني:**

إن النصّ له بداية ووسط وخاتمة، وهي نقاط يمكن فصلها لدراستها، ولكن لا يمكن فهم النَّص دون النظر إليها كوحدة متكاملة[٧].

ويبدو للوهلة الأولى أن معظم رسائل الحضّ على الجهاد، قد خلت من البسملة والتصلية على النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن التحميد ما عدا رسالتين إحداهما للمعتمد بن عباد يحضّ فيها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين على الجواز للجهاد في الأندلس[٨]، ورسالة تاشفين

---

1) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص ٩٠، وينظر: مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت، ج١/٢٦.

2) ينظر: أبو رقيق، محمد حسين محمد، أدب الحرب في عهد دول الطوائف في الأندلس، ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص١١٦.

3) ينظر: الهدروسي، سالم، صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف، ص٣٣١.

4) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٢٧٣، وينظر: مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ج١/٢٥.

5) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٣٦، وينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١/م١/١٨.

6) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٣٦.

7) ينظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدِّلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ت، ص٧٩.

8) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٥.

بن علي بن يوسف إلى أحد قادته[١]، وكلاهما من الرسائل الديوانية، مما دفع أحد الباحثين ترجيح انتهاج الكتّاب الأندلسيين نهجاً جديداً مخالفاً لأصول الكتابة النثرية المشرقية[٢]، وعلل آخر ذلك بميل الأندلسيين إلى البساطة والتميّز على المشرق[٣]. لكنه استأنـــــف – في الوقت نفسه – القول بأن إسقاط تلك المقدمات كان من قِبل مؤلفي المصادر الأندلسية؛ طلباً للاختصار وللإيجاز ولإيراد أكبر قــــــدر من الأمثلة على النمــــــاذج النثرية – أيضاً -[٤]، وقد أيّده باحث آخر في هذا الرأي[٥].

وقد ينوّع كتّاب الرسائل الأندلسيون في الابتداءات حسب قرائحهم[٦]، لكنهم لا يستطيعون ترك المقدمات نهائياً، لعدة أسباب منها: غلبة الثقافة الدينية على كتّاب ذينك العصرين، لكونها الثقافة الأساس لكل علوم العصر آنذاك، كما أن معظم الأدباء كانوا من الفقهاء أيضاً.

إضافة إلى أن معظم نقادهم أشاروا إلى ضرورة موافقة صدور الرسائل لموضوعاتها[٧]، وقد التزمت بعض الرسائل لاسيما الديوانية بالبسملة والتصلية في استفتاحها، وهذا دليل على وجود هذا الأسلوب، ومن ناحية أخرى فإن وجود ما يسمى بـــ "فصل الخطاب" بالبعدية أو بعبارة كتابي وصيغ أخرى مشابهة، دليل على وجود مقدمة يتم التخلّص منها إلى صلب الموضوع؛ لذا يبدو غريباً – نوعا ما – دخول ابن عطية في رسالته الاستنهاضية إلى أمير المسلمين علي بن يوسف لاستعادة (مَيُورقة) في صلب الموضوع مباشرة ودون تقديم[٨]، وهو فقيه وأديب متمكّن، وكذلك فعل ابن أيْمن في رسالته التي كتبها على لسان المتوكل إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يحضّه على الجواز للأندلس والجهاد فيها[٩]، ناهيك عن كثير

1) مؤنس، حسين، عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، ص٢١.

2) ينظر: القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩، ص٣١٥.

3) ينظر: خضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٦٣.

4) نفسه، ص٣٦٣.

5) ينظر: أبو رقيق، محمد حسين محمد، أدب الحرب في عهد الدول الطوائف في الأندلس، ص١٧٤.

6) ينظر: القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مطبعة كوستا قسوماس وشركاه، د.ت، ج١٠/٢٩٩.

7) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٥٥-٥٨، ٦٦، وينظر: الحميدي، تسهيل السبل إلى تعليم الترسيل، ص١٨.

8) ينظر: ابن خاقان، القلائد، ص٦٦٧.

9) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٣، ٦٥٤.

من النصوص التي تدعو إلى الوحدة والتعاضد والتي خلت من المقدمات[١]. وربما تحمّل كتّاب المصادر الأندلسية جزءاً من المسؤولية عن ذلك، فقد نظروا للمقدمات على أنها من نافلة القول، أثناء سعيهم الدؤوب للاختصار والإيجاز[٢].

لكن هل خلت جميع رسائل الحضّ على الجهاد من المقدمات؟ كلا، لقد التزم معظم كتّاب رسائل الحضّ على الجهاد بمحددات عامة ظهرت في رسائلهم، وفي استفتاحها بالذات، فمنهم من استفتح بالنظم، مثلما فعل الهَوْزني في رسالته الهَوْزنية إلى المعتضد فقد استفتحها بأبيات ثلاثة كان أولها[٣]:

أعبّادُ جَلَّ الرُّزْءُ والقَومُ هُجَّـــــعُ　　　عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلُها يُتوقَّـــــعُ

ومال معظمهم إلى ذكر المرسل والمرسل إليه (من / إلى) مع ما يناسب كليهما من الدّعاء، أو الوصف، أو مراعاة مقام المخاطب، ومن ذلك ما وصف به أبو محمد بن عبد البر أهل "بَرْبَشْتر" لإثارة نخوة الأندلسيين، وجذب انتباههم إلى القواسم المشتركة التي تقرّب المسافات بينهم، فبُعد المسافة لا يعفيهم من مساندة إخوانهم، فابن عبد البر يقول على لسان أهل بربشتر: "من الثغورِ القاصية، والأطراف النائية، المعتقدين للتوحيد، المعترفين بالوعد والوعيد، المستمسكين بعُروَة الدِّين، المستهلكين في حماية المسلمين، المعتصمين بعصمة الإسلام، المتآلفين على الصلاة والصيام، المؤمنين بالتنزيل، المقيمين على سُنّة الرسول، محمد نبي الرحمة وشفيع الأمة، إلى مَنْ بالأمصار الجامعة، والأقطار الشّاسعة، بجزيرة الأندلس من ولاة المؤمنين، وحماة المسلمين، ورعاة الدِّين، من الرؤساء والمرؤوسين، سلامٌ عليكم"[٤].

ومن ذلك أيضاً دعاء ثابت بن عبد الله في مقدمة رسالته للأمير المرابطي أبي الطاهر تميم بن يوسف بما يثير نخوته، ويستنهض حميته الدينية، لفك حصار سَرَقُسْطة وحماية مسلميها حيث كتب: "من ملتزمي طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله، وجماعة سَرَقُسْطة من الجمهور فيها من عباد الله، أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل، لحرم الإسلام يمنعه من كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه"[٥].

---

1) ينظر: نفسه، ق٣/م١/٨٥، و ق١/م٢/٦٢٧.
2) ينظر: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٦٣.
3) ابن بسّام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٣.
4) نفسه، ق٣/م١/١٧٣، ١٧٤.
5) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٤.

وقد يُقدِّم ذكر المرسل إليه ثم المُرسل، واختص بهذا الأسلوب المعتمد، وكاتبه أبو القاسم بن الجَدِّ[١] في الرسالتين الموجهتين إلى يوسف بن تاشفين لحضّه على الجهاد في الأندلس وترغيبه بالجواز إليها.

وربما لإقناعه بذلك قُدّم الأهم وهو المرسل إليه وذُكِّر بأنه نائب خليفة المسلمين، وعليه واجبات من أهمها حماية المسلمين والدفاع عن الدِّين، ثم ذُكِر من صفات المرسل ما يدّل على تقديره وخضوعه لدولة المرابطين إذ كتب المعتمد بن عباد: "إلى حضرة الإمام، أمير المسلمين، وناصر الدِّين، محيي دعوة الخليفة، الإمام أمير المسلمين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين من القائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها، المعظم لما عظّم الله من كريم مقدارها، اللائذ بحرمها المنقطع إلى سمو مجدها، المستجير بالله، وبطولها، محمد بن عبّاد"[٢].

ويلاحظ أن تلك المقدمات، تتسم بالإسهاب، في محاولة من الكتّاب لضمان انفعال المتلقي واستجابته لما يدعون إليه، وإقناعه بالأفكار الواردة واستمالته للجهاد، ولاستيفاء وجوه الموضوع كافة – أيضاً -، وربما لجذب انتباه المتلقي لسماع بقية أجزاء الرسالة.

أما ابن أبي الخِصال فقد بدأ خطبته في الحضّ على الجهاد، بما يتفق وأصول الخطابة الإسلامية، فقد بدأها بحمد الله، والتشهد، والصلاة على النبي الكريم فقد استفتحها قائلاً: "الحمد لله الذي لا تُعدُّ سوابقُ نعمه، ولا تحدُّ علائق عصمة، ولا تُردُّ بوائق نقمه .." [٣].

وقد تخلصوا من الصدور إلى الغرض المذكور بطريقتين[٤]: أولهما: ابتداء الخطاب وذلك بألفاظ معينة مثل: كتبتُ، كتابي، كتابنا، وثانيهما: ردّ الجواب مثل: قولهم: ورد كتابك أو وصل كتابك وقد يكون الخطاب بغير ذلك مثل فصل الخطاب بـــ (أما بعد) [٥].

ومن الأمثلة على ابتداء الخطاب بـــ (كتابنا) ثم الدعاء للمرسل إليه، وذكر مكان إرسال الرسالة[٦] وتاريخها، ما كتبه ثابت بن عبد الله أثناء حصار سَرَقُسْطة، وقد دعا للأمير المرابطي أبي الطاهر تميم بدعاء مؤثر موجّه لحضّه على الجهاد حيث قال: "كتابنا أيدك الله بتقواه، ووفقك

---

1) ينظر رسالة ابن الجد: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.
2) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٥.
3) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٢.
4) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٦٩-٧٠.
5) نفسه، ص٥٨.
6) لمزيد من الأمثلة على ذلك، ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٤، ١٧٣، ومجهول، الحلل الموشية، ص٤٥.

لاشتراء دار حسناه، بمجاهدة عداه، يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان عن حال قد عظم بلاؤها"[١].

ورسالة ابن الجَدِّ إلى أهل غرناطة على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف يدعوهم إلى الوحدة ونبذ الخصام حيث قال: "كتابنا عصمكم الله بتقواه، ويسّركم لما يرضاه، وجنّبكم ما يسخطه وينعاه، من حضرة مراكش – حرسها الله – يوم الجمعة التاسع عشر من شهر الصوم المعظم، سنة سبع وخمس ماية"[٢].

وقد لا نجد تحديداً لمكان كتابة الرسالة وزمانه، بل يتم التخلّص إلى الموضوع بالبعدية، مثلما ورد في رسالة[٣] ابن الجدّ إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، ورسالة ابن عبد البّر على لسان أهل "بَرْبَشْتر" لاستنهاض وحضّ كافة المسلمين على الجهاد حيث قال بعد عنوانها: "أما بعد، حرسكم الله بعينه التي لا تنام، فإنّا خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين"[٤].

وقد تأتي عبارة (كتبتُ، كتابي، كتابنا) لبيان سبب كتابة الرسالة أو بيان الدافع والمحرك لكتابة الرسالة، من مثل قول ابن طاهر في إحدى رسائله: "كتابي بعد أن وقفتُ على كتاب فلان الذي أودعه ما ودّع من حيات"[٥]، وقد يكون ورود كتاب من أحد الأصدقاء سبباً في الردّ عليه بكتاب آخر من مثل قول ابن طاهر: "ورد كتابك بالخطب الأبقع والحادث الأشنع، الجاري على المسلمين"[٦].

وقد يبين الكاتب لماذا يكتب؟ وكيف؟ بعد ابتداء الخطاب، من مثل قول الهَوْزني، "وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرقُ الوليد"[٧].

وقد ختم الكتّاب الأندلسيون رسائلهم بالخاتمة المناسبة لها، إذ توافقت مع موضوعها في الحضّ على الجهاد، أو الدعوة للوحدة، وخُتمت بالسلام، ومن ذلك ما ختم به المعتمد بن عباد رسالته إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين فبعد أن استنجد به، وحضّه على الجواز للجهاد

---

1) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٤.
2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٣٣.
3) ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.
4) ابن بسّام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٤.
5) نفسه، ق٣/م١/٨٦.
6) نفسه، ق٣/م١/٨٧
7) نفسه، ق٢/م١/٨٤.

قال: ".. ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم، والأجر الجسيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام الكريم على حضرتكم السامية، ورحمة الله وبركاته"[١].

واختار أبو القاسم بن الجَدّ ما يناسب الحضّ على الجهاد، من دعوة للوحدة، لنصرة الإسلام، في ختام رسالته التي ألفها على لسان المعتمد والموجّهه إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين حيث جاء في خاتمتها: "... والله يجمعنا على كلمةِ التوحيد ننصرها، ونعمةِ الإسلام نشكرها، ورحمةِ الله نتحدث بها وننشرها، والسلام الموصول الجزيل على أمير المسلمين، وناصر الدِّين، ورحمة الله وبركاته"[٢].

وختم أبو القاسم بن الجَدِّ رسالتيه إلى أهل إشبيلية، وإلى أهل غرناطة، على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف، بما يتناسب مع مضمونهما من الدعوة إلى الوحدة، والتعاضد، والتكاثف، والصلاح فقد ختم رسالته إلى أهل إشبيلية قائلاً: "واللهُ تعالى يَفيءُ بكم إلى الحسنى، وييسركم إلى ما فيه صلاح الدِّين والدنيا بقدرته"[٣].

وقد آثر ابن عطية ان يختم بالنظم، وذلك في رسالته إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يحضّه فيها على استرجاع (مَيُورقة) إذ كان آخر أبياته[٤]:

فلا زالَ جيشُ النَّصرِ يَقْدُمُ جَيْشَـــــهُ ... وتلقاه بالبُشرى وجوهُ العواقـــــبِ

وقد يُنبه في الخاتمة إلى دور حاملي الرسالة، وذلك لدورهم في تقديم المزيد من التفاصيل، التي قد يتعذر ذكرها في الرسالة، ومن ذلك ما ختم به ثابت بن عبد الله رسالته إلى الأمير المرابطي أبي الطاهر تميم أثناء حصار الإسبان لسَرَقُسْطة حيث قال: "ومن متحملي كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقف من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب ولا استوعبه الإطناب بمنّه، وله أتم الطول في الإصغاء إليهم، واقتضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٥].

وقد نبه ابن أيْمن لدور حامـــل رسالتـــه إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين – أيضاً -[٦].

---

1) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٦.

2) نفسه، ص٤٨.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٥.

4) نفسه، ص٦٦٩.

5) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٩.

6) ينظر ذلك في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥، ٦٥٦.

ومال بعض الكتّاب في خاتمة رسائلهم إلى الدعاء لله تعالى، بكشف الغمة والكرب عن الأندلس والأندلسيين، مع التسليم بالقضاء والقدر، ومن ذلك ما ختم به أبوعبد الرحمن بن طاهر إحدى رسائله في وصف الثغور حيث ختم قائلاً: "والله المرجو لكشف الغمة وتلافي الأمّة"[١]، وفي أخرى له، ختم داعياً الله "فمنه الغوث والانتصار، وعادة الإقالة إذا جدّ العثار"[٢].

وقد يقوم بعض كتّاب المصادر الأندلسية بحذف خواتيم بعض الرسائل، لا سيما إن كان فيها طول وإسهاب[٣]، أو حين تتعدد رسائل الأديب الواحد، في الغرض الواحد، من مثل رسائل البزلّياني في الدعوة للوحدة في الذخيرة[٤]، وقد تحذف أيضاً طلباً للإيجاز، والاختصار، ولظنهم بأنها معروفة بين معاصريهم.

أما ابن أبي الخِصال، ففي خطبته التي تداخل فيها الزّهد مع الحضّ على الجهاد، ختمها بوعظ قومه بأهمية الدعاء، وقرب الله سبحانه في المراقبة والاستجابة فقد ختم قائلاً[٥]:

"إن أبلغَ الموعظةِ في القلوبِ وأوْلاها بَدركِ المطلوب كلامُ علاّم الغُيوب، فإذا قُرئ القرآنُ فاستمعوا بيانَهَ واتّبعوا قرآنه ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾[٦]، ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٧].

- **الجمل الدعائية والمعترضة:**

والمقصود بها اعتراض الكتّاب في رسائلهم بالدعاء بما يوافق المعنى ويناسب الخطاب[٨]، وقد كثرت الجمل الدعائية والمعترضة في رسائل الحضّ على الجهاد، ويمكن عدّها من أصول الكتابة النثرية عموماً.

كما أن لتلك الجمل قيمة أدائية فهي قد تخصص وقد توضح[١]، وهي التي تكشف لنا عن عاطفة الكتاب وموقفه من الأحداث[٢]، وهي تدعم الأفكار وتعطي إشارة إلى تأرجح الكتّاب الأندلسيين بين الرغبة والرهبة[٣]، وهما الدافعان للدعاء أو الاعتراض[٤].

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٧.
2) نفسه، ق٣/م١/٨٧.
3) من مثل رسالة ابن عبد البر على لسان أهل "بربشتر"، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩.
4) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٣٩.
5) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٩.
6) البقرة، ١٨٦.
7) غافر: ٦٠.
8) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٧٣.

وقد حرص الكتّاب الأندلسيون في عصري الطوائف والمرابطين في ثنايا حضّهم على الجهاد أن يتناسب الدعاء مع المعنى المراد، ومن ذلك أنهم إذا ذكرت الأندلس أو إحدى مدنها، توجهوا بالدعاء إلى الله أن يعصمها من كل شر، ويحميها من لظى أعدائها، وإن كانت قد سقطت بأيديهم دعوا الله بعودتها وإن ذكر العدو كشفوا عن شعورهم وعاطفتهم تجاهه فدعو عليه بالهلاك.

ومن ذلك ما ورد في رسالة ابن أيْمن التي كتبها على لسان المتوكل والمرسلة إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لحضّه على الجواز للأندلس والجهاد فيها حيث قال: "... فقد كانت طوائف العــدو المطيفة بها – أهلكهم الله – عند إفراط تسلّطها ... ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك – أيدك الله – بالنازلة في مدينة قُورية – أعادها الله - ... وحصلت في يد العدو – قصمه الله – مدينة سُرْته"(٥).

وهم في مخاطبتهم لبعضهم في الرسائل الإخوانية للحضّ على الجهاد، أو للدعوة للوحدة دعوا لبعضهم البعض بالعزة والتأييد من الله سبحانه، ولعدوهم بالهلاك والدّمار، وفي ذلك إشارات إلى تديّن الأندلسيين ومحاولتهم التنفيس عن عواطفهم المتأججة، وموقفهم في الحياة من أنفسهم، ومن أعدائهم، ومن ذلك ما ورد في رسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر: "كتابي – أعزّك الله – وقد ورد كتاب المنصور ملاذي المعتد بك – أيدك الله – أودعه ما ودّع من حياة ... وغَرْسيه – دمّره الله – بسَرَقُسْطة، كذلك رُذْمير – أهلكه الله – بوشقة"(٦).

وغني عن البيان القول بإدراك الكتّاب الأندلسيين عند مخاطبتهم لمن هو أعلى شأناً منهم، وجوب استمالته وتأكيد الولاء له، فيعترضون بالدعاء له بالتأييد والعزة والطمأنينة، ومن ذلك ما ورد في رسالة ابن عطية لأمير المسلمين علي بن يوسف لحضّه على استعادة (مَيُورقة) حيث قال: "وإني – أقرّ الله عينك – لا تردد وقد قصّر عن تململي السليم"(٧)، وقد تكون الجمل

---

1) ينظر: نفسه، ص٧٢-٧٧.

2) ينظر: عبيد، محمد صابر، شعرية القصيدة العربية الحديثة، غيوم للنشر، بغداد، ٢٠٠٠، ص١٦٤، ١٦٧.

3) ينظر: عياط، حامد كساب، أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٨٣، ص٢١٥، ٢١٦.

4) ينظر: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٦٨.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٤، ٦٥٥.

6) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص١٧٣، ١٧٤.

7) نفسه، ص٦٦٧.

اعتراضية غير دعائية ومن ذلك تكرير ابن عبد البّر لجملة – معشر المسلمين – أربع مرات[1] منادياً ومخصصاً المسلمين للجهاد لاستعادة بَرْبَشْتر.

وقد تصرّف كتّاب الرسائل الأندلسيون، بما يناسب موضوع الرسالة، فإن كان مضمون الرسالة الدعوة للوحدة، جاءت الجمل المعترضة بما يناسبها من الدعاء ومن ذلك قول أبي القاسم بن الجد مخاطباً أهل إشبيلية على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف: ".. ويسركم – عن الاتفاق والائتلاف – لما يرضاه"[2].

وفي بعض الأحيان قد تخلو رسالة الحضّ على الجهاد من الجمل المعترضة، كما في الرسالة الهَوْزنية[3]، وربما يعود ذلك إلى حدّة انفعال الهَوْزني وتأثره الشديد بأحداث "بَرْبَشْتر"، واتصافه بالصراحة والجراءة، وثقته بمكانته لدى المعتضد، ربما كل ذلك جعله يتجاوز تلك الظاهرة.

- **التنويع بين الشّعر والنّثر:**

إنّ قدرة كتّاب الرسائل الأندلسيين في عصري الطوائف والمرابطين على تطويع فنيّ الشعر والنثر في كتاباتهم دليل على سعة ثقافتهم، وتعدّد مواهبهم، ووعيهم العميق بأهمية الأدب وأثره في المخاطَبين، وفي إقناع المترددين، وسدّ الذرائع أمام المتخاذلين.

ولا تظن الباحثة أنهم نوّعوا بين الشعر والنثر في رسائلهم؛ ليستعرضوا ثقافتهم ويفخروا بها[4]، فهذا ليس ميدانه؛ لأن طبيعة غرض الحضّ على الجهاد لا تحتمل ذلك، من الممكن أن يكون الهدف من التنويع إثارة انتباه المتلقي ودفع السأم عنه[5]، وجذبه لفكرة الجهاد، واشعال نخوته له.

أما الشعر المُضمَّن فقد يكون من تأليف الكاتب نفسه كما في الرسالة الهَوْزنية[6]، وفي رسالة ابن عطية على لسان أهل (مَيُورقة) [7]، لا يكون من تأليف الكاتب بل لغيره، لكن يورده لخدمة النص، ودعم فكرته ولضمان أكبر قدر من التأثير على المتلقي.

ومن ذلك تضمين ثابت بن عبد الله بيت شعر للنابغة الذبياني يهجو فيه النعمان، قال فيه[1]:

---

1) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣-١٧٨.
2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٤.
3) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٣-٨٩.
4) ينظر: خضر ،حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٧٥.
5) ينظر: نفسه، ص٣٧٥.
6) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٣ ،٨٨.
7) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٦٨.

يجمعُ الجيشَ، ذا الألوفِ، ويغـــــزو   ثمَّ لا يَرزأُ العَدوَّ فَتيـــــــــــــــلا

ونلمس في هذا التضمين ظلالاً من التحفيز، وربما التعريض بقوة المرابطين، فقد قيل أنهم حاولوا فك حصار سَرَقُسْطَة وفشلوا في ذلك، لذا أوصى الكاتبُ الأميرَ أبا الطاهر تميم أن لا يكون كمن قيل فيه[٢]:

يجمعُ الجيشَ، ذا الألوفِ، ويغـــــزو   ولا يَرزأ من العدوِّ فَتيـــــــــــــــلا

وقد استبدل ثابت بن عبد الله (ثمّ) بـــ (و) وحذف حرف الجر (من)، وقد يكون لحالة الانفعال، والحصار الشديد التي عاشها ثابت بن عبد الله دور في ذلك، ومع ذلك فقد امتلك ثابت بن عبد الله شخصية جريئة اتسع لها صدر المرابطين.

أما أبو عبد الرحمن بن طاهر فقد قال واصفاً: "وما قصّر القائد الأعلى في الجدِّ والتشمير والاحتفال بالأبطال المغاوير، حتى بلغ بنفسه أبلغ المجهود "والجودُ بالنفس أقصى غاية الجُودِ"[٣].

وفي ذلك تضمين للشطر الثاني من قول صَريع الغَواني مُسلم بن الوليد مادحاً[٤]:

تجودُ بالنَّفس إذ أنتَ الظَّنينُ بِهَــــــا   والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجـــــودِ

وقد نثر أبو عبد الله بن أبي الخِصال بيتاً من الشعر لأبي نواس وضمّنه خطبته حيث قال ابن أبي الخِصال: "وذادَ الطَّيرَ عَنْ حُلوِ ثِمارها"[٥]. وهذا محلول من بيت لأبي نواس يقول فيه[٦]:

لا أذودُ الطيرَ عن شجـــــــــــــرٍ   قد بلوْتُ المرَّ من ثَمـــــــــــــرِهْ

والهَوْزني يصف الحرب بالعروس التي تستميل الأغرار، وتغريهم حتى إذا خاضوها وجدوها عجوزاً شمطاء، عبوساً تقطف الأعمار، حيث قال الهَوْزني: "والحربُ في اجتلائها حسناءُ عروسٌ تُطَبّي الأغمارَ بزَنّها، وفي بنائها شمطاءُ عَبوسٌ تختلي الأعمارَ غرثُها"[٧].

وكأنه نثر رأي عمرو بن معد يكرب عندما سُئل عن الحرب فتمثل قول الشاعر[١]:

---

1) النابغة، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣، ص٩٩.

2) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٧.

3) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص١٩٥.

4) صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري. (ت ٢٠٨هـــ)، شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري، تحقيق الدكتور سامي الدّهان، ط٣، دار المعارف، مصر، ص١٦٤.

5) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٢٢٥.

6) أبو نواس، ديوان أبي نواس، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢، ص٣٠٨.

7) ابن بسّام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٥.

الحربُ أولُ ما تكون فَتيّـــــــــــةً تسعى بزينتها لكلِّ جَهُـــــــــــولِ
حتَّى إذا استعرتْ وشُبّ ضِـــرامُهـــــا عادتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ خليـــــــلِ
شمطاءَ جزّتْ رأسها وتنكـــــــــرتْ مكروهةً للشمِّ والتقبيـــــــــــلِ

وربما ذكّرنا قول المعتمد بن عبّاد في رسالته إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين حين قال: "وتوالى علينا هذا العدوّ المجرم اللعين أذفنش وأناخ علينا بكَلْكَلِهِ، ووطئنا بقدمه"[٢]. بقول امرئ القيس في معلقته يصف الليل[٣]:

فقلتُ له لمّا تمطّى بصُلْبِـــــــــــهِ وأرْدَفَ أعجازاً وناء بكَلْكَـــــــــلِ

ويلاحظ أن تضمين الرسائل لأبيات شعرية لم يكن ديدناً لكاتبيها، فهناك رسائل عديدة خالية من الشعر[٤]، فالتنويع بين الشعر والنثر لم يصل إلى حد الظاهرة كما رأى أحد الباحثين[٥]، بل وُجد حسب حاجة النص وموهبة الأديب، وقناعته باللون الأدبي الأفضل في إيصال أفكاره، وإقناع المتلقين بها، والتأثير فيهم، وقد يكون للواقع المتردي أثر في إنكفاء شعر الحضّ على الجهاد عن موائد حكام متفرقين أو حكام متدينين.

- **الاقتباس والتضمين:**

يبدو تأثر كتّاب الرسائل والخطب في عصري الطوائف والمرابطين جليا بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك لارتوائهم من معينهما الثر منذ الصغر، فقد كانت علومه وعلوم الحديث القاعدة التي ينطلق منها المتعلم آنذاك؛ للتزود ببقية علوم عصره.

---

1) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٢، ص٢٣٠.

2) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٦.

3) بن كيسان، أبو الحسن، شرح معلقة امرئ القيس، ط١، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩، ص٨٢.

4) من ذلك – مثلا-: رسائل الحضّ على الوحدة والتعاضد، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٢٧، ٦٣٧-٦٤١، وابن خاقان، القلائد، ص ٣٢٣،٣٣٣، ومن رسائل الحضّ على الجهاد، ينظر – مثلا -: رسالة ابن عبد البر ورسالة ابن أيْمن ورسالة المعتمد وابن الجد إلى يوسف بن تاشفين، ينظر على التوالي: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣-١٧٩، وق٢/م٢/٦٥٣، ومجهول، الحلل الموشية، ص٤٥-٤٧.

5) ينظر: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٦٩.

كما أن معظم الكتّاب كانوا من الفقهاء الذين تعمقوا في أمور الدِّين، فضلاً عن أنهم كانوا يعبرون عن عقيدة المجتمع الأندلسي، فقد كان الدِّين الإسلامي السلاح الذي يواجهون به أعداءهم، فالأندلس دار جهاد، والجهاد هو سنام الإسلام[١].

وقد أكثر الكتّاب الأندلسيون من الاقتباس من القرآن الكريم، وجاءت اقتباساتهم على ثلاث صور: أولها: إيراد الآيات في الرسائل بما يناسب المقام بنصّها، وثانيها: صياغة معنى الآيات بلغة الكاتب لتوظف في خدمة النص، وثالثها: اقتباس بعض المشاهد القرآنية وصياغتها بلغة الكاتب ثم إدراج الآيات المعنية بتلك المشاهد أيضاً.

وقد حرص الكتّاب الأندلسيون على ملاءمة الاقتباس لنسيج النص لشدّ خيوطه، فقد جاءت الاقتباسات في مكانها المناسب، من ذلك إشارة أبي القاسم بن الجَدّ في رسالة على لسان المعتمد بن عبّاد إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، يحضّه فيها على الجهاد في الأندلس بعد تكالب الأعداء عليها، حيث قال: "فإن الله سبحانه أيد دينه بالاتفاق والائتلاف، وحرّم مسالك ودواعي الاختلاف، وأنعم على عباده بأمير جديد و ﴿قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[٢]"[٣].

وقد استأنف أبو القاسم بن الجَدّ – أيضاً - حضّه بآية كريمة تُبين فضائل الجهاد وأثره على المسلمين، وفي أعدائهم، حيث قال: "هذه الجنة ادّخرها الله لظلال سيوفكم، وإجمال معروفكم، نستعين بالله وملائكته، وبكم على الكافرين، كما قال الله سبحانه، وهو أكرم القائلين: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[٤][٥]".

ومن أمثلة الصورة الأولى للاقتباس أيضاً، توظيف البزلّياني لآيات كريمة في دعوته لوحدة الصف وتكاثف الجهود؛ ليضمن قوة التأثير على المتلقين وحسن استجابتهم لدعوته، حيث قال مخاطباً بعض حكام الطوائف: "والانتهاء إلى حدود الله، والازدجار بزجره، والتأدب بأدبه، والائتمار بأمره، فإنه يقول عزَّ مِنْ قائل: "فاتقوا اللهَ وأصلِحُوا ذاتَ بَيْنِكم وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ إنْ كُنْتُمْ مؤمنينَ"[٦] وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[١]"[٢].

---

1) ينظر: عبد المجيد، أبو سعيد محمد، أثر الاختلافات والتنازعات على وحدة الأمة الإسلامية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٦٩، السنة ٢٢، يونيو ٢٠٠٧، ص ٣٩٣.

2) الفتح: ١٦.

3) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

4) التوبة: ١٤.

5) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٨.

6) الأنفال: ١.

وقد اقتبس ابن أبي الخِصال في خطبته التي حضّ فيها الأندلسيين على الجهاد الكثير من الآيات القرآنية[٣]، واختار ما يناسب أفكاره الواردة؛ لضمان حسن التأثير، والأثر في المستمعين له، ومن ذلك – مثلاً – تعليله لتغيّر حال الأندلسيين من الظهور، والنصر، والخير إلى الفشل والهزيمة، والجفاف؛ وإرجاع سبب تغيّر أحوالهم إلى نفوسهم التي تغيرت مع الله، ومع عباده، حيث قال ابن أبي الخِصَال: "أقسمُ بالله ما انقلب حالُ الدّهر، ولا سُلبنا عادةَ الظّهور

والقهر؛ ولا نَكَلَ الأبطالُ، ولا أخلفنا الغيثُ الهطّال، ولا رُفعتْ علينا من الرُّعبِ جبالٌ لا تظهر ولا تُطال، ولا غيّر اللهُ نِعمنا، ولا خَذلنا ولا أسلمنا، إلا لما عَهدَ إلينا وأعلمنا، إذ يقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[٤] و "إنَّ اللهَ لا يظلمُ النَّاسَ شيئا ولكنَّ النَّاسَ أنفسَهم يَظلمونَ"[٥]"[٦].

أما الصورة الثانية للاقتباس فقد تمثلت في صياغة الكاتب لمعنى الآية بلغته، وقد يوردها بعد ذلك لتثبيت المعنى وقد لا يوردها، ومن ذلك ما ورد في رسالة أبي القاسم بن الجَدّ في رسالته إلى أهل إشبيلية، متحدثاً بلسان أمير المسلمين علي بن يوسف آمراً إياهم بالوحدة والطاعة حيث قال: "فإذا وصل إليكم، وقُرِئ عليكم، فاقمعوا الأنفس الأمارة بالسّوء، وارغبوا في السكون والهدوء"[٧].

وهو بذلك ينظر إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾[٨].

وقول ابن أيْمن في استنهاضه ليوسف بن تاشفين لتدارك الأندلس: "وتتداركوها رُكبانا ورجالا، وتنفروا خفافا وثقالا"[١]، وهو يتمثل قوله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**﴾[٣].

---

1) آل عمران: ١٠٣.
2) ابن بسّام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٣٨.
3) يتظر – مثلا- في: ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨، ٥٢٩.
4) الرعد: ١١.
5) الأنعام: ٤٣.
6) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨.
7) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٤.
8) يوسف: ٥٣.

وقول الهَوْزني في رسالته إلى المعتضد: "وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها"[٤]، وهو ينظر لقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

وقول ابن عبد البّر في الحضّ على الجهاد بعد سقوط "برْبَشْتر": "ودماؤنا مطلولة، وحدودنا مفلولة، وأنتم عنا لاهون، في غمرة ساهون"[٦]. وهو يتمثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[٧].

وقد كان القاضي ثابت بن عبد الله وأبو محمد بن عبد البّر وأبو حفص الهَوْزني، ممن ملكوا موهبة حسن الربط بين المواقف الانفعالية المعاشة في الواقع الأندلسي المتردي، وبين المشاهد القرآنية المشابهة لاسيما أهوال يوم القيامة، ومن ذلك ما سجله ابن عبد البر في وصف كائنة "بَرْبَشْتر": "دماءٌ تُسفك، وستورٌ تُهتك، وحُرَمٌ تنتهك، ونِعمٌ تستهلك، وأقفاء تُصفع، وأعضاء تُقطع، وأعياثٌ ترتكب، وأثاثٌ ينتهب، ومصاحف تمزّق، ومساجد تحرَّق، فلا الأخُ يُغني أخاه، ولا الابنُ يدعو أباه، ولا الأبُ يدني بنيه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٨]، ولا المرضعةُ تلوي على رضيعها، ولا الضجيعةُ ترثي لضجيعها، كأنهم في مثل اليوم الذي ذكره الجليل، في مُحكم التنزيل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾[٩]"[١٠].

وفي مشهد معبّر عن مقدار معاناة سكان سَرَقُسْطة عند حصارها وحاجتهم للمساعدة، كتب ثابت بن عبد الله مصوراً: "فترى الأطفال بل الرجال جُوَّعا يجرون، يلوذون برحمة الله

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.
2) التوبة: ٤١.
3) البقرة: ٢٣٩.
4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٥.
5) البقرة: ١٨٩.
6) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٨.
7) الذاريات: ١١.
8) عبس: ٣٧.
9) الحج: ٢.
10) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٦.

ويستغيثون، ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت اخسأوا فيها ولا تكلمون"[١]، وقد تمثل قوله تعالى:﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٢].

والأمثلة على الاقتباس من القرآن الكريم بطرقه الثلاث كثيرة[٣]، يضيق بها الحصر.

وقد كان الحديث الشريف النبع الثاني الذي ارتوى منه الكتّاب الأندلسيون في عصري الطوائف والمرابطين؛ لذا اقتبسوا منه ما يزيد من تدفق العاطفة الدينية فيهم وفي المتلقين، فقوة الاقتباس نابعة من قوة مصدره، كما أن قوة العاطفة هي المسببة لانفعال المتلقي[٤]، وأي اقتباس لآية أو حديث يساند الفكرة وقد يرصّن اللغة ويعزز نسيجها[٥].

ولقد عمد الكتّاب الأندلسيون إلى اقتباس بعض العبارات من الحديث الشريف، وقلّما أوردوا الحديث كاملاً، لالتزامهم بالمحسنات البديعية من ناحية، وحسب تقديرهم لحاجة النص من ناحية أخرى.

وكان البزلّياني ممن أورد معظم نص الحديث، إذ كتب ناصحاً بالوحدة والتعاضد: "... وقال صلى الله عليه وسلم، لا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً وعلى طاعته أعواناً"[٦].

وقد قال – صلى الله عليه وسلم -: "لا تباغضواولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيام"[٧].

أما أبو القاسم بن الجَدّ فقد تصرف في نص الحديث بما يتوافق وفواصل نصّه، وتوالي أفكاره، فقال في رسالته على لسان المعتمد إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين: "فجهاد لا يفتر، وجلاد يحزّ الغلاصم ويبتر، هذه الجنة ادّخرها الله لظلال سيوفكم، وإجمال معروفكم"[٨].

وقد ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "اعلموا أنَّ الجنَّة تحتَ ظِلالِ السيوفِ"[١].

---

1) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٦.

2) المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨.

3) للمزيد من الأمثلة ينظر: مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص ٤٤-٤٦، وابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٦، ١٧٤، ١٧٥، و ق٢/م١/٨٤.

4) ينظر: الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط٣، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦، ص٣٨٥.

5) ينظر: السعيد، محمد مجيد، ابن عطية الكاتب حياته ورسائله، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٠، السنة الخامسة عشرة، حزيران، ١٩٩١، ص٣٤.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٣٨.

7) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١، ج٢/ رقم الحديث ٧٢٥٨، كتاب الأدب، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر.

8) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٨.

وقد استند أبو عبد الله بن أبي الخِصال إلى بعض الأحاديث الشريفة في خطبته التي حضّ فيها الأندلسيين على الجهاد، ومن ذلك قوله: "ألا تستوحشون لتباريح العَصْر، ورُكودِ ريح النّصر، وتداعي أمم الكُفر"[٢]، فقد تمثل بعض قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "توشك الأمم أن تَداعى عليكم كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ اللهُ في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدُّنيا وكراهية الموت"[٣].

وكأن ابن أبي الخِصال أراد أن يذكرهم بالحديث الشريف كلّه، إذ لمّح بعبارة منه (تَداعى الأمم)؛ ليصل إلى أن سبب ضعف الأندلسيين هو حبهم للدنيا، وكراهيتهم للموت! لاسيما وأن خطبته قد تداخل فيها الزهد مع الحضّ على الجهاد بشكل كبير.

وقد اقتبس ابن أبي الخِصال كثيراً من الأحاديث النبوية[٤]، ومنها أيضاً ما ورد في خطبته نفسها حيث قال: "واقتضى الدِّينُ الحنيفُ دَيْنا طالما مُطِلَ ولُوِي[٥] وبلغَ مُلْكَ أمتهِ ماله من الأرض زُوِي[٦]"[٧].

وهو في هذا ينظر إلى قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "زُوِيتْ ليَ الأرضُ حتَّى رأيتُ مشارقها ومغاربها، وأعطيتُ الكنزين.." [٨].

صاغ ابن أبي الخِصال حديث رسول الله الآتي بلغته، ليُبلغَ الأندلسيين بأن حقيقة الإيمان هي الزهد بالدنيا، والإقبال على الآخرة وأن حبّ الدّنيا هو الداء؛ وفي سبيل هذه الفكرة اختصر وغيَّر فقال: "دخل حارثة الأنصاري[٩] على النبي – صلى الله عليه وسلم- فقال له: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحتُ يا رسول الله مؤمنا حقا. قال رسول الله – صلى الله عليه

1) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦/رقم الحديث ٣٤٨٦، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف.

2) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨.

3) أبو داود، سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ج٣/ص١١١، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

4) ينظر: ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٧، ٥٢٣، ٥٢٨.

5) لُوِي: المَطْل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة لوي.

6) زُوِي: جُمِعت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة زوي.

7) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٣.

8) ابن ماجه، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القرويني، سُنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز بن محمد الشيخ، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٩٩٩، حديث رقم ٣٩٥٢، باب الفتن، ص٥٦٧.

9) هو حارثه بن سُراقة بن الحارث بن عدي بن مالك الأنصاري الخزرجي، استشهد ببدر، ينظر ترجمته في: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري. (ت ٥٥٥هـ)، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٩، ج١٢/٤٢٥، ترجمة رقم ٩٩٣.

وسلم-: إن لكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفتْ نفسي عن الدنيا. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: بدأ بالدَّاء فحسمه"[1].

وقد صاغ ابن أبي الخِصال الحديث الشريف الآتي: "بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف أصبحتَ يا حارث؟ قال: أصبحتُ مؤمنا بالله حقا. قال: انظر ماذا تقول؟ فإن لكل قول حقيقة.

قال: يا رســـول الله، عزفت نفسي عن الدنيا، فاسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني بعرش ربي – عز وجل – بارزاً، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني انظر إلى أهل النار يتعاوَوْن فيها، قال: الزم، عبدٌ نوّر اللهُ الإيمانَ في قلبه"[2].

ولم يتوانَ الكتّاب الأندلسيون عن تضمين رسائلهم الأمثال والحكم، والمثل حُجة تقوم على المشاهده بين حالين، لاستنتاج نهاية احدها بالنظر إلى نهاية مماثلها، وله دور في إقناع المتلقين[3]، ويدل على عمق ثقافة الأديب ودقة ملاحظته، ونفاذ بصيرته.

ومن الأمثلة على توظيف المثل في رسائل الحضّ على الجهاد، قول ثابت بن عبد الله، حاضّاً الأمير أبا الطاهر تميم على الجهاد، لفك حصار سَرَقُسْطة: "فالآن أيها الأمير الأجل، هذه أبواب الجنة وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنية ولا الدّنية"[4].

"المنية ولا الدّنية" مثل نثري يضرب في تفضيل الموت بكرامة على العيش بمهانة[5].

ويشير أبو محمد بن عبد البّر إلى انقلاب حال الأندلسيين، من بعد قوة ضعفاً وخذلاناً، والأندلسيون يلمسون ذلك ويدركونه، فقال: "...وفئتنا متناصرة، لا تُشلُّ لنا يد، ولا يُفلّ لنا حدّ حتى انقلبت العين، وبانَ الصبحُ لذي عينين"[6].

وهو يشير إلى المثل "قد بيّن الصُبح لذي عينيْن" في ظهور الأمر كله وعدم استتاره[7].

وقد يتصرّف الكاتب بالمثل فلا يورده بنصه، بل يحذف منه ويُبدل فيه، ويغيّر من عباراته، حسب ما يراه مناسباً لنصه، ومتانة نسجه، وروعة فواصله؛ لضمان أكبر قدر من

---

1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٧.

2) ابن الأثير، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١٢/٤٢٥، ٤٢٦.

3) ينظر: العمري، محمد في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، ط١، دار، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص٦٨، ٧٠.

4) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٧.

5) ينظر: البكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩٠.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٤.

7) البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص٦١، وينظر المثل نفسه: الميداني، مجمع الأمثال، ج٢/ص٩٩.

الأثر والتأثير، ومن ذلك ما كتبه أبو محمد بن عبد البّر على لسان أهل "بَرْبَشْتر" لحضّ الأندلسيين على الجهاد: "... والسعيدُ من وعظ بغيره والشقي من عميت عيناه، وصمّت عن الموعظة أُذناه"[١].

وهو يتمثل بالمثل: "السَّعيد من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من وعظ بنفسه"[٢].

وقد يكون التصرف بكلمة يتم تغييرها في المثل، مثلما فعل ابن عبد البر في الرسالة نفسها حيث قال: "غير أنّا دنونا وبعدتم وشقينا وسعدتم، ورأينا وسمعتم وليس الخبرُ كالعيان"[٣]، ونص المثل كما ورد عند الميداني هو: "ليس الخبرُ كالمعاينة"[٤].

- **الإيجاز والإطناب:**

يبدو أنّ سمة الإطناب قد غلبت على نثر الحضّ على الجهاد، فقد استظل بظلاله معظم الكتّاب، فأمدهم بمساحات مقبولة ساعدت على إقناع المتلقين والتأثير فيهم، لا سيما وأن طبيعة الموضوع تقتضي مخاطبة العامة[٥]، والخاصة وترغيبهم بالجهاد، والاستنفار ولمّ الشمل، وترهيبهم من عواقب ترك الجهاد، وتراخي الهمة، وانقسام الصف، لذا كان على الكتّاب الإعادة والتكرير والإنذار بالترديد[٦].

والإطناب بلاغة[٧]، إن راعى مقتضى الحال، وحال الأندلس المتردية سياسياً واجتماعياً وعسكريا، اقتضت من الكتّاب أن يلتمسوا طريقاً لتفريغ غضبتهم، وامتعاضهم بل وسخطهم – أيضاً – من تلك الأحوال، وحاولوا بأساليب القول المؤثرة كلها أن يقنعوا العامة، والخاصة بضرورة التحرك والجهاد، لتغيير ذلك الواقع المتردي، فوجدوا الإطناب مطية لهم ليضخموا الأحداث – أحياناً – ولتكرير المعاني بألفاظ مختلفة في أحيان أخرى.

وقد قلّبوا الفكرة من وجوهها كافة، وساهم الاقتباس، والتضمين، ونثر بعض الأبيات الشعرية – أحياناً - في إيضاح المعاني وتكريرها، وربما كان أحد أهدافهم من الإطناب، أن لا

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٥.

2) البكري، فصل المقال، ص٣٢٧.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩.

4) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢/١٨٢، ولم أجده في فصل المقال، للبكري.

5) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٩٠.

6) نفسه، ص٩٠.

7) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، ط١، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص٢١٠.

يتركوا لمتخاذل طريقاً يسلكه، ولا لجبان سلماً يصعده، بل احكموا نسج النص ليُؤثر ويقنع، وانتظروا أن تكون الكلمة سببا لفعل وسلوك.

وربما كان ميل الأندلسيين إلى الوضوح، وبعدهم عن التعقيد؛ من أسباب ميلهم للإطناب في رسائلهم، وخطبهم الحاضّة على الجهاد، فقد عمدوا إلى تأكيد المعاني بزيادة الألفاظ وتفصيلها[١].

ويبدو أنهم – أيضاً – كانوا مغرمين بذكر التفاصيل، وقد كان الإطناب وسيلتهم لذلك، وقد استعرضوا ثقافتهم من خلاله[٢]، بعد أن تشكلت شخصيتهم الأندلسية المستقلة – تقريباً – عن المشرق.

ولا يمكن إغفال دور قوة العاطفة الدينية وصدقها، مما جعلهم يميلون لإيراد الحوادث وتفصيلها، وتكرير بعض المعاني بأثواب لفظية متعددة، وهذا يحتاج إلى ثبات العاطفة وصدقها[٣].

وقد عمد بعض مؤلفي المصادر الأندلسية إلى إيراد فصول من الرسائل الطويلة، ربما دفعاً للملل الذي قد يتسلل إلى القارئ[٤].

ومن الرسائل التي ظهرت فيها سمة الإطناب، الرسالة الهَوْزنية، فقد ذكر المعنى مجملاً في العبارتين الأوليتين ثم فصّله؛ لينبه ويؤكد على فظاعة ما حصل بـــ "بَرْبَشْتر" حيث وصف حال أهل "بربشتر" قائلاً: "تذرُ النساء أيامى، والأطفال يتامى، فلا أيّمة إذا لم تبقَ أنثى، ولا يتيم والأطفال في قيد الأسرى، بل تعمُّ الجميع جما جما فلا تخص، وتزدلف إليهم قُدُما قُدُما، فلا تنكص"[٥].

لقد فصّل الهَوْزني وكرّر بعض المفردات، حتى يشعر المتلقون بأن البلاء قد شمل جميع من بـــ "بربشتر" صغر أم كَبُر. وقد أطنب الهَوْزني – أيضاً – في مدحه للمعتضد إذ كرر ذكر اسمه[٦].

---

1) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، ٢/٤٠٠، وينظر – أيضاً –: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٧٧.

2) ينظر: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٣٧٧، وينظر – أيضا-: القيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٣٣٣-٣٣٥.

3) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص١٩٣-١٩٧.

4) ينظر – مثلاً – في: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٤-٨٨، وق٣/م١/١١٧٣-١١٧٩.

5) نفسه، ق٢/م١/٨٤.

6) ينظر في ذلك: نفسه، ق٢/م١/٨٨، ٨٩.

وتظهر سمة الإطناب – أيضاً – في رسالة أبي محمد بن عبد البّر التي كتبها على لسان أهل "بَرْبَشْتر" يحضّ فيها الأندلسيين على الجهاد، ووصفها ابن بسّام بأن فيها طُولاً، فذكر فصولاً منها، ولم يوردها كاملة[١]، وقد قال ابن عبد البّر على لسانهم واصفاً ما حلّ بهم من العذاب: "فأحاطت بنا كإحاطة القلادة بالعنق، يسوموننا سوءَ العذاب، بضروب من الحَرب والحِراب، آناء ليلها ونهارها، تُصبُّ علينا صواعقها، وترمي إلينا بوائقها... من انتهاك تلك النعم المُدخرات، وهتك ستر الحُرَم المحجبات، والبنات المخدرات ... قد غُلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف"[٢].

ويلاحظ أن جميع ما ذكره من تفاصيل يعد إطناباً لـــ "يسوموننا سوء العذاب"، فقد أراد الإيضاح والتفصيل، فعمد إلى تكرير المعنى ليقرّ بالنفوس، ويتأكد الأثر.

ويلاحظ أن الإطناب عند كتّاب الحضّ على الجهاد لم يكن مخلاً بالمعنى، بل مؤازراً له، ومؤكداً، وموضحاً، ففي رسالة البزلْياني التي دعا فيها إلى وحدة الصف، وذمَّ الذين يستقوون بأعداء أمتهم على أبناء جلدتهم فقال: "والذي يحملون من أوزارهم، وأوزار مع أوزارهم، ويحتقبون من آصارهم، تسليطُ النّصارى على المسلمين، وعيثهم في بلادهم يقتلون ويأسرون، فالأموالُ مستهلكةٌ، والحرمات منتهكة، والدماء مهراقة، والنساء مستاقة"[٣].

فاستهلاك الأموال، وانتهاك الحرمات، وإهراق الدماء، وسَوْق النساء تفصيل وإيضاح للقتل والتنكيل والأسر، وهو في تأكيده للمعنى المراد؛ ولضمان التأثير، والإقناع، لجأ للإطناب وفعّله ليحقق مراده النبيل.

وفي خطبة ابن أبي الخِصال، التي حضَّ فيها الأندلسيين على الجهاد، وزهدهم بالحياة الدّنيا، ذكر الموت والفناء، وتحوّل الأجساد إلى تراب، لتكفَّ نفوس الأندلسيين عن الدنيا، وتزهد بها، وتطلب الوصول للآخرة بصعود سُلّم الجهاد في سبيل الله.

فقد قال: "لو صدقتم أجسادكم عن مُوحش مآلها، وتغيُّر جمالها، وحؤول أحوالها، وانتقاص أجزائها وأوصالها، وتوديع الحياة وانفصالها لواجهتكم العبر، وشافهكم بيقينه الخبر"[٤].

---

1) نفسه، ق٣/م١/١٧٣-١٧٩.
2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٥.
3) نفسه، ق١/م٢/٦٣٩.
4) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٤.

فقد ساق لمعنى الموت، وتحول الجسد ألفاظاً عديدة، فالمآل الموحش حين يتغير الجمال ويذوب يكون الموت و (القبر)، عندها تتغير حال المرء، وتنتقص أجزاؤه، كل ذلك يكون بعد انفصال الحياة عن الجسد.

ومع أن الإطناب قد ساد في معظم رسائل الحضّ على الجهاد، فإن الإيجاز قد ظهر – أيضاً – فيها لكن بشكل أقل، ومن ذلك رسالة ابن عبد البر إلى أحد أصدقائه التي دعا فيها لوحدة الصف[١]، كما تُعدُّ رسالة ابن عطية في الحضّ على الجهاد[٢]؛ لاستعادة (مَيُورقة) موجزة، إذا قيست بغيرها من الرسائل التي وردت سابقاً في الحضّ على الجهاد.

ومن المعلوم أن كليهما (الإطناب والإيجاز) بلاغة، على أن لا يكون هناك خلل في المعنى، وقد أحسن الكتّاب الأندلسيون في ذلك، فجاء إطنابهم تطويلاً غير ممل، وجاء إيجازهم بليغاً غير مخل ولا منقص.

- **الألفاظ:**

لاشكّ أن لجمال اللفظ وبنيته وجرسه، ودلالته الإيحائية، بل وتركيبه داخل نظم الكلام – أيضاً – أثراً في الإثارة والتأثير على المتلقي تشويقاً وانفعالاً[٣].

فالبلاغة تكون في إيصال المعنى إلى القلب في لفظ حسن[٤]، لذا كان النص الجيد، يتصف بجزالة الألفاظ وسهولتها، ووضوح المعاني دون توعر أو استكراه[٥]، وتؤثر الهيئة النفسية للكاتب عند اختياره لألفاظه؛ فهو في بحث دائم لإصابة المعنى المناسب، وقد تؤثر الصنعة البديعية في اختياره لألفاظه – أيضاً -[٦].

وقد مال كتّاب الحضّ على الجهاد إلى السهولة في الألفاظ، والوضوح في المعاني، دون إسفاف أو ركاكة، لأن الأندلسيين يميلون للوضوح ويأنفون من التعقيد والإغراب، لذا جاءت معظم نصوصهم جزلة الألفاظ سهلة، واضحة المعاني.

---

1) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣.
2) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٦٧.
3) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٧٠-٧٣.
4) ينظر: الحميدي، تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل، ص٥.
5) ينظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص٨١.
6) ينظر: عبد القادر، قرش، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدي، ص٦٣.

ومن ذلك قول ابن طاهر في وصف الثغور الأندلسية، وحاضّاً على الجهاد: ".. وتألمتُ لما يجري على المسلمين من نكدٍ فاضح، وتلف فادح، فليت شعري أين البصائر؟ وحتّام تدور هذه الدوائر؟ على رمق الجزيرة وقد أشفى، أما آن للنصر أن يقع؟ وللداء أن يشفى؟[١]".

ونلمس طابع السهولة في الألفاظ والوضوح في المعاني كذلك في رسالة المعتمد بن عبّاد لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين يحضّه فيها على الجهاد إذ جاء فيها: "ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره، ولا أخيه، ولو شاؤوا لفعلوا، إلا أن الهوان منعهم عن ذلك، وقد ساءت الأحوال، وانقطعت الآمال"[٢].

إن ألفاظ النص سهلة عبرت عن معانيها دون تكلّف، أو تصنع ولنستمع إلى ابن أبي الخِصال في خطبته يحضّ على الجهاد قائلاً: "فاستقيلوا – رحمكم اللهُ – عِثارَكُم، واستقبلوا عدوّكم وخُذوا ثارَكم، وخَلدوا في صُحفِ القَبولِ آثارَكم، وأخلصوا للهِ طاعتُكم، وحققوا إنابتكم وضراعتُكم"[٣].

فقد قصد ابن أبي الخِصال إلى المعنى الواضح بألفاظ سهلة متأنقة بثياب البديع التي ساعدت في إغناء النص وتشكيله، والأمثلة على سهولة الألفاظ، ووضوحها كثيرة في نثر الحضّ على الجهاد[٤].

- **السجع:**

وهو صنعة لفظية تتوافق فيها بعض فواصل الكلام المنثور، وله لذّة في القلوب والآذان[٥]، وبه يستطيع الكاتب شدّ انتباه المتلقين وإثارة توقعاتهم لفواصل آتية[٦]، وهو المقياس الذي قد يدل على سعة ثقافة الكاتب، وتمكّنه من اللغة وعمق مخزونه اللغوي[٧].

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٦.

2) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٦.

3) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨.

4) ينظر – ذلك – مثلا: مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٤٧، وابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٦٧، وابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٦، وق١/م٢/٦٣٧، وق٢/م٢/٦٥٤.

5) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص١١٤، ١١٥.

6) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ص١٨.

7) ينظر: المقدســـــي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٢١٣، وينظر – أيضاً –: سالم، زينب إبراهيم سليم، الحياة الأدبية في مدينة إشبيلية من الفتح الإسلامي حتى خروج المسلمين منها، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة ماجستير، ١٩٩٧، ص٢٥٦.

وللسجع إيقاع صوتي يبعث الموسيقى الداخلية في النص، ويحركّه ويبلور معانيه، وله دور فعّال في شدّ النفس إلى النص برشاقة إيقاعه[1]، ولا يُذمّ إلا إذا جاء مُتكلفا وكان المعنى تابعاً له[2].

ويلاحظ ميل معظم كتّاب رسائل الحضّ على الجهاد للسجع في رسائلهم[3]، ولم يكن هدفهم في نثرهم المسجوع إثارة إعجاب المتلقين، ونيل المكانة الأدبية الرفيعة؛ لأن الخوض في الحضّ على الجهاد يحتاج إلى صدق العاطفة، وقوة البيان، ونبل الهدف، ومعظم الكتّاب كانوا من الوزراء والفقهاء الذين بلغوا المراتب العليا في مجتمعهم قبل حضّهم على الجهاد.

وربما كان همّ الكتّاب من توظيف السجع في نثرهم هو إثارة مشاعر المتلقين، وإقناعهم بالتحرك والجهاد.

لقد دخلوا في الصنعة البديعية، لكنها لم تُطح بما أرادوا إيصاله من المعاني[4]، بل ساعدت الصنعة في بلوغ المعنى المناسب، بإيقاع موسيقى مؤثر.

ومن ذلك قول أبي محمد بن عبد البر على لسان أهل (بَرْبَشْتر) حاضّاً مواطنيه على الجهاد: "فإنّأ خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرّى، ونفوسنا منطبقة، وقلوبنا محترقة، على حين نشر الكفرُ جناحيْه، أبدى الشِركُ ناجذيْه، واستطار شَرَرُ الشر، ومسّنا وأهلنا الضرُّ"[5].

فقد نوّع ابن عبد البّر في فواصله السجعية، دون أن يؤثر ذلك على المعنى المراد، بل عبّر عن معاناة البربشتيين، وحفز النفوس لمساعدتهم، وقد حقق السجع تنويعاً في الإيقاع الصوتي، وكانت حروف سجعه تريح الصدر بانطلاق الزفير منه.

ويصف أبو عبد الرحمن بن طاهر شعوره، وقد تداعت بعض الثغور أمام الأعداء، ويصف ذلك بسجع متواز وجناس ناقص والتزم فيه بما لا يلزم حيث يقول: "فإنه للقلوب مؤذٍ،

---

1) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص٦٠، ٦٤.

2) ينظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص٢٣٥، وابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١/٢٧٦، ٢٧٧.

3) ينظر: عوض الكريم، مصطفى، الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، ص١٢٣، والقيسي، فايز، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٣٤٩.

4) ينظر: الشـــــريف، الغوثي العربي، الأدب في المرية في عهد بني صُمادح، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٧م، ص ٢٤٥، وينظر – أيضاً -: سلطاني، الجيلاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٧، ص٢٢٨.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٤.

وللعيون مقذٍ، وللظهور قاصمٌ، ولعُرى الحزم فاصِمٌ"[١]. ولقد أسدل السجع إيقاعاً حزيناً، بإيقاع النون الساكنة (التنوين).

ومن ذلك أيضاً قول ابن عطية حاضّاً أمير المسلمين علي بن يوسف على الجهاد لاسترجاع (مَيُورقة)، واصفاً ما آل إليه أمرها عند سقوطها: "ومزّقهم السّيفُ كلَّ مُمزَّق، فلله أرحامٌ هناك تشقق، رحمهم اللهُ ماتوا كراماً، ولقاهُمْ نضرةً وسروراً وسلاما، وختم لنا بعدَهم بأحمدِ الخواتم، وأسندنا من أمره إلى عاصم"[٢]، ويلاحظ أن ابن عطية قد نوّع في فواصله دون التزام بحرف واحد طوال الفقرة.

ويبدو أن القول بعلو منزلة السجع في عصر المرابطين علواً كبيراً[٣]، يحتاج إلى دراسة وتمحيص، فابن عطية – مثلاً – قد نوّع في فواصله – كما رأينا – ولم يلتزم بحرف واحد طوال الفقرة، وهو من أبرز كتّاب عصر المرابطين، وهناك نصوص أخرى تعزز ما ذهبت الباحثة إليه[٤].

ولا تجد الباحثة سجعاً متكلفا في النصوص النثرية التي وصلتنا في الحضّ على الجهاد، ربما لطبيعة الموضوع ذاته، ولوعي الكتّاب – أيضاً- وصدق عاطفتهم، مع تمكّنهم من لغتهم، وسعة ثقافتهم، مما مكّنهم من توظيف السجع في خدمة المعنى؛ لإحداث التأثير المتوقع في المتلقين.

- **الازدواج:**

هو نوع من أنواع السجع، تتفق فواصله في أكثر من حرف، وقد ظهر الازدواج في معظم رسائل الحضّ على الجهاد، حتى كاد يرجح على السجع، فهويوافق الطبع ويساهم في إبراز المعنى بشكل مؤثر[٥]، ويحسِّن منثور الكلام[٦] بإيقاعاته التي تحمّس المتلقين، وتحرّك

---

1) نفسه، ق٣/م١/٨٦.

2) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٧٧.

3) ينظر: بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ألقاها عامي ١٩٤٧و ١٩٤٨، ترجمها محمد عبد الهادي شعيرة، راجعها عبد الحميد العبادي بك، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥١م، ص١٦.

4) ينظر – مثلاً –: رسالة ثابت بن عبد الله، مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٤، ورسالتي أبو القاسم بن الجد، ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٣٢٣، ٣٣٣.

5) ينظر: خضر، حازم، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص٤٧١.

6) ينظر: العسكري، كتاب الصناعتين، ص١٧٦، ٢٨٥.

نخوتهم، وتجذب أسماعهم، وقد تأسر نفوسهم، وتشوقهم لسماع المزيد، والازدواج يساعد على إضفاء جو انفعالي في النص – أحيانا -.

ومن ذلك قول ابن أبي الخِصال في خطبته، داعياً الله، لاجئاً إليه، لإصلاح نفوس قومه، حتى يُقبلوا على الجهاد حيث قال: "اللهمَّ إنا لفرضك مجتمعون، ولذكرك مستمعون، وبين يدي عزتك وجلالك خاضعون، وإليك يا ذا الرحمة التي وسعت كل شيء ضارعون، ولأبـــــــواب نصرك وفتحك مستفتحون، ولما فَسَدَ من أعمالنا بعونك، وتوفيقك، مستصلحون، وبدعائك مستنصرون ولإجابتك منتظرون"[١].

إن الازدواج يعزّز الموسيقى الداخلية في النص، مما يرفع من وتيرة التأثير والانفعال لدى المتلقي، فانظر إلى وصف ابن طاهر لحال المسلمين، وقد بنى الفعل على المجهول مع أنه معلوم حيث قال عن الإسلام وأراد المسلمين: "فقد طُفِئ مصباحه، ووُطِئ ساحه، وقُص جناحه، وهيض عضده، وغيض ثمده، إلى الله نفزع، وإليه نضرع"[٢].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في رسالة ابن عبد البر على لسان أهل (بَرْبَشْتر) حاضّاً على الجهاد حيث يقول: "وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، يضيقُ عن نصّها الخطاب، ترغيبا وترهيباً، فوعد المطيعين جزيل ثوابه، والعاصين أليم عقابه"[٣].

والأمثلة على انتشار الازدواج كثيرة[٤].

- **الجناس:**

التام منه يتفق ركناه في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها[٥]، وله مردود على الجانب الصوتي في البنية العامة للكلمة[٦]، والجناس بهذا يؤكد نغمة الكلمة، بإعادة اللفظ مع اختلاف المعنى، وفي ذلك ثراء للرنّة، بل ويزيد النص انسجاما ولحمة[٧]، وفي الإنسجام يكمن

---

1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٩.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٦.

3) نفسه، ق٣/م١/١٧٧.

4) للمزيد ينظر – مثلاً –: ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٧، وق٢/م١/٨٦، وق١/م٢/٦٣٧، ٦٣٨، ٦٤٠، ومجهول، الحلل الموشية، ص ٤٧، وابن خاقان، قلائد العقيان، ص٢٣٤.

5) ينظر: السيوطي، جلال الدين، جنى الجناس، تحقيق ودراسة وشرح الدكتور محمد علي رزق الخفاجي، الناشر الدار الفنية للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص ٧٣، وينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، ١/٣٤٢.

6) ينظر: شادي، محمد إبراهيم عبد العزيز، الصورة بين القدماء والمعاصرين، دراسة بلاغية نقدية، ص٦٧.

7) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٢/٦٢٢.

سر جمال النص. والجناس في تشابه إيقاع الكلمات، واختلاف معانيها؛ يساهم في إحداث ذلك الانسجام[١].

فالجناس يوقظ انتباه المتلقي، ويحفز حواسه في محاولة منه لإتمام المعنى المقابل للفظ، محدِّثا إيقاعاً مثيراً يحيط بالنص، ويرى د. محمد عبد المطلب أن التجنيس أقرب النمطيات إلى الناحية الصوتية الخالصة[٢].

وقد ظهر الجناس في نصوص عديدة من نثر الحضّ على الجهاد، لا سيما الناقص منه حيث كانت له اليد العليا في تلك النصوص.

ومن ذلك ما جاء في رسالة ابن الجَدّ على لسان المعتمد بن عبّاد، حاضّاً يوسف بن تاشفين على الجهاد، حيث قال: "وإن أردت الأخرى فجهاد لا يفتر، وجلاد يحز الغَلاصِمَ ويبتر"[٣].

لقد ارتكز التركيب على صيغة المضارع (يفتر، يبتر)؛ لأن حاضر الأندلس آنذاك (عند كتابة الرسالة)، كانت بحاجة إلى قرار حاسم قاطع لا ضعف فيه ولا تردد. وقد دلت المجانسة بين اللفظين (يبتر وهو من القطع والاستئصال ويفتر والفتر هو الضَعْف) على حاجة الأندلس للخروج من ضعفها باستئصال عدوها.

وفي الرسالة ذاتها وفي موضع آخر يقول ابن الجَدِّ: "وقد طرأ على الإسلام حادث أنسى كل همّ، وهمّت النكبات بوقوعه وهم"[٤]. وهو بهذا يكون قد زاوج، وجانس، واقتبس. فقد جانس بين همّ وهو الحزن و (همَّ) بمعنى نوى، وأراد، وعزم عليه.

فالمجانسة بين نضرع بمعنى خضع وذلّ، ونفزع أي نلجأ، أما الكروب فهي جمع الكرب وهو الحُزْن والغَم، والمحروب هو المسلوب. وقد اتكأ ابن طاهر على الفعل المضارع ليبرز حركة الفعل في الخضوع واللجوء. وعلى اسم المفعول حيناً آخر؛ ليبرز دلالة من وقع عليه فعل الفاعل (محروب، مكروب).

ولقد استغل ابن أبي الخِصال إيقاع الجناس في سياقات الوعظ؛ للتأثير على المستمعين وحثهم على التوبة، ولإثارة انتباههم فقد خاطبهم قائلاً: "لشدَّ والله ما زهدتُم وبخلتم، ولحق أن تَخالوا فيما خُولتم غيرَ ما خِلْتُم"[١].

---

1) نفسه، ٢/٦٦٣.

2) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص٢١٨.

3) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٨.

4) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

يبدو أن الأندلسيين قد ظنوا بما يمتلكونه من الدنيا أن الموت بعيد، وأن الجهاد عقبة في هذه الحياة، لذا استخدم ابن أبي الخِصال صيغة الماضي (خولتم / خلتم) لينبه على انتهاء الحدث وانقطاع الظن فالموت آتٍ لا محالة، وقد جانس ابن أبي الخِصال بين (خولتم) أي ملكك إياه وبين (خلتم) أي ظننتم.

حتى أثناء الحصار والضيق يُطلّ علينا الجناس من سَرَقُسْطة في رسالة القاضي ثابت بن عبد الله حاضّاً الأمير أبا الطاهر تميم حيث كتب: "وإن من وهن الإيمان وأشد الضَّعف الفرار عن الضِّعف"[٢]، فالضَّعف خلاف القوة، والضِّعف المِثْل إلى ما زاد[٣]، فإحساس القاضي ثابت بالضَّعف أبرز حاجته إلى العدد الكثيف (الضِّعف) للخلاص من المكابدة.

والأمثلة على الجناس كثيرة[٤]، لا سيما الجناس الناقص، فقد غضوا الطرف عن الجناس التام، ربما لعدم ميلهم للتكلف، أو التصنع كثيراً في نصوصهم، فجاءت قرائحهم بنصوص أدبية مزينة بالمحسنات البديعية التي تُلْبِس معانيهم أجمل الثياب.

- **التصوير الفني:**

إن التعبير عن المعاني هو تعبير عن موسيقى داخلية نفسية مضطرمة بالعاطفة، فعلاقة العاطفة بالخيال علاقة قوية؛ لأن الصورة تؤدي جانباً من وظيفة التعبير[٥]، ففي البيان ينكشف المعنى ويحضّر في النفس[٦].

وقد لجأ بعض كتّاب الحضّ على الجهاد إلى رسم صورة حية للمشاهِد المعاشة فكانت صوراً واقعية مؤثرة، فهذا القاضي ثابت بن عبد الله يرسم لنا مشهداً معبراً عن حال المدن التي تُحاصَر في ذلك الزمان، حيث الجوع والألم المحيط بجميع أفراد المجتمع، يحدوهم الأمل بالتغيير والنُّصرة. فوصْفُ الواقع قد أغنى عن أي خيال حين قال: "فترى الأطفال بل الرجال

---

1) ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٦.

2) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٦.

3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضعف.

4) للمزيد ينظر: ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٤-٥٢٧، وابن بسام، الذخيرة، ق١/م٢/٦٤١، ٦٤٠، وق٣/م١/١٧٨.

5) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص ٣٣-٣٥، ٢٢٣.

6) ينظر: الحميدي، تسهيل السبيل، ص٥.

جُوّعا يجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون، ويتمنون مقدّمك، بل يتضرعون حتّى كأنك قلت: أخسأوا فيها ولا تكلمون"[١].

ويذكرنا هذا بمشهد قرآني خاطب الله به من خفّت موازينهم يوم القيامة وخسروا أنفسهم، والآية التي سبقتها مباشرة هي: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٢].

وهو مشهد حواري ضجّت فيه الصورة الواقعية بالحركة المعبّرة فالأطفال والرجال من الجوع يجرون أنفسهم في مشهد مؤلم، والفعل (يلوذون) فيه طلب للحماية، وهو مشهد حركي له دلالة، أما الفعل (يستغيثون) و (يتضرعون) ففيهما دلالات صوتية حزينة لا تخفى.

ويشدنا ابن عبد البر إلى الواقع المرير لمدينة "بَرْبَشْتر" بعد استباحة النورمانديين لها بعد سقوطها، واصفاً فظاعة المجازر الدموية التي قاموا بها حيث قال: "وقد كَثُر الضجيج والعويل والنياح، ودماؤهم على أقدامهم تسيل، سيل المطر بكلِّ سبيل، رؤوسهم قدّامهم تطير، وقلوبهم في أجسادهم تستطير، ولا مُغيث ولا مُجير"[٣].

ويلاحظ أن الفعل المضارع في النص السابق (تسيل، تطير، تستطير) قد أبرز الحركة، وساعد في زيادة الإيقاع الحركي للصورة، فبدت الصورة الحية مُجسّدة للواقع، تنبض بالحياة، وتضج بالأحداث.

ولم تخلُ تلك الصورة من الصوت، صوت المجازر والواقع الأليم، والمعاناة الشديدة، وقد ذكر ابن عبد البر ثلاثاً بثلاث فهناك ضجيج، وعويل، ونياح، وهو صوت متنامٍ وحزين، ثمَّ هناك دماء غزيرة، ورؤوس تقطع، وقلوب تطير من الخوف.

ويتماهى الواقع مع الخيال في وصف ابن طاهر لحال الأندلسيين بعد سماعهم لأحداث (بَرْبَشْتر)، ففي القلوب حصى صغيرة رضّها الأسى على سبيل الاستعارة، وجنب الأندلسي قُضَّ فلم يرتح لحركة ولم يسكن لنوم، يقول ابن طاهر: "وأسىً قد قرع حُصيّات القلوب فرضّها، وعدل عن المضاجع بالجنوب فأقضّها"[٤].

---

1) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي في عهد المرابطين، ص٤٦.
2) المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨.
3) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٥.
4) نفسه، ق٣/م١/٨٧.

لقد تعددت مصادر الصورة الفنية في نثر الحضّ على الجهاد، وتنوعت أساليبها، تبعاً لسعة ثقافة الكاتب، وطبيعته النفسية، والبيئية[١].

ومن مصادر الصورة البيانية في نثر الحضّ على الجهاد: الواقع المعاش أي البيئة الأندلسية بما تحوي من طبيعة، وإنسان، ومجتمع، وعقيدة وغيرها، فعلاقة الأديب بمحيطه علاقة تأثر وتأثير.

ومن ذلك قول الهَوْزني في رسالته الموجّه للمعتضد: "ولئن كان ليلُ الفساد مما دهم قد أغدِف[٢] جلبابه، وصباحُ الصَّلاحِ بما ألمّ قد قُدّ[٣] إهابه"[٤].

فالفساد بما يحمل من ظلال سلبية تلَّون باللون الأسود فغدا ليلاً حالك السواد، والأندلس وقد تفككت وضعفت، كأن الفساد قد أرسل ثوبه الحالك عليها فغطاها، وصباح الصَّلاح بعد "بَرْبَشْتر" قد قُطع جلده!

أما وقد اتسعت أطماع الإسبان، وزادت قوتهم، واستطار شرّهم، فقد رصد ابن عبد البر ذلك بعد سقوط "بربشتر" فجعل للكفر جناحيْن انتشرا فوق الأندلس، وجعل الشرك إنساناً يبتسم بسرور، وشرر الشر ينتشر ويتسع، لذا اختار حرف الشين ليوحي بالانتشار والتفشي، حيث قال: "وأبدى الشركُ ناجذيه، واستطار شرَرُ الشر"[٥]. وقد أحسن ابن عبد البر في الرسالة ذاتها إذ قال: "ولو كان شملنا منتظماً وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكاً، وكالأنامل في اليد اشتراكاً، لما طاش لنا سهمٌ"[٦].

إنّ سر قوة الأندلس في وحدتها وتلاحم مجتمعها، كتلاحم أعضاء الجسد به، وكانتظام أصابع اليد فيها، جميعها تتبع إرادة واحدة، ولكن الأندلس بعد انقسامها إلى دول وطوائف، لم تعد كالجسد الواحد بل أجساداً متعددة، وإرادتها متعددة أيضاً.

---

1) ينظر: سلطاني، الجيلاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٧، ص٢٥٣.

2) أُغدف: الغُداف الغُراب، وقيل أُرسل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، غدف.

3) قُدّ: القد هو القطع المستأصل والشق طولاً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة قُدّ.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٦.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٤.

6) نفسه، ق٣/م١/١٧٨.

إن حركة الأعداء ضد الأندلسيين غير مسيطر عليها، فهي قوية غير منتظمة قاسية كالبركان أو الطوفان، لذا يُحذر ابن عبد البر منهم، ومن الاستخفاف بقوتهم قائلاً: "فالحذرَ الحذر! فإنه رأسُ النَّظر من بركانٍ تطاير منه شرر مُلهب، وطوفانٍ تساقط منه قطرٌ مرهِب"(١).

وأمير المرابطين يوسف بن تاشفين مطر يحيى الأندلس، وسُلّم ترتقي به إلى الخير، بهذا وصف ابن الجَدّ أمير المرابطين في رسالته التي حضّه فيها على الجواز للأندلس لجهاد الأعداء: "وقد جعلك رحمة يحيى غيثها ربوع الشريعة، وخَلَقَكَ سُلماً إلى الخير وذريعة"(٢).

وانعكست بعض الصور الاجتماعية في نثر الحضّ على الجهاد، ومن ذلك وصف الهَوْزني للحرب بالعروس التي تستميل الأغمار، ثم بعد اندلاعها تتحول إلى عجوز شمطاء مكروهة، وذلك لينفر من الحروب الداخلية بين ملوك الطوائف حيث قال: "والحربُ في اجتلائها حسناءُ عروسٌ تطّبي الأغمار بزّتها، وفي بنائها شمطاءُ عبوسٌ تختلي الأعمار غرّتها"(٣).

وقول ابن عبد البر على لسان أهل (بَرْبَشْتر): "والأئمة والمتدينون، والقَومَة والمؤذنون، يجرُّهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذابح"(٤). وفي هذا حركة فيها ذل، واستسلام، وانقياد الضعيف للقوي، المذبوح للذابح، وفي هذا الوصف إثارة للمشاعر الدينية للمتلقين، لحملهم على التغيير والجهاد لتصويب الأوضاع.

وقد استفاد بعض الكتّاب من بعض العلوم والمبادئ العلمية المعروفة وقتئذ، فمن ذلك تصوير ابن أيْمن قلعة مدينة سُرِتّه في قوله: "وهي مدينة كنقطة الدائرة، وواسطة القلادة، يُدركها من جميع نواحيها"(٥). وهو بذلك يريد أن ينبه أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وهو يستنجده، بأن تلك القلعة رغم حصانتها ومناعتها وأهميتها سقطت بيد الإسبان، ليدرك مقدار ضعف الأندلسيين وحاجتهم للمساعدة والنجدة.

ويستطيع الكاتب – أي كاتب – أن يصل إلى المعنى المراد بطريق غير مباشر عن طريق الكناية، لاسيما وأنها جزء من قدرة الكاتب اللغوية، وتدل على تمكّنه من توسيع معنى الوحدات المعجمية(٦).

---

1) ابن نفسه، ق٣/م١/١٧٨.

2) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٥.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٧.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.

6) ينظر: غاليم، محمد، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، ط١، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٧، ص٦.

ومن ذلك قول ابن عطية متحسراً على ما حل بـــ "مَيُورقة": "فيا لله لِمَا كانَ فيها من إعلانِ توحيد عاد هَمْساً"[١]، فقد كنّى عن الإسلام بالتوحيد، وفي موضع آخر في الرسالة ذاتها كنى عن النساء بالنجوم التي انتهب حرمها، إذ قال: "... ونجوم أصبح حَرَمُها منتهباً"[٢].

وأراد الهَوْزني أن يُكني عن النصر، بشيء محبوب مطوي تحت المكاره لأن النفس الإنسانية تكره الحرب والقتال، فقال: "ولربّ أملٍ بَيّن أثناء المحاذير مُدْمَج، ومحبوب في طي المكاره مُدْرَج"[٣].

وكنّى ابن طاهر عن الذل بطأطأة الرّقاب، وكنّى المعتمد عنه بوطء القدم حيث قال ابن طاهر في وصف حادثة "بَرْبَشْتر": "فأطار الألباب، وطأطأ الرّقاب"[٤].

وكتب المعتمد لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين: "وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين أذفنش، وأناخ علينا بكَلْكه، ووطئنا بقدمه"[٥].

ولجأ ابن أيْمن إلى الكناية ليعبر عن سيطرة الإسبان على الثغور، في مختلف الجهات فنارهم مشتعله للحراسة وللهجوم، حيث قال: "وقويت أطماعهم في افتتاح المدن، واضطرمت في كل جهة نارهم"[٦].

وكنّى ابن طاهر عن راحة البال والاسترخاء بحلّ الإزار في قوله: "وقبيحٌ على المسلم أن يحلّ إزاراً، ويسوّغ من الكرى غِراراً، وإخوتُهُ المسلمون بين مشدودٍ بالإسار، أو جَزَر النيوبِ والأظفار"[٧].

أما قول ابن عبد البر على لسان أهل (بَرْبَشْتر): "وأجفاننا قرحى، وأكبادنا حرّى، ونفوسنا منطبقة"[٨].

فقد كنّى عن كثرة البكاء بتقرح الأجفان، وعن الحزن بحرارة الكبد، وعن الاكتئاب بانطباق النَّفَس.

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٦٧.
2) نفسه، ص٦٦٧.
3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٥.
4) نفسه، ق٣/م١/٨٧.
5) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٦.
6) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٤.
7) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٨.
8) نفسه، ق٣/م١/١٧٤.

- **التعليل والاستدلال العقلي:**

إنّ "اللغة في معظم تركيباتها تنطوي على جانب يتصل بالفكر وآخر يتصل بالوجدان، وقد يطغى أحدهما على الآخر بحسب الحالة"[١]. فإن كان النثر هو لغة العقل[٢] فالقياس العقلي وسيلة من وسائله التأثير على المشاعر والعقول، ووسيلة لتكثيف المعنى، بما يضفيه من دلالات وإيحاءات[٣].

أما غاية الاستدلال العقلي، فهي إقناع المخاطب بمضمونه باستخدام التعبير المباشر، ومن المعلوم أن طبيعة موضوع الحضّ على الجهاد تستدعي مخاطبة العقل والمشاعر للجهاد، أي للتغيير.

لا سيما وأن معظم كتّاب الحضّ على الجهاد، كانوا من الفقهاء مثل: الهَوْزني، وابن عطية، فقد كانت ثقافتهم فقهية، تقوم على العقل واستقدام الدليل، والحجة والمقايسة، فجاءت عباراتهم دقيقة محكمة، لذا ظهر ما يسمى بالاستدلال العقلي في نثرهم الحاضّ على الجهاد.

ومن ذلك قول ابن عبد البر في رسالته التي كتبها على لسان أهل "بَرْبَشْتر" يحضّ فيها المسلمين على الجهاد، والتي وظّف فيها أسلوب الشرط للإقناع، والاحتجاج العقلي حيث قال: "ولولا فرطُ الذّنوبِ لمَا كان لريحهم علينا من هُبوب، ولو كان شملُنا منتظما، وشعبنا ملتئما ... لمَا طاشَ لنا سهمٌ..." [٤].

وفي الرسالة ذاتها اعتمد ابن البر أسلوب الشرط، طريقا للإقناع العقلي، مع التركيز على المقدمات المنطقية ونتائجها، حين قال: "وإنه إن استلبتِ الأطرافُ، لم تتعذر الأنصافُ، والبعض للبعض سبب، والرأسُ من الذّنب"[٥].

وقد يتقدّم جواب الشرط على فعله وعلى أداة الشرط، وذلك لجذب أسماع المخاطبين وترغيبهم في الجهاد، ومن ذلك ما كتبه ابن طاهر: "...من الاستنفار لأمر هذا العدو الذي قد

---

1) عبد المطلب، محمد البلاغة والأسلوبية، ص١٤٤.

2) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص٩٠.

3) ينظر: دعدور، أشرف علي، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة، ط١، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٠٤.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٨.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٩.

سحبَ في الجزيرة أذيالَهُ وفوّق للاستيلاء على حدودها نصاله، لمّا تحقق له أن العزائمَ عن مقارعته ناكلة والبلادَ من أعداد تقاومه عاطلة"[١].

وقد أخَّر ابن أيْمن جواب الشرط – أيضاً -، وأطال من جُمل فعل الشرط ليعزز أدلته التي تقنع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، بضرورة نُصرة الأندلسيين، وأنه لا مناص له من ذلك، فقد كتب ابن أيْمن على لسان المتوكل: "لمّا كان نورُ الهدى – أيدك الله – دليلك وسبيلُ الخير سبيلك، ووضحتْ في الصَّلاح معالمُك، ووقفتْ على الجهاد عزائمك، وصحّ العلم بأنك لدعوة الإسلام أعزُّ ناصر، وعلى غزو الشّرك أقدر قادر، وجبَ أن تُستدعى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء"[٢].

وقد تستخدم العلوم والمعارف المعروفة يومئذٍ للإقناع العقلي، فانظر إلى الهَوْزني مادحاً المعتضد؛ لاستمالته للجهاد حيث يقول: "فالثمرة من ساقها، والجياد على أعراقها"[٣]، في إشارة منه لدور والد المعتضد في محاولة توحيد الأندلس، ويكرر الإشارة ذاتها في الرسالة عينها إذ قال: "فإن المعادنَ لا تؤتي غيرَ معهود فلزها، كما لا تصحُّ الدوائرُ إلا على نقطة مركزها"[٤].

- **الطباق والمقابلة:**

الطباق "أن تأتي بالشيء وضده"[٥]، أمّا تعدّد الطباق في التركيب فمقابلة[٦]. ويتمثل في الطباق والمقابلة عنصر من عناصر الإيقاع المعنوي، الذي يحقق نوعاً من التناسب بوجود التناقض[٧].

إن احتكاك المتناقضات في التركيب أو النص يجعله يموج بالحركة، حركة فكرية تجول في حنايا النص كله، كما أن توظيفهما يدل على حنكة الكاتب في التعامل مع اللغة[٨].

ومن الأمثلة على المقابلة ما كتبه أبو عبد الرحمن بن طاهر بعد سقوط إحدى القلاع المنيعة: "وأرجو أن يتلافى جميعها من نظر أمير المسلمين – أيده الله – ما يُعيدها فيملأها خيلاً

---

1) نفسه، ق٣/م١/٨٨.
2) نفسه، ق٢/م٢/٦٥٣، ٦٥٤.
3) نفسه، ق٢/م١/٨٨.
4) نفسه، ق٢/م١/٨٩.
5) ابن الزّملكاني، التبيان في علم البيان، ص١٧٠.
6) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر، ٣/١٤٤.
7) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢١٧.
8) ينظر: أبو الرضا، سعد، في البنية والدلالة، ص٣٧، ٣٩.

ورجالاً، وينفر بهم خفافاً وثقالاً، عليهم من قُوّاده شيبُها وشبّانُها، وفيهم من أجناده زنجها وعُربانها"[١].

وقد دلت مقابلات ابن طاهر على الشمول والإحاطة، للعدد والعُدة، وللأعمار والألوان والأجناس.

أما ابن أيْمن فقد وظّف المقابلة لبيان تناقض السياسات بين الأندلسيين والإسبان فهو يقول: "ولم يزل دأبها التشطُّط والعناد، ودأبنا الإذعانَ والانقيادَ حتى استُصفيَ الطريفُ والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ"[٢].

ولحاجة الأندلسيين إلى النفرة والمساعدة بالعدد والعتاد، ولشرب الكتّاب من معين الثقافة نفسها، نجد تشابها في المقابلات بين ما ورد في رسالة ابن طاهر أعلاه، وبين قول ابن أيْمن في رسالته: "وما هو إلا نَفَسٌ خافت، ورمقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتتداركوها رُكبانا ورجالاً، وتنفروا نحوها خفافاً وثقالا"[٣].

وقابل البزلْياني عند تعداده لفوائد الاتفاق والوحدة، ووازن في جُمَله، مما كثّف من إيقاعها وأظهرها، لإقناع المتلقي بالإفكار الواردة فيها، وقامت واو العطف بدور الفصل من ناحية والربط من ناحية أخرى فالاتفاق: "أحمد فاتحة وخاتمة، وأرضى بادئة وعاقبة، وأسلمُ دنيا وآخرة"[٤].

وأفادت مقابلة السلب في رسالة ابن عبد البر على لسان أهل "بَرْبَشْتر" التكرير، والتأكيد، فقد اشترك طرفا المقابلة بالفعل نفسه، بيد أن الفعل الأول كان مثبتاً والثاني منفياً، كما أن وجود أداة شرط ربطت بين حدوث الفعل المثبت، وحدوث الفعل المنفي، حيث قال واصفاً أهل (بَرْبَشْتر)، حاضّاً الأندلسيين على الجهاد: "إن استُرحِموا لم يُرحموا، وإن استطعِموا لم يُطعموا، وإن استسقَوا لم يُسقوا"[٥].

---

1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص١٩٤.
2) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٤.
3) نفسه، ق٢/م٢/٦٥٥.
4) نفسه، ق١/م٢/٦٤١.
5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٦.

وقوله في الرسالة ذاتهامقابلاً: "وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آية من الكتاب، يضيقُ عن نصِّها الخطاب، ترغيباً وترهيباً، فوعد المطيعين جزيل ثوابه، والعاصين أليم عقابه"[١].

وقوله معتمداً على حدّية التناقض في المقابلة؛ ليعكس حجم الصراع، ويثير الحواس لتنشَط، وتشارك في الدفاع عن الوجود الأندلسي فخاطبهم قائلاً: "غير أنّا دنونا وبعدتم، وشقينا وسعدتم، ورأينا وسمعتم ... ولقد آن أن يبصر الأعمى وينشط الكسلان ويستيقظ النوّمان ويشجعَ الجبان"[٢].

وهناك أمثلة أخرى على المقابلة[٣]، أما أمثلة الطباق في نثر الحضّ على الجهاد، فقليلة إذا ما قيست بأمثلة المقابلة، وربما دلّ هذا على إدراك الكتّاب الأندلسيين لقدرة المقابلة على استيعاب انفعالاتهم، وشدة حاجتهم للإقناع والتأثير، كما أن تأثرهم بالحدث جعلهم يجهدون في صياغته بأكثر من طريق، وساعدتهم قدرتهم اللغوية وغناها على ذلك، كما أن المقابلة تحقق جرساً صوتياً وإيقاعياً أشمل من الطباق.

وممن طابق ابن أيْمن في رسالته على لسان المتوكل إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، إذ طابق بين اسم فاعل وآخر مثله ليدل على شمول المكان بالضرر حيث يقول: "يُدركها من جميع نواحيها، ويستوي في الاستضرار بها قاصيها ودانيها"[٤].

ويطابق ابن عبد البرَّ ليشمل الزّمان حيث قال على لسان البربشتيين عن عذابهم على أيدي النورمانديين "يوسموننا سوءَ العذاب، بضروب من الحَرب والحِراب، آناء ليلها ونهارها"[٥].

ويطابق ابن طاهر ليحيط بالصوت جهره وسرّه حيث يقول: "وقد امتطى العزم ظهراً، واستشعر النصيحة سراً وجهراً"[٦].

---

1) نفسه، ق٣/م١/١٧٧.

2) نفسه، ق٣/م١/١٧٩.

3) للمزيد ينظر: ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٤، ومجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٥.

5) نفسه، ق٣/م١/١٧٥.

6) نفسه، ق٣/م١/٨٧.

- **التقديم والتأخير:**

وقد استخدم بعض كتّاب الحضّ على الجهاد ظواهر بلاغية، لإقناع المخاطَبين والتأثير فيهم كالتقديم والتأخير[١]، ومن المعلوم أن أي تغيير في النظام التركيبي النحوي للجملة، يترتب عليه بالضرورة تغيير في الدلالة[٢]، بل إن الدلالة قد تزداد ثراء نتيجة ذلك.

كما أنها تلفت انتباه المتلقين، وذلك لتوقعهم أمراً مهماً اقتضى ذلك التقديم، فتستطلع نفوسهم لمعرفة الأهم فالمهم[٣].

ومن ذلك تقديم ابن أيْمن للمفعول به وتأخير الفاعل في رسالته على لسان المتوكل لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين، مما أعطى مؤشراً ذا دلالة على توجيه المخاطَب لبؤرة الخطاب[٤].

إذ تساءل متعجباً متحسراً: "أيسطو هكذا بالحقِّ الإفكُ ويغلب التوحيدَ الشركُ، ويظهر على الإيمان الكفرُ، ولا يكتنفُ هذه الملّة النَّصرُ؟"[٥].

وقد يُقدّم المفعول به للعناية به والاهتمام بشأنه[٦]، وتخصيصه، وتأكيده، ومن ذلك قول ابن طاهر واصفاً بعض الثغور، وما حلّ بها من نكبات: "فليندب الإسلامَ نادبٌ وليبكِ له شاهدٌ وغائب"[٧].

لقد نوّع كتّاب نثر الحضّ على الجهاد في أسلوبهم بين الخبر والإنشاء، وحفلت نصوصهم بجمل خبرية، وإنشائية طلبية، وغير طلبية فمن الجمل الخبرية – مثلاً –قول ثابت بن عبد الله واصفاً حصار سَرَقُسْطة حاضّاً على الجهاد: "عن حال قد عظم بلاؤها، وأدلهمت ضرّاؤها، فنحن في كرب عظيم وجهد أليم، قد جلّ العزاء وعظم الخطب وأظلنا الهلاك والعطب"[٨].

---

1) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص١١١.

2) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص٢٥٠.

3) ينظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص١١٦، ١١٧.

4) ينظر: بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢١٩.

5) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م٢/٦٥٤.

6) ينظر: شيخون، محمود السيد، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٧١-٧٤.

7) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٦.

8) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٤.

ومن اللافت للنظر كثرة الجمل الإنشائية، لا سيما الطلبية منها في نصوص النثر الحاضّ على الجهاد، أما الانشاء غير الطلبي فقد مالوا فيه للقسم والتعجب.

ربما كان سبب إكثارهم من الجمل الإنشائية الطلبية؛ أنها تستدعي مطلوباً، وهم يحضّون على الجهاد، ويطالبون قومهم به ويستدعونهم إليه.

ويبدو طبيعيا أن يحوز الإنشاء الطلبي، وبالذات صيغة الأمر على نصيب الأسد في نصوصهم؛ وذلك لأنها توحي بالمباشرة، والحالية، وتقتضي حدوث استجابة معينة من قبل المأمور[١]، وهذا مراد الحضّ على الجهاد، كما أن صيغة الأمر توحي بوجود حوار بين طرفين أحدهما آمر والآخر مأمور، يُطلب فيه استدعاء أمرٍ غير حاصل.

ويغلب على صيغ الأمر في النصوص النثرية مخاطبة الجماعة، من خلال استخدام واو الجماعة، ومن ذلك قول ابن عبد البر على لسان أهل (بَرْبَشْتر) مخاطباً الأندلسيين: "فتنبهوا قبل أن تُنبهوا، وقاتلوهم في أطرافهم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغورهم قبل أن يجاهدوكم في دوركم"[٢].

وقد التزم فعل الأمر بالدلالة على ما وُضع له في الأصل، في معظم المواطن، وجاء طلب حصول الفعل على سبيل التحقيق من آمر يطلب، ومأمور ينفذ.

وقد احتلت صيغة فعل الأمر، المرتبة الأولى في معظم الحالات الواردة في الأمر، ومن ذلك قول ثابت بن عبد الله آمراً؛ لاستثارة الهمم، والحث على الجهاد، إذ قال مخاطباً الأمير أبا الطاهر تميم: "فالله الله! اتقوه وأيدوا دينه وانصروه"[٣].

ويعبر فعل الأمر عن تصاعد انفعال الكاتب[٤]، فابن الجَدّ يحذر، ويوجه أهل إشبيلية على لسان أمير المسلمين: "فاقمعوا الأنفسَ الأمارة بالسُّوء، وارغبوا في السكون والهدوء، ونكبّوا عن طريق البغي الذميم المشنوء، واحذروا دواعي الفتن... واشفقوا ... وتوبوا... واخلصوا..." [٥].

ويلاحظ أن الحوار (بين الآمر والمأمور) من طرف واحد، لأنه قائم على الوعظ والتوجيه والنصح.

---

1) ينظر: عبيد، محمد صابر، شعرية القصيدة العربية الحديثة، ص١٥٩.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٨.

3) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٨.

4) ينظر: عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، ط٤، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٧١.

5) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٢٤، ٣٢٥.

وقد تأتي صيغة الأمر على هيئة المضارع المقرون بلام الطلب (لام الأمر الجازمة) مثل قول ابن طاهر: "فليندب الإسلامَ نادبٌ، وليبكِ له شاهد وغائب"[١].

لكن معظم صيغ الأمر جاءت على هيئة فعل الأمر، والأمثلة على ذلك كثيرة[٢] في النثر الحاضّ على الجهاد.

وقد تفنن كتّاب الحضّ على الجهاد في التراكيب الاستفهامية، وقاموا بدور السائل وكان المتلقي مجيباً، وهُمَا طرفا الاستفهام في اللغة الحوارية، لكنها كانت من طرف واحد في نثر الحضّ على الجهاد: متحدث وهو الكاتب، والآخر مستمع وهو المتلقي؛ وذلك لأن معظم النصوص الاستفهامية كانت تقوم على الوعظ، والحث على الجهاد، والدعوة إليه.

كما أن معظم التراكيب الاستفهامية خرجت عن المعنى الحقيقي للاستفهام، وهو طلب العلم بشيء لتعبّر عن معان ودلالات مخصوصة، لذا مال الكتّاب الأندلسيون إلى التنويع في أدوات الاستفهام، ولم يقتصروا على أداة مخصوصة من أدوات الاستفهام.

ويلاحظ أن الاستفهام في نثر الحضّ على الجهاد لم يكن بقصد الاستخبار (طلب العلم)، بل كان وسيلة للتنبيه، واللوم، والتذكير، بل والترهيب أحياناً مع أن الاستفهام يعطي حيوية وحياة للعبارات في الوقت ذاته. ومن ذلك توظيف الهَوْزني لأداتي استفهام؛ ليفرّغ ربما مشاعر الغيظ والحسرة والاضطراب من نفسه حيث قال: "ومن أين لنا دفعهم بالكفاية أو كيف؟ ولم نمتط إليهم الخوفَ، ونساجِلهم السيفَ"[٣].

وقد دلّ التركيب الاستفهامي عند ابن طاهر على التعجب والاستغراب في قوله: "أما آن للنصر أن يقعَ؟ وللداءِ أن يشفى؟"[٤].

وقد حاول ثابت بن عبد الله تقوية المعنى، وإقناع الأمير تميم لفك حصار سرقسطة، باستخدامه للتركيب الاستفهامي الذي يعبر عن التعجب والاستغراب، مع ترغيب وإغراء في الوقت نفسه حيث خاطبه قائلاً: "فما هذا أيها الأمير الأجل؟ ألا ترغب في رضوانه، واشتراء جناته، بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه"[٥].

---

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٦.

2) للمزيد من الأمثلة ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٦، وق٣/م١/١٧٨، وابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨، ٥٢٥، ٥٢٦، وابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٣٣، ومؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٨.

3) ابن بسام، الذخيرة، ق٢/م١/٨٤.

4) نفسه، ق٣/م١/٨٦.

5) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

وقد كرر القاضي ثابت بن عبد الله في الرسالة ذاتها أداة الاستفهام (أين)، وذلك للفت انتباه الأمير، والمرابطين وتحديهم بهدف إثارة نخوتهم، وحميتهم للجهاد، وذلك في قوله: "فأين النفوس الأبية؟ وأين الأنفة والحمية؟ وأين الهمم المرابطية؟ فلتقدح عن زنادها بانتضاء حدّها"[١].

وقد زاد تكرير أداة الاستفهام (أين) من النغم وقوّى الجَرْس[٢]، وهناك أمثلة عديدة[٣] على صيغ الاستفهام في نثر الحضّ على الجهاد.

وقد استخدم الكتّاب في لغتهم النداء، لكنه خرج عن معناه الحقيقي في اقتضاء التلبية، إلى الندبة والتعجب، وذلك لإثارة المستمعين وتنبيههم، وربما وعظهم أيضاً وقد كانت أكثر أدوات النداء استخداماً هي الأداة (يا).

ومن ذلك قول ثابت بن عبد الله حاضّاً الأمير أبا الطاهر تميم على الجهاد، لفك حصار سَرَقُسْطة: "فياللهِ، ويا للإسلام، لقد اهتضم حرمه وحِماه أشدّ الاهتضام"[٤].

وقوله في مواضع مختلفة من رسالته: "يا لله ويا للإسلام، لقد انتهك حماه... ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك... ويا ويلاه على مسجد جامعها المكرم"[٥].

لقد تحقق لدى ثابت بن عبد الله من بنية النداء وظيفة تركيبة، ودلالية، وإيقاعية من خلال الامتداد الإيقاعي للنداء بـــ (يا).

وقد ساهمت أداة النداء (يا) في تكثيف الايقاع وإثارة اهتمام المتلقين، ومن ذلك قول ابن عبد البر على لسان أهل "بَرْبَشْتر": "فيا ويلاه، ويا ذلاّه، ويا كرباه، ويا قرآناه، ويا محمداه، ألا ترى ما حلّ بحملة القرآن"[٦]، وساعدت الندبة في الترنم بالحزن، إذ يقول ابن عطية: "واحرّ قلباه! أمر (ميُورقة)"[٧].

وقد كان الإنشاء غير الطلبي أقلَّ انتشاراً في نثر الحضّ على الجهاد، إذ عبّر الكتّاب عن التعجب والقسم فيه أكثر من أي نوع غير طلبي آخر، وإن كان التعجب والقسم قليلاً أيضاً، ومن التراكيب غير الطلبية قول ابن عبد البر لأحد أصدقائه في سياق دعوته للوحدة: "ما أصدق

---

1) نفسه، ص٤٧.

2) ينظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٢/٥٦٨.

3) المزيد من الأمثلة ينظر: ابن أبي الخصال، رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٨، ومؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٧.

4) مؤنس، حسين، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٦.

5) نفسه، ص٤٥.

6) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٧.

7) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٦٧.

قيلك، وأهدى دليلك، وأوضح في سبيل البر سبيلك"[١]، ولقد تداخل عند ابن عبد البر التعجب مع الدهشة لوجود صديق يدعو للوحدة والتكافل في زمن الخضوع والانقسام.

أما القَسَم فورد لتأكيد الفعل، وللتعبير عن أحاسيس المُقْسِم ومن ذلك قول ابن طاهر بعد كائنة (بَرْبَشْتر): "تالله ما في النّصَفةِ أن تُسكنَ الظلالُ، وأطواقُ حَمَلة القرآن الأغلالُ"[٢].

1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/١٧٣.

2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣/م١/٨٨.

الخاتمة

قياساً على الأغراض الأدبية الأندلسية المختلفة في عصري الدراسة، كانت نصوص الحضّ على الجهاد أقل مما هو متوقع، ومأمول من فترة شهدت كثيراً من الأحداث، والتحديات للأندلسيين في بلادهم، فهل ضاعت بعض تلك النصوص وسط تلك الصراعات؟ أم أن صدمة الأحداث وألم الهزيمة؛ جعلتا بعض الأدباء يَعزفون عن الحضّ على الجهاد، يأساً أو حيرة أو رفضاً لواقع معاش؟!

لا نستطيع الحكم الدقيق على ذلك الآن، لكن على ضوء ما وصلنا من نصوص، خلصت الدراسة إلى أن معظم الأدباء والفقهاء الذين عاشوا في عصري الطوائف والمرابطين، قد أدّوا رسالتهم بفاعلية في مواجهة تحديات الإسبان، لوجود الإسلام في الأندلس، فحضّوا على الجهاد، وجاهدوا في ميادين القتال، ودعوا للوحدة، ولمّ الشمل، وكان بعضهم سفراء خير ووحدة داخل الأندلس وخارجها، وذلك لإنقاذ الأندلس من التداعي، وهذا لا ينفي وجود فئة من الأدباء الذين لاذوا بالصمت أو انشغلوا بتحقيق مآربهم الشخصية.

وقد سجلت الدراسة – أيضاً – أن النثر كان أسبق وأغزر من الشعر إنتاجاً، في الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين، فقد استوعب بحريته التعبيرية وصف المآسي والهزائم والمجازر، وسعى بأدوات الإقناع كافة لإثارة المتلقين وجدانياً، وإقناعهم عقلياً للجهاد.

وقد دعمت الخطابة أدب الحضّ على الجهاد، وإن قلّت نماذجها التي وصلتنا، كما كان المديح والرثاء، من أكثر الأغراض الشعرية اندماجاً مع غرض الحضّ على الجهاد، ووعى الأدباء دورهم في الحضّ على الجهاد، فحضّوا بالقصيدة، والمقطوعة، والموشحة، والرسالة والخطبة.

وأظهرت الدراسة كذلك أن الفقهاء، لا سيما الأدباء منهم شكّلوا استراتيجية واعية للثبات ورفع المعنويات، وإخماد الفتن، وبيان مساوئ الفرقة، واختلاف الكلمة، ورفض التخاذل.

وقد تعددت طرق تعبير الأدباء الأندلسيين عن الحضّ على الجهاد، فاهتموا بألفاظهم وصيغهم، دون تعقيد أو إغراب، واعتدلوا في استعمال المحسنات البديعية بلونيها، وجروا مع الطبع مع تمكُّنهم الثقافي، ودربتهم، وعبروا بالصورة والاقتباس وغيرها، مع احتفاظهم ببعض الاستقلال الثقافي ذي الملامح الأندلسية، وإن انتظم في إطار الأدب العربي عموماً.

والله تعالى أسأل أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

قياساً على الأغراض الأدبية الأندلسية المختلفة في عصري الدراسة، كانت نصوص الحضّ على الجهاد أقل مما هو متوقع، ومأمول من فترة شهدت كثيراً من الأحداث، والتحديات للأندلسيين في بلادهم، فهل ضاعت بعض تلك النصوص وسط تلك الصراعات؟ أم أن صدمة الأحداث وألم الهزيمة؛ جعلتا بعض الأدباء يَعزفون عن الحضّ على الجهاد، يأساً أو حيرة أو رفضاً لواقع معاش؟!

لا نستطيع الحكم الدقيق على ذلك الآن، لكن على ضوء ما وصلنا من نصوص، خلصت الدراسة إلى أن معظم الأدباء والفقهاء الذين عاشوا في عصري الطوائف والمرابطين، قد أدّوا رسالتهم بفاعلية في مواجهة تحديات الإسبان، لوجود الإسلام في الأندلس، فحضّوا على الجهاد، وجاهدوا في ميادين القتال، ودعوا للوحدة، ولمّ الشمل، وكان بعضهم سفراء خير ووحدة داخل الأندلس وخارجها، وذلك لإنقاذ الأندلس من التداعي، وهذا لا ينفي وجود فئة من الأدباء الذين لاذوا بالصمت أو انشغلوا بتحقيق مآربهم الشخصية.

وقد سجلت الدراسة – أيضاً – أن النثر كان أسبق وأغزر من الشعر إنتاجاً، في الحضّ على الجهاد في عصري الطوائف والمرابطين، فقد استوعب بحريته التعبيرية وصف المآسي والهزائم والمجازر، وسعى بأدوات الإقناع كافة لإثارة المتلقين وجدانياً، وإقناعهم عقلياً للجهاد.

وقد دعمت الخطابة أدب الحضّ على الجهاد، وإن قلّت نماذجها التي وصلتنا، كما كان المديح والرثاء، من أكثر الأغراض الشعرية اندماجاً مع غرض الحضّ على الجهاد، ووعى الأدباء دورهم في الحضّ على الجهاد، فحضّوا بالقصيدة، والمقطوعة، والموشحة، والرسالة والخطبة.

وأظهرت الدراسة كذلك أن الفقهاء، لا سيما الأدباء منهم شكّلوا استراتيجية واعية للثبات ورفع المعنويات، وإخماد الفتن، وبيان مساوئ الفرقة، واختلاف الكلمة، ورفض التخاذل.

وقد تعددت طرق تعبير الأدباء الأندلسيين عن الحضّ على الجهاد، فاهتموا بألفاظهم وصيغهم، دون تعقيد أو إغراب، واعتدلوا في استعمال المحسنات البديعية بلونيها، وجروا مع الطبع مع تمكّنهم الثقافي، ودربتهم، وعبروا بالصورة والاقتباس وغيرها، مع احتفاظهم ببعض الاستقلال الثقافي ذي الملامح الأندلسية، وإن انتظم في إطار الأدب العربي عموماً.

والله تعالى أسأل أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت ٦٥٨هـ). **الحُلّة السِّيراء**، ط٢، مجلدان، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.

ـــــــ، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، م١، ط١، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩.

ـــــــ، **إعتاب الكُتّاب**، ط١، (تحقيق صالح الأشتر)، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١.

ـــــــ، **التكملة لكتاب الصِّلة**، صححه ونشره السيد عزت العطار الحسني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٦.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت ٥٥٥هـ). **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٩.

ـــــــ، **الكامل في التاريخ**، ط١٠،١م، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد، (ت ٦٣٦هـ). **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، (تحقيق نوري جمودي القيسي وآخرون)، منشورات جامعة الموصل، طبع بمطبعة مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف، (ت ٦٤٩هـ). **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق**، (تحقيق إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

إسماعيل، عثمان عثمان، (١٩٨٢). عمارة المرابطين الحربية في نطاق فلسفتهم الجهادية، **مجلة دعوة الحق**، السنة ٢٣، العدد ٢، ص٧٤-٧٧.

أشباخ، يوسف، (١٩٥٨). **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ط٢، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ومؤسسة الخانجي.

الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، (ت ٥٨٢هـ). **الجمع بين الصحيحين**، ط١، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، دار المحقق للنشر والتوزيع: الرياض، ١٩٩٩.

الأصفهاني، العماد أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت ٥٩٧هـ). **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء المغرب والأندلس، (تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم)، دار النهضة: القاهرة، د.ت.

الأعمى ، التطيلي، أحمد بن عبد الله بن أبي هريره، (ت ٥٥٢هـ). **ديوان الأعمى التطيلي**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت، ١٩٦٢.

الإلبيري، أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود، (ت ٤٥٩هـ). **ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي**، م١، ط٢، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار قتيبة: دمشق، ١٩٨١.

أنيس، إبراهيم، (١٩٧٢). **موسيقى الشعر**، ط٤، دار القلم: بيروت.

باشا، جمانة رجب، (٢٠٠٣). **الشعر الأندلسي بين طريقة العرب ومذهب المحدثين**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سوريا.

باشا، ضيا، (١٩٨٩). **الأندلس الذاهبة**، ط١، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، الأردن، منشورات وزارة الإعلام الأردنية.

بالنثيا، آنخل جنثالث، (١٩٥٥). **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٩). **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

البرجالي، المهدي، (١٩٨٦). أدب الجهاد في العدوتين، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، ع ٢٥٩، ص ١٠٨-١١٢.

البرقوقي، عبد الرحمن، (١٩٨٠). **شرح ديوان المتنبي**، مجلدان، دار الكتاب العربي: بيروت.

بروفنسال، ليفي، (١٩٥١). **سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها**، ألقاها عامي (٤٨/٤٧)، ترجمها محمد عبد الهادي شعيرة، راجعها عبد الحميد العبادي بك، القاهرة، المطبعة الأميرية.

ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي، (ت ٥٤٢هـ). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ١٩٩٧، ٨ مجلدات، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧.

بسام، العسلي، (١٩٧٨). **الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية**، ط١، دار النفائس: بيروت.

البشري، سعد بن عبد الله، (١٩٩٣). **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت ٥٧٨هـ). **الصِّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، ط١، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٩٨٩.

البطل، علي، (١٩٨٣). **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجـري**، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت٧٣٩هـ). **مراصد الاطلاع علـى أسـماء الأمكنة والبقاع**، ط١، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار إحياء الكتب العربيـة عيـسى البـابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٥.

بكار، يوسف، (١٩٩٠). **في العروض والقافية**، ط٢، بيروت: دار المناهـل للطباعـة والنـشر والتوزيع.

ـــــــــــ، (١٩٨٣). **بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقـد الحـديث**، ط٢، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٨٧هـ). **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، (حققه وقدّم له إحسان عباس وعبد المجيد عابدين)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٣.

بلا فريج، أحمد وخليفة، عبد الجليل، (١٩٤١). **الأدب الأندلـسي**، تطـوان: مطبعـة الوحـدة المغربية.

البلداوي، حميدة، (٢٠٠٢). **الزهو بالـشاعرية عنـد شـعراء الأنـدلس: عـصر الطوائـف والمرابطين**، دراسات أندلسية، العدد ٢٨، ص ٥٣-٥٨.

بلغيث، محمد الأمين، (١٩٨٦). **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها فـي عـصري المـرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر.

ابن بلكّين، عبد الله الصنهاجي، (ت ٤٨٨هـ). **مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيـان**، (تحقيق ليفي بروفنسال)، دار المعارف: مصر ، ١٩٥٥.

بهجت، منجد مصطفى، (١٩٨٦). **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلـسي فـي عهـدي ملـوك الطوائف والمرابطين**، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

بهنام، هدى شوكت، (٢٠٠٠). **مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلـسي**، ط١، بغـداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، (ت ٥٥٥هـ). **أخبار المهدي بن تـومرت وبدايـة دولـة الموحدين**، مجلد واحد، دار المنصور للطباعة والوراقة: الرباط، ١٩٧١.

بن بيه، محمد محمود عبد الله، (٢٠٠٠). **الأثر السياسي للعلماء في عـصر المـرابطين**، ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع: وبيروت، دار ابن حزم.

تأبط شراً، أبو زهير ثابت بن سفيان، (ت ٨٠ ق. هـ). **ديوان تأبط شراً وأخباره**، ط١، م١، (جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر)، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٨٤.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (ت ٥٠٢هـ). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، ط١، دار الفكر العربي: بيروت، ٢٠٠١.

التنوخي، سحنون بن سعيد،(ت ٥٢٠هـ). **المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد**، ٤ مجلدات، دار الفكر: بيروت، ١٩٧٨.

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، (ت ٢٩١هـ). **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة، ١٩٦٤.

جرّار، صلاح، (٢٠٠٧). **قراءات في الشعر الأندلسي**، ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت ٤٧١هـ). **أسرار البلاغة**، (تحقيق محمد رشيد رضا)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

الجندي، علي، (١٩٦٦). **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، ط٣، بيروت: مكتبة الجامعة العربية.

الحجي، عبد الرحمن علي، (١٩٧٦). **التاريخ الأندلسي**، ط١، الكويت، دار القلم.

ابن الحداد، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٤٨٠هـ). **ديوان ابن الحداد الأندلسي**، ط١، (جمعه وحققه وشرحه يوسف علي طويل)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٠.

الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد، (١٩٩٧). **عضوية الخيال في العمل الشعري**، ط١، دون دار نشر.

حركات، إبراهيم، (د.ت). **النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، الدار البيضاء: منشورات مكتبة الوحدة العربية.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (ت ٤٥٦هـ). نقط العروس في تواريخ الخلفاء، (تحقيق شوقي ضيف)، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١، م١٣، ص٨٣-٨٦.

ـــــــــ، **الرد على ابن النغريلة ورسائل أخرى**، (تحقيق إحسان عباس)، دار العروبة: القاهرة، ١٩٦٠.

حمادة، محمد ماهر، (١٩٨٠). **الوثائق السياسية والإدارية الأندلس وشمال إفريقية**، ط١، بيروت، منشورات الرسالة.

حميدي، خميس، (٨٤/٨٣). **الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عباد**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، (ت ٤٨٨هـ). **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، ط٢، (تحقيق إبراهيم الإبياري)، دار الكتاب المصري: القاهرة، ودار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٩٨٩.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، **تسهيل السبيل إلى تعليم الترسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات**، م١، مخطوط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، رقم: ٦٢٢٧، قسم الميكروفيلم في الجامعة الأردنية، رقم: ٦٥٠، صورة بالميكروفلم.

الحميري، محمد عبد المنعم، (ت ٧٢٨هـ). **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، د. ط، ك١، (تحقيق ليفي بروفنسال)، مطبعة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة، ١٩٣٧.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد، (ت ٥٢٨هـ). **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس**، ط١، م١، تحقيق محمد الشوابكة، دار عمار، ومؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٣.

ـــــــــ، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، ط١، مجلدان، (تحقيق حسين خريوش)، مكتبة المنار: الزرقاء، ١٩٨٩.

خالص، صلاح، (١٩٦٥). **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، بيروت: دار الثقافة.

خريوش، حسين يوسف، (١٩٨٠). **دراسة الجانب الفني في المرثية الأندلسية**، ط١، م١، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار الفكر: دمشق، ١٩٨٨.

خضر، حازم عبد الله، (١٩٨١). **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، د. ط، بغداد: دار الرشيد للنشر.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت ٧٧٦هـ). **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط١، ٤ مجلدات، (تحقيق محمد عبد الله عنان)، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٧٧.

ـــــــــ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، ط٢، (تحقيق ليفي بروفنسال)، دار المكشوف: بيروت، ١٩٥٦.

ـــــــــ، **جيش التوشيح**، م١، (تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور)، مطبعة المنار: تونس، د.ت.

ـــــــــ، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، م١، (تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني)، نشر وتوزيع دار الكتاب: الدار البيضاء، ١٩٦٤.

ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة، (ت ٥٣٣هـ). **ديوان ابن خفاجة**، م١، (تحقيق السيد مصطفى غازي)، منشأة المعارف: الإسكندرية، ١٩٦٠.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ). **تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د. ط، ٧ مجلدات، دار الكتاب المصري: القاهرة، ودار الكتاب اللبناني: بيروت، ١٩٩٩.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ). **وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، د. ط، ٨ أجزاء، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر: بيروت، ١٩٧٧.

الخنين، ناصر بن عبد الرحمن، (١٩٩٦). **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ط١، الرياض: مكتبة التوبة.

داربيه، راشيل، (٨٤، ٨٥). ابن زيدون وبنو الأفطس، **أوراق جديدة**، مدريد، العدد ٧، ٨، ص ٦٩-٧٣.

الداية، فايز، (١٩٩٠). **جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي**، ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر.

الداية، محمد رضوان، (٢٠٠٠). **في الأدب الأندلسي**، ط١، بيروت: دار الفكر، دمشق: دار الفكر.

ـــــــــ، (١٩٨١). **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥هـ). **سنن أبي داود**، (مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر: بيروت، د.ت.

ابن دِحية، أبو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن بن علي، (٦٣٣هـ). **المطرب في أشعار أهل الأندلس والمغرب**، (تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد البدوي)، مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة، ١٩٩٧.

دعرور، أشرف علي، (د. ت). **الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي**، جامعة القاهرة، الناشر مكتبة نهضة الشرق.

دندش، عصمت عبد اللطيف، (١٩٩١). **أضواء جديدة على المرابطين**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ـــــــــ، (١٩٨٨). **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ـــــــــ، (١٩٨٧). عودة لعودة يوسف، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، العدد ٢٦٢، ص١٠٠-١٠٤.

ـــــــــــــ، (١٩٨٧). عودة بعد الزلاقة، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، العدد ٢٦٦، ص ٧٧-٧٩.

دي لويس، سيسل، (١٩٨٢). **الصورة الشعرية**، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، مراجعة عنان غزوان إسماعيل، بغداد: دار الرشيد للنشر والتوزيع.

ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني، (ت ١١١٠هـ). **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط٣، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر: بيروت، ١٩٩٣.

الرباعي، ربى عبد القادر، (٢٠٠٦). **البلاغة العربية وقضايا النقد الماصر**، ط١، عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.

الربيعي، أحمد حاجم، (٢٠٠١). **القصص القرآني في الشعر الأندلسي**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية.

أبو الرضا، سعد، (د. ت). **في البنية والدلالة**، الإسكندرية: منشأة المعارف.

أبو رقيق، محمد حسين محمد، (١٩٨٨). **أدب الحرب في عهد دول الطوائف في الأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، العراق.

الركابي، جودت، (د.ت). **في الأدب الأندلسي**، مصر: دار المعارف.

زابوروف، ميخائيل، (١٩٨٦). **الصليبيون في الشرق**، ترجمة إلياس شاهين، موسكو: دار التقدم.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، (ت ٧٢٦هـ). **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة: الرباط، ١٩٧٢.

ابن الزقاق، أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف، (ت ٥٣٠هـ)، **ديوان ابن الزقاق البلنسي**، (تحقيق عفيفة محمود ديراني)، دار الثقافة: بيروت، ١٩٦٤.

زكي، أحمد كمال، (١٩٨١). **النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته**، ط٢، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

ابن زهر، أبو مروان عبد الملك، **التيسير في المداواة والتدبير**، ط١، م١، (تحقيق ميشيل الخوري)، دار الفكر: دمشق، ١٩٨٤.

أبو زيد، أحمد، (١٩٨٥). حضارة الأندلس، **عالم الفكر**، م١٢، العدد الأول، ص ٨-١١.

سالم، زينب إبراهيم سليم، (١٩٩٧). **الحياة الأدبية في مدينة إشبيلية من الفتح الإسلامي حتى خروج المسلمين منها**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

سالم، سحر السيد، (د.ت). **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

السعيد، محمد مجيد، (١٩٧٢). **الشعر في ظل بني عباد**، ط١، النجف: مطبعة النعمان.

ــــــــــ، (١٩٨٠). **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق: دار الرشيد للنشر.

ــــــــــ، (١٩٩١). ابن عطية الكاتب وحياته ورسائله، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، السنة الخامسة عشرة، العدد ٤٠، ص ٣١-٥٧.

ــــــــــ، (١٩٧٧). **شعر ابن اللبانة الداني**، منشورات جامعة البصر وجامعة الموصل، طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر.

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، (٦٨٥هـ). **المُغرب في حلى المغرب**، مجلدان، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف: مصر، ١٩٦٤.

ــــــــــ، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، د.ط، (تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي)، لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٩٧٣.

سلامة، الربعي، (١٩٩١). **أدب المحنة الإسلامية في الأندلس**، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، جمهورية الجزائر.

سلامة، علي محمد، (د.ت). **الأدب العربي في الأندلس وتطور موضوعاته وأشهر أعلامه**، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

سلطاني، الجيلاني، (١٩٨٧). **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

سويف، مصطفى، (١٩٥١). **الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة**، د.ط، مصر: دار المعارف.

السيد، شفيع، (١٩٨٢). **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي.

سيسالم، عصام سالم، (١٩٨٤). **جزر الأندلس المنسية**، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ). **جنى الجناس**، (تحقيق ودراسة وشرح محمد علي رزق الخفاجي)، الناشر الدار الفنية للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

السيوفي، مصطفى محمد أحمد، (١٩٨٥). **ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري**، ط١، بيروت: عالم الكتب.

شادي، محمد إبراهيم عبد العزيز، (١٩٩١). **الصورة بين القدماء والمعاصرين دراسة بلاغية نقدية**، ط١، القاهرة: مطبعة السعادة.

شاكر، علي ذو الفقار، (١٩٨٤). **ديوان تأبط شراً وأخباره**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الشايب، أحمد، (١٩٧٣). **أصول النقد الأدبي**، ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشريف، الغوثي العربي، (١٩٨٧). **الأدب في المرية في عهد بني صُمادح**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

شعيرة، محمد عبد الهادي، (١٩٦٩). **المرابطون تاريخهم السياسي**، ط١، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.

شلبي، سعد إسماعيل، (د. ت)، **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف**، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

شيخة، جمعة، (١٩٩٤). **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي**، ط١، تونس: المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار.

ـــــــــــ، (٢٠٠٤). **عصر ابن زيدون**، د.ط، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

شيخون، محمود السيد، (١٩٨٣). **أسرار الإبداع الشعري في لغة القرآن الكريم**، ط١، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

صاعد القرطبي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، (ت ٤٦٢هـ). **طبقات الأمم**، د. ط، (تحقيق حسين مؤنس)، مصر: دار المعارف، ١٩٩٣.

صالح، بشرى موسى، (١٩٩٤). **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي.

صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، (ت ٢٠٨هـ). **شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري**، (تحقيق سامي الدهان)، ط٣، دار المعارف: مصر، د.ت.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت ٥٩٩هـ). **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.

ضيف، أحمد، (١٩٩٨). **بلاغة العرب في الأندلس**، ط٢، سوسة تونس: دار المعارف للطباعة النشر.

ضيف، شوقي، (١٩٨٠). **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط٩، مصر: دار المعارف.

ـــــــــــ، (١٩٦٩). شخصية الأندلس في تاريخ الشعر العربي، **مجلة كليـــة الآداب الجامعـــة الأردنية**، العدد الأول، ص ٧-٣١.

ـــــــــــ، (١٩٨٩). **عصر الدول والإمارات الأندلس**، ص٢، مصر: دار المعارف.

الطرايسي، أحمد إعراب، (١٩٨١). الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي، **عـــالم الفكر**، م١٢، ع١، ص١٣١-١٧٠.

طويل، يوسف، (١٩٩١). **مدخل إلى الأدب الأندلسي**، ط١، بيروت: دار الفكر اللبناني.

الطيب، عبد الله، (١٩٧٠). **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، ط٢، بيروت: دار الفكر.

عباس، إحسان، (٢٠٠١). **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائـــف والمـــرابطين**، عمـــان: دار الشروق.

ـــــــــــ، (د.ت). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط٤، بيروت: دار الثقافة.

ـــــــــــ، (٢٠٠٠). **بحوث ودراســـات فـــي الأدب والتـــاريخ**، ط١، بيـــروت: دار الغـــرب الإسلامي.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمري الأندلسي، (ت ٤٦٣هـــ). **الاستذكار**، ط٤، ١٠ مجلـــدات، (حققه وعلّق عليه حسان عبد المنان ومحمد أحمد القيسية)، مؤسسة النداء: أبو ظبي، ٢٠٠٣.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، (ت ٢١١هـــ). **ديوان أبي العتاهيـــة**، دار صـــادر: بيـــروت، ١٩٨٠.

عبد العظيم، علي، (د.ت). **ديوان ابن زيدون ورسائله**، الفجالة القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

عبد القادر، قرش، (٩٢/٩٣). **الصورة الفنية في الشعر الأندلـــسي فـــي عهـــدي المـــرابطين والموحدين**، رسالة دكتوراة الدولة غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، جمهورية الجزائر.

عبد المجيد، أبو سعيد محمد، (٢٠٠٧). أثر الاختلافات والتنازعات على وحدة الأمة الإسلامية، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت، السنة ٢٢، العدد ٦٩، ص ٣٣٧-٤٠٤.

عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤). **البلاغة والأسلوبية**، د.ط، القاهرة: الهيئـــة المـــصرية العامـــة للكتاب.

بن عبود، ا محمد، (١٩٨٦). تقييم دور العلماء ومكانتهم في المجتمع الأندلـــسي خـــلال عهـــد الطوائف، **مجلة البحث العلمي**، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع ٣٦، ص ٨١-٨٩.

عبيد، محمد صابر، (٢٠٠٠). **شعرية القصيدة العربية الحديثة**، د.ط، بغداد، غيوم للنشر.

العربي، إسماعيل، (١٩٨٢). **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، د.ط، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه.
ابن عذارى المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت ٦٩٥هـ). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط٣، ٤ مجلدات، الأجزاء ١-٣ (تحقيق ج. س. سجولان وليفي بروفنسال)، والجزء الرابع (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة: بيروت، ١٩٨٣.

العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، (ت ٨٥٢هـ). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت ٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين**، ط١، (حققه وضبط نصبه مفيد قميحة)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨١.

عسيلان، عبد الله بن عبد الرحيم، (١٩٧٨). **العباس بن مرداس السلمي: الصحابي الشاعر**، ط١، الرياض: دار المريخ.

عصفور، جابر أحمد، (١٩٨٠). **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، د.ط، القاهرة: دار المعارف.

العمايرة، محمد نايف، (١٩٩٩). **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، ط١، عمان: المطابع العسكرية.

العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ٨ أجزاء، ط١، (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام هزايمة ويوسف بني ياسين)، مركز زايد للتراث والتاريخ: العين، ٢٠٠١.

العمري، محمد، (١٩٨٦). **في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية: الخطابة في القرن الأول نموذجاً**، ط١، الدار البيضاء: دار الدار البيضاء.

عنان، محمد عبد الله، (١٩٢٤). **تاريخ العرب في إسبانيا**، القاهرة: مطبعة السعادة.

ــــــــــ، (١٩٨٨). **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.

ــــــــــ، (١٩٧٠). **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.

عياد، شكري محمد، (١٩٩٨). **مدخل إلى علم الإسلوب**، ط٤، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع: القاهرة.

عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، (ت ٥٤٤هـ). **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، د. ط، مجلدان، (تحقيق أحمد بكير محمود)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: ودار مكتبة الفكر: طرابلس، ١٩٦٧.

ـــــــ، الغُنية، ط١، (تحقيق ماهر زهير جرار)، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٨٢.

عياط، حامد كساب، (١٩٨٣). **أدب الجهاد في الأندلس في عصر المرابطين**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.

عيد، يوسف، (٢٠٠٢). **الشعر الأندلسي وصدى النكبات**، ط١، دار الفكر العربي: بيروت.

عيسى، فوزي سعد، (١٩٧٩). **الشعر العربي في صقلية في القرن الخامس الهجري**، د. ط، الهيئة العامة للتأليف: فرع الإسكندرية.

عوض الله، رحاب صبري، (٢٠٠٣). **دور الفقهاء في الحياة العامة في عصر الطوائف**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

عوض الكريم، مصطفى، (١٩٦٨). **الأدب الأندلسي في عهد المرابطين**، دون دار نشر.

غازي، السيد مصطفى، (١٩٦٦). أبو إسحاق الألبيري شاعر الزهد الأندلسي في القرن الخامس، **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، العدد ٢٠، ص٧٥-٨٧.

غاليم، محمد، (١٩٨٧). **التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم**، ط١، المغرب: دار توبقال للنشر.

غومث، اميليو غرسيه، (١٩٧٤). **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ط١، نقله إلى العربية الطاهر مكي، مصر: مكتبة وهبة عابدين.
ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن نور الدين، (ت ٧٩٩هـ). **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، م١، ط١، ملتزم الطبع، عباس بن عبد السلام بن شقرون، الفجالة، مصر، ١٣٥١هـ.

قارة، حياة، (١٩٩٤). **رسائل أندلسية جديدة: عصر المرابطين**، وزارة الشؤون الثقافية، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية: المغرب.

ـــــــ، (١٩٩٥). **رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال**، دراسات أندلسية، العدد ١٣، ص٥٥-٦٨.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ). **الشعر والشعراء**، مطعبة بريل، ١٩٠٢، مدينة ليدن.

القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن، (ت ٦٨٤). **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ط٣، مجلد واحد، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٨٦.

ابن القطان، (ت ٦٢٨هـ). **جزء من كتاب نظم الجمان**، م١، (تحقيق محمود علي مكي)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، د.ت.

القلشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ٨ مجلدات، القاهرة، مطبعة كوستا قسوماس وشركاه، د.ت.
القيسي، فايز عبد النبي فلاح، (١٩٨٩). **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، ط١، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع: عمّان، الأردن.

القيسي، نوري حمودي، (١٩٧٩). **الأدب والالتزام**، د.ط، بغداد: دار الحرية للطباعة.

ـــــــــــ، (١٩٨٠). **الشعر والتاريخ**، منشورات جامعة بغداد: بغداد.

ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك،(ت ٦٨١هـ). **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط محمد بن علي**، (تحقيق أحمد مختار العبادي)، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥/١٩٦٦، م١٣، ص٦١-١٢٥.

الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، (ت ٥٦٢هـ). **إحكام صنعة الكلام**، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار الثقافة: بيروت، لبنان، ١٩٦٦.

كنون، عبد الله، (١٩٥٦). الشعر الأندلسي، **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، م٣١، ج١، ص ٣٧١-٣٩٦.

الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم، (ت ٣١٤هـ). **كتاب الفتوح**، ط١، مجلدان، (تحقيق علي شيري)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٩٩١.

بن كيسان، أبو الحسن، (١٩٩٩١). **شرح معلقة امرئ القيس**، ط١، (تحقيق نصرت عبد الرحمن)، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة: بيروت.

الكيلاني، حلمي، (١٩٩٢). السُّمَيْسر حياته وشعره، **مؤتة للبحوث والدراسات**، م٧، العدد الأول، ص ١٠١-١٥٩.

ليفي، بروفنسال، (١٩٥٦). **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني، (ت ٢٧٣هـ). **سنن ابن ماجه**، ط١، دار السلام للنشر والتوزيع: الرياض، ودار الفيحاء: دمشق، ١٩٩٩.

ابن مالك الأندلسي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين، (ت ٦٨٦هـ). **المصباح في علم المعاني والبديع**، المطبعة الخيرية: القاهرة، ١٣٤١هـ.

مبارك، زكي، (د.ت). **النثر الفني في القرن الرابع**، ط٢، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت ٣٨٥هـ). **الكامل في اللغة والأدب**، مكتبة المعارف: بيروت، د.ت.

مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط١، م١، (تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه)، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة: الدار البيضاء، ١٩٧٩.
مجهول، **ملحمة السِّيد**، (١٩٨٣). ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط٣، مصر: دار المعارف.

ابن محمد، علي، (١٩٩٠). **النثر الأدبي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

أحمد، محمود حسن، (د.ت). **قيام دولة المرابطين**، القاهرة: دار الفكر العربي.

المراكشي، عبد الواحد بن علي، (ت ٦٤٤هـ). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط١، (ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، مطبعة الاستقامة: القاهرة، ١٩٤٩.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (٤٢١هـ). **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، (علق عليه ووضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين)، مجلدان، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٣.

المشني، مصطفى، إبراهيم، (١٩٩١). **ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن**، ط١، دار عمار: عمان.

أبو مصطفى، كمال السيد، (١٩٨٧). بنو رزين ودورهم السياسي والحضاري في شنتمرية الشرق، **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، ع٣٥، ص٢٠١-٢٢٩.

المطوي، محمد العمروسي، (١٩٨٢). **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المعتمد، محمد بن عباد، (ت ٤٨٨هـ). **ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية**، م١، (جمع وتحقيق رضا الحبيب السويسي)، الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٧٥.

المقدسي، أنيس، (١٩٧٩). **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**، ط٦، بيروت: دار العلم للملايين.

المقري، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت ١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٨ مجلدات، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧.

ـــــــــــ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: الرباط، ١٩٧٨.

مكي، محمود، (٢٠٠٤). **وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين**، ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

منصور، محمد صالح، (١٩٩٦). **أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية**، ط١، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ). **لسان العرب**، ١٥ مجلداً، دار صادر: بيروت، ١٩٥٦.

مؤنس، حسين، (١٩٥٠). السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين، **المجلة التاريخية المصرية**، م٣، العدد الأول، ص٣٧-٨٧.

ـــــــــــ، (١٩٤٩). الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الملك فؤاد، م١١، ص ١١٤-١٢٥.

ـــــــــــ، **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين**، ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ـــــــــــ، (٢٠٠٠). **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**، ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ـــــــــــ، (١٩٩٢). **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

الموسى، فيروز، (١٩٩٢). **قصيدة المديح الأندلسية بين التجديد والتقليد**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سوريا.

الميداني، أبو الفضل النيسابوري، (ت ٥١٨هـ). **مجمع الأمثال**، م٢، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار المعرفة: بيروت، د.ت.

مينة، حنا، والعطار، نجاح، (١٩٧٦). **أدب الحرب**، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية، دمشق، سوريا.

النابغة، زياد بن معاوية، (ت ١٨ ق.هـ). **ديوان النابغة الذبياني**، (تحقيق وشرح كرم البستاني)، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ودار بيروت للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٦٣.

ناجي، مجيد عبد الحميد، (١٩٨٤). **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية**، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع.

الناصري، أبو العباس أحمدد بن خالد، (١٩٩٧). **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، (تحقيق جعفر ومحمد الناصري)، ج٩، الدار البيضاء: مطبعة دار الكتاب.

النباهي المالقي، أبو الحسن علي بن عبد الله، (ت ٧٩٢هـ). **تاريخ قضاة الأندلس**، المكتب التجاري للطباعة: بيروت، د.ت.

النجار، عبد المجيد، (١٩٨٣). **المهدي بن تومرت**، ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

أبو نواس، أبو علي الحسن بن هانئ، (ت ١٩٨هـ). **ديوان أبي نواس**، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢.

النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى، (ت ٦٧٦هـ). **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**، ط١، (تحقيق الشيخ عرفات حسونة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ). **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، د. ط، (تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

الهدروسي، سالم، (١٩٩٥). **صدى النكبات الكبرى في النثر الأندلسي زمن دول الطوائف**، مؤتة للبحوث والدراسات، م ١٠، العدد الثاني، ص ٢٩٩-٣٥٢.

ـــــــــ، (١٩٩٥). مواقف الكتّاب من مظاهر الانحراف السياسي والاجتماعي في الأندلس، **مجلة أبحاث اليرموك**، م١٣، العدد الأول، ص ٢٨٥-٣٢٩.

ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن الغزاري، (ت ٧٦٣هـ). **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، (تحقيق لويس مرسي)، المطبعة الشرقية لبولس غوتنهر، باريس، ١٩٣٢.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت ٢١٣هـ). **السيرة النبوية**، ط١، مجلدان، (حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، وضع فهارسها معروف زريق)، دار الخير: بيروت، ١٩٩٦.

هوف، غراهام، (١٩٨٥). **الأسلوب والأسلوبية**، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، العدد الأول، ص ٩-١١١.

الونشريسي، أحمد بن يحيى، (ت ٩١٤هـ). **المعيار المعرب والجامع المُعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، د.ط، م ١٣، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٨١.

اليافي، نعيم، (د.ت). **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ). **معجم البلـــــــدان،** ٥ أجزاء، دار صادر: بيروت، ١٩٨٦.

المراجع الأجنبية:

Simonet, Francisco Javier, (1983) Historia De Los Mozarabes De Espana, Tomo IV (Tomolll). EDICIONES turner, S.A.madrid.

PROMOTING JIHAD IN ANDALUSIA LITERATURE DURING THE AGES OF PARTY KINGS AND MURABETEEN

BY
Fatmeh Mefleh Al Abdullat

Supervisor
Dr. Salah Mohammad Jarrar, Prof.

ABSTRACT

This study attempts to reveal one abasic aspect of the literary life during the Party Kings and Murabeteen period in order to highlight the role that literature has taken with regard to facing the danger that was threatening Andalus in the period of (422H.D to 539 H.D) through studying the purpose of promoting Jihad in Andalusion literature, in addition to inducing, analyzing relevant texts and demonstrating their value and artistic characteristics.

Authors and writers of the mentioned ages have employed all literary arts to encourage Muslims inside and outside Andalus share in Jihad, in order to maintain the Arab Muslim existence there in addition to challenge the constants enemy attacks and to prevent accupying on more Andalusi lands. The current study was based on inductive analytical approach for some pertinent texts. These texts were then scrutinized for artistic aspects in order to find out the characteristics of literature that promotes for Jihad in the ages of Party Kings and Murabeteen. The study has concluded to the result that narrative had precedence and intensity compared to poetry regarding promoting for Jihad.

In addition, jurists and literary writers have formed a cultural shield that had worked on elevating the spirit of the Andalusi society, solving the problems, elaborating disadvantages of disunity, and inviting to unity and Jihad to face the enemy. The unique Andalusi character has appeared in the literature that promoted Jihad not to mention that this character was placed within the frame of Arabic literature in general.